

تاریخ

حیات



بابکری

اجزاء الثانی

التاریخ یکتب الحوادث منہ العاریۃ للفکاہۃ
وغیر العادیۃ من الحقائق للاقتداء بها حسنا وبتیحا
بابکری

اصحاب النجاة
ما كتب في زمانه
وصدق في كتابه
وصدق مع اصرو
في اروي
بالحجج جوي

تاریخ
حیات

باب کر بدری

التاریخ یکتب الحوادث من العاریة للفکاهة
و غیر العاریة من الحقائق للاقتدار بها حسنا و قبیحا
باب کر بدری

إهداء

الى اولئك النفر من الآباء والاخوان الذين بنوا
سودان اليوم في فترة الخمسين عاما الاولى من
هذا القرن من لحق منهم بالرفيق الاعلى ومن لا يزال
منهم يساير تقدم البلاد وتطورها نهدي هذا
السفر الثانى الذى كتبه احدهم اعترافا بفضلهم في
الجهاد واقتداء باعمالهم في التضحية والصبر
لتكون للأجيال قيسا يستضيء به في حوالك
الجنة وحافزا للسير قدما على نهجهم والمحافظة
على ما اسسوا وشادوا .

يوسف همدى

المقدمة

انه لتشرف لى حقا أن أكلف كتابة مقدمة قصيرة لمذكرات طيب الذكر الشيخ بابكر بديرى . ومن معرفتى الشخصية له ومن سجل أعماله أعتقد أن أبناء هذا الجيل من همراةنيه سيجدون متعة عظيمة وفائدة في قراءتها . قابلت شيخ بابكر لأول مرة عام ١٩٠٨ عندما كنت أرافق سلاطين ياشا في رحلة تفتيشية في مديرية النيل الأزرق وكان لسلاطين رأى حسن فيه فذكر لى أن أفكاره التعليمية التقدمية وخاصة عن تعليم البنات قد أثارت سخطا وهذا عند كثيرين من معاصريه ممن لم يبلغوا ما بلغه هو من الاستتارة . وفيما بعد عندما كنت سكرتيرا خاصا للحاكم العام تها لى أن أقابله كثيرا وكثيرا وبدأت أحس بالمكافاة الكبيرة التى كان يحتلها هو ومشاريعه الجريئة عند رئيسى المير وجنلد ونجت وعند السير جيمس كرى الذى كان مديرا لمصلحة المعارف . وعندما رجعت حاكما عاما للسودان بعد عشرين عاما وجدت أن مشاريع الشيخ قد ازدهرت وانه قد أصبح من أجلها ذا سمعة عالية كرجل من رجال التعليم التقدميين فى النواثر الحكومية ولدى الرأى العام . وانى كرجل انجليزى لنخورد بها أنجزه البريطانيون فى فترة نصف قرن من الوصاية على السودان من تطوير السودانيين وتنويرهم حتى وضعوا بذلك الأساس لدولة حديثة . وعندى ان الشيخ بابكر كان مثالا معا لأولئك الأفراد من السودانيين الذين أدرکوا منذ البداية جانب الخير فى أهداف السياسة البريطانية فى السودان فساهموا كل فى حل نشاطه لتحقيق هذه الأهداف . كاذ رحمه الله مسلما متدينا ووطنيا راسخ القدم وامرء شجاعا نريها تام النزعة وخادما لوطنه مخلصا .

لندن ٢٩ : يوليو ١٩٦٠

ستيفورت مايز

**اصدق التاريخ ما كتب في زمانه
وصدق فيه كاتبه وصدق معاصروه فيما روى**



(الجزء الثاني)

من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٢٨

اليوم بما الحكم الثنائي - الجمعة ٢ سبتمبر ١٨٩٨ :

قاسينا متاعب كثيرة في أيام اباحة المدينة الثلاثة للمسكر حيث كانوا يدخلون المنازل فيأخذون ويأكلون منها كل ما رأته عيونهم ووصلت اليه يدهم ومن عارض فلا تعلم ما يحل به ومهد لهم ما ذاع من الأخبار المبالغ فيها من القتل والضرب للبرح الذي لا يقل عن كسر عضو أو أعضاء فاستسلم الناس ولكن الذي يحصلون عليه انهم لم يرو عنهم انهم يقتسمون المروض قط يكتفون بالاموال فقط من منقولات أو مصكوكات أو حيا حتى اضطررا ان تترك الابواب والحواليب والصناديق مفتحة الاقبال مشرعة الأبواب . دخل علينا في اليوم الثاني عسكريان انجليزيان فأخذا رايان مجيدين وشمسين وتركنا باقي النقود وكل شيء رده في مكانه وأظنهما أخذتا كل واحد رايالا وضمة على سبيل الأتيكة ثم جاء بهما ثلاثة عساكر سودانيين فدخلوا بيت الحريم اللدخلي وصاروا يجمعون كل شيء من النقاس والخرز والنقود والطنى والبهائم ولحظنا أن دخل علينا رجل أخبرني أن ينزل محمد على مكينة بجوارقا يتجاولش يدعى بخيت موافى وكان ذلك في عصر اليوم الثالث فأسرت اليه لأنى أعرفه جيدا فأخبرته انهم للآن لم يخرجوا من البيت فأمرع موى بنفسه فلقيناهم في الباب الخارجى محملين بالفضية على حمارة وعلى رموهم فلما رأونا هتوا ووضعوا كل ما غنموه في الأرض وأطلقوا الحمارة التي رجعت في الحال جارية الى مزلها وأخفوا يتنزهون للبتجاولش الذي كان يسأل كل واحد منهم بعلمة عن اسمه ونمرته وأرسلته وهم يتنزهون أدلاء بمد تلك الجيرة التي أبدوها اليها حينما دخلوا علينا فعدت أشفع لهم عند البتجاولش الذي لم يقبل شفاعتي بأنهم تعدوا الآن الميعاد بإباحة المدينة فقد اتهمهم بملون ذلك فرجوته في تركهم رغم ذلك فأمرهم بإرجاع كل شيء الى مكانه بأنفسهم ودخل معهم ثم أخذهم ومضى وما أدري ما صنع بهم ولكنه عند وصوله قطعت أرسل لنسبا عسكريين يحرسان منزلا من كل طارق وهذا البتجاولش هو زوج البنت التي

دعيت لها بأسوان وهو الذى استلم منى سينى الذى رده لى بعد أسبوعين من الواحه • جاء قريب لى يدعى كمال الدين مصطفى الذى تقدم ذكره دُعِطاني عايه حمراء وكنت حينما انتشرت السحرة لردم الحفر ومساواة بعض الشوارع القدرة فصلت لى ولعيدي الذين يخرجون عادة لتضاء الإثقال جلايب كستور كان مستعملا ناموسية فلبست جلايتى والعباية وزرت عى الموش المرسى فلما رأتى لابسها دخل فى عرفة خالية وطلبى فيها قال يا ولد الا فصل ان أسخر آة أو انت يا بابكر فعمت غرضه وقلعت العباية والجلاية وقلم لى جيتة فلبستها ورجعت لمنزلى فمى طريعى لحقنى جاوش وقبض على قلعت له يا أخى أنا أحفظ كتاب الله هاكرمى لأجله قصال لى لقرأ انكم وما تمبدون من دون الله الى آخر السورة قترأت له فضلى سبيلى فوصلت منزلى وفصلت غيرها فنجوت من السحرة والحمد لله •

قلنا لى اللال أصبح رخيصا ولكنه ما لبث حتى صار أعلى مما كان وقل وجوده حتى ندر فاذا جاءت سفينة فيها غلال لا تستطيع أن تفع فى الشاطئء الفصل بل فى مكان لا يصلها فيه قاصدها الا اذا وصل الماء الى صدره ولا يعطى أكثر من نصف ربع أو ربما من اللال ليتسع لكثيرين •

أتذكر انى أتيت الموردة لأشترى مؤنة أسبوع فوجدت المرك بعينة جدا عن الثمانىء والثاس يخوضون لها وكنت أعرف صاحبها وصاحب الغلال الذى بها وهو خلف الله تاتى فرمعت صوتى له بالسلام وبأنه يلزمنى أربع كيلات مؤونة أسبوع فضحك وقال ارسل رسولك لأربعة أقداح فقط فأرسلت عيد الله عيى الذى كان معى ها وصله بقة حتى بلغ الماء أعلى عنقه فسلمه ربع مصرى فأين يقع من عائلتى • خرجت الى موسى يعقوب الذى دفعتم له الفرق فى الثلاثة أرباب ليرد لى شيئا من أراى اتى اشترتها منه فصحك وقال ما معاه الصيف ضيعت اللبن وأقسم أنه بالأمس اشترى ربعا مثلى من خلف الله تاتى وما زال الغلال يرتفع حتى ألبا اللورد كشنر ليجع التجار بأمر درمان أرسل مساعده خير للمأمور على شوقى ليجمع له التجار بالضبطية ليحادثهم فى أمور شتى فيما يتعلق بمصلحة البلاد فجمعنا المأمور فى الوقت الذى عينه له ولم نبحث فيما قد يسألنا عنه ولم نسأل غيرنا (ممن) فأمل فيهم المعرفة بل جلسنا كل أربعة أو خمسة فأتس ببعضنا ولما كنت من أصغرهم منا لم أجرو

ببصار حتهم بما خطر ببالى مما ذكرته لك يا قارىء حتى وصل اللورد كثنشر سلم علينا فحينئذ بما يليق به ثم أوقفنا المأمور صفا أمامه وسأله واقف فقال ودن يوجه أكثر كلامه لآبراهيم بك خليل فقال له يا عمى آبراهيم بك بدأ حديثه (وكان ينطق العربى كما تنطقه وغمه كما غمهم) قال سعادته لى رأى فى التجارة عرضة عليكم وآمل أن توافقوا عليه أنا أريد أن أمنع التجار الأجانب الكثر من المجيء بنوافهم بل يرسلون أموالهم وبضائعهم لكم ليكون الكثر منكم وكلاهم لهم حنا فيرسلون أولادهم وأخوانهم المفسدين للجنوب وأعرب ليشترى منتجات البلاد من كل نوع ويوصلوها لنا فتجاسبهم على ثمان أسرى حنا فتأخذوا أربابكم معهم ثم ترسلون البضاعة لشركائكم سمر وغيرها فباع بأسعار هائلة فتأخذوا نصيبكم منهم بذلك تتمكنوا من استقلالكم التجارى ببلدكم فصاح كبارنا فى وجهه لا يا سعادة الباشا الحسن قانيا بيوت الأموال الكثيرة بأصحابها فيكونون قريبا منا فنتنفع منهم دمل لهم : ببادا تستمعون منهم فقال اللورد آبراهيم الجريوى : تشهد لهم بطوبى والبجر ونستلف منهم بفائدة قليلة ونرهن لهم أملاكنا من عقارات وغيرها ، وقال آبراهيم بك خليل وجود المال بأربابه فى البلد يسرع بترقيتها ، ما اذا كانوا بعيدا فتح أبواب الظن فىنا ، فيحدث بيننا وبينهم سوء الفهم فقال يوم على كيفكم ثم قال الباشا لأى سبب العيش غالى جدا ، فقال محمد دبلوك (وكان صاحب سفن) لأن الحكومة احتكرت المراكب لنقل مهمتها من بربر . فقال اللورد بأسرع ما يمكن اذا كان السبب المراكب لكان الغلال يكون فى مدينى رخيصا ، فقال آخر لم أتذكره أحمد السنى يتهب العيش فى مدينى (وكنت واقفا آخر التجار ومدينى المأمور) الذى تستس اعترافا لجواب القائل . فاحتاج سعادته وقال أحمد السنى يتهب العيش ؟ ، فقلت لا يا سعادة الباشا الحكومة هى التى يتهب العيش بمدينى . فحقب يديه بظهره وأسرع نحوى حتى وقف أمامى وطأأ قليلا لطوله وقصرى حتى حازى وجهه وجهى وقال لى : الحكومة تهب العيش ؟ قلت نعم . فقال لى كيف ذلك ؟ فقلت أنا أرسلت أخى وهذا أرسل ولده وذلك أرسل شريكه فاشتروا العيش بمدينى بسعر ستين قرشا الأردب وأحمد السنى مندوب الحكومة اشترى لها فى ستين قرشا واهبطت المراكب عن الترحيل . وصارت الحكومة تصرف من غلالها

الذى اشترته حتى خلص خبيات لما اشترناه تكيل شوقه التجسار . تدفع له
 القيمة بسر الستين قرشا . وقد اقطع الوارد من الخارج لأن الحكومة شرعت
 تبنى مبانيها فتشغل الجبال التى تأتى بالملل من الخارج فى قل الطوب فاقطع
 الوارد . قال سعادته لى وقد بدأ يتسم جاننا ما تأكل مخم عليفة ؟ فقلت
 تأكل ولكن من الجالب وليس من الطالب . فطلب منى شرح الجالب والطالب .
 فقلت سعادتك تعرف العربى مثلنا تماما . فتبسم وقال يعنى الجالب الذى يبيع
 والطالب الذى يشتري قلت نعم . فقال لى من هذا اليوم الحكومة لا تشتري
 عيش الا بواسطة متعهدين منكم ورجع الى مكانه ثم بدأ مسألة منازل الخرطوم
 بقوله الخرطوم صار ملك الحكومة باستيلاء الدراوش عليه وزعته الحكومة
 منهم ولكن الحكومة لا تنزعه زعا كاملا الا شارع البحر فهذا لا تكون فيه
 لأحد ملك وتستبش الحكومة أملاك الناس بأسمائهم ثم تعطى كل أحد بقدر
 مساحة منزله أو ملكه فى مكان تختاره هى له غير شارع البحر . فقال ابراهيم
 بك الكنيسة لها ملك بجوار البحر . فقال له نوضها بجوارها فقال أنا لا أحب
 أن أغير مكان منزلى ولا مساحته . فمشى له وقال له : أنا أنصحك يا عى
 ابراهيم بك بأن تغير محل نيتك لأنه لا يكون فى الأماكن الموزعة فى المستقبل .
 فقال ابراهيم بك : مهما كان لا أحب تغييره . فقال له الباشا على كيفك وقد
 فصحتك . ثم ودعنا بلطف وقال : ان التجارة ركن عظيم فى عمران البلاد نسأل
 الله أن يوفقكم فودعناه .

الشدة والضييق يصرفانى نحو العلم :

جاء يوسف أخى من بربر وليس معه الا ستون جنيا . وفى الحال خاطبت
 صديقى مختار محمد سليمان بالهلالية فحضر وحاسبت على أماته التى صارت
 سبعة وثلاثين جنيا أعطيتها إياها رغما عن توقفه من أخذها وطلبه أن تعتبرها
 صاعدا فيما ضاع أو على الأقل تتركها بحساب المائة فتخصم منها ما يخلصها .
 فقلت له يا مختار انت الآن سكنت بالقرى وميشة القرى تتطلب سعى البهائم،
 لتزيد بهذا المبلغ تشتري به مئة بقرات بعد عشر سنوات بإذنه تعالى يكون
 ستين بقرة ، أنا ان أصبحت محتاجا أخذت منها واشترى بقرها غيرها فأقيسها

معك ، اما اذا تركتها لى كلها فلا تنفعنى بشىء فى أم درمان مع كثرة عائلتى
و تعطيل تجارتى ، فاباعها عنى يكو ذخيرا لى ولك عسى أن تنفع منها .
فأخذها وجموعه تجزى حزنا على مصيبتى فى مالى ومصيبتى كما قال فى كلامه
رحمه الله رحمة واسعة : وجربت التجارة بما بقى عندى وما آمله من معارفى
يمدوننى بما يساعدنى فلم أنجح خصوصا بعد ما جاءنى أخى يوسف مرة يسكنى
فقلت له مالك . فقال لى انه مر بجماعة فسمعهم قالوا انظروا الى عنق يوسف
كيف صارت رقيقة وجسمه كيف اسود وضحكوا . فقلت له يا يوسف ان هذا
الانقلاب قد حصل للناس الا قليلا واحدنا من ثلاثة رجال . رجل مات وضاع
ماله كالخيلين ورجل مات وبقي ماله للوارثين ورجل ضاع ماله وتبقى هو حيا
ينتظر روقه وقد اتسع بتجارهم فأبهم الأحسن ؟ قال الثالث . فقلت السنن من
هذا العريق فضحك وقال : والله يا أبكر منذ صاع مالنا ما انشرح صدرى ولا
ارتاحت نفسى الا بمصيحتك هذه . فقلت فى الحال هذين البيتين :

لكك الدراهم ما صرين لأفها تبقى لمن هو صائغ أو أمر
سكنها مضروبة لتتقلى عن ملك من يحوى لها هو آخر

فحفظهما فى الحال وقال انه يقرؤهما كلما حصلت له حصة الذكرى بضياع
مالنا هيتنعم بهما .

رجعنا للسوق فر على بالدكان جهادى سودانى يصل يده الجزء الأول
من تفسير الكشف بطبعة اميرية وورق جميل مصقول واخبرنى انه اخذه
من بيت شيخ الدين فاشتريته منه بخمسة ريالات . وصرت ابصت عن الجزء
الثانى حتى وجدته عند الشيخ عبد اللطيف وبيع الله اشتريته منه على قدمه
بخمسة ريالات ، وهما عندى الى اليوم ومالمت الكثير منها وكتب على جزء
منها الثلاثة الايات الآتية :-

ان الزمخشرى فى الكشف أبدي لنا
جواهر غامض القرآن توضحه

فَقَصْتُ ١ حَلَّتْ الْإِسْخَرْسِيَّةُ فِي جَدَلٍ

من العلوم وشيخ الصدر شرحه
فروغية يافع والزهرى مبتم
فكن أخى من أولى الألباب شرحه

زارني يوما أبناء عمى مختار محمد العامل وعمر الصادق وعبد القادر
الأمين (كاتب الأمير يعقوب) فقالوا جئناك لأمر مهم وهو إذا لاريد أن تفرق
فمستكناا القيلة بعد أن جئنا الله تعالى وأن أم درمان لا نستطيع أن نسكنها
لصعوبة معيشتها المركبة وعدم تسكيننا . قلت أوافقكم بشرطين أحدهما أن
نسكن بلداً فيها سوق لنكتسب ونعلم الأولاد والثاني لا يكون بعد مدنى
جنوباً ولا بعد التمة شمالاً فقال مختار نسكن الخوالدة وقال عبد القادر
نسكن أم سنط الجايراب جنوب مدنى وقال عمر الصادق نسكن أبو سليم
غرب الدامر . فلم أوافقهم لأن شرطا واحداً من شروطى لم يتوفر فأخلفنا
وتوجه كل منهم للمكان الذى ذكره وسكنت رفاعة بعدما أكثر مختار محمد
العامل مخاطبتى بسكنى حلة على الحاج طه التى بينها وبين رفاعة النيل والى
يشاع أن تكون بها عاصمة مديرية الجزيرة . فأرسلت والنسب وزوجته وزوجتى
حفصة بأولادها ومهم رفيقى ثم لحقهم ورفقتى يوسف وبابكر البشير
والرباطي أحمد البشير والمصباح على حمد السيد ، وسألت قصة مضحكة
لهذه الجمعية ، فلما ألقنا بالمصاحبة وكأف ثلاث قطاطى على شاطئ النيل
أخذت أنظر وأنا متوجه حلة على الحاج طه لما يلزم ساكن القصرى من المرعى
والعطب ولين الزراعة فلم أجد فيها ما يدعو الى أو يستحق الترغيب فيها
فوصلناها بعد المغرب وبعد أن تبادلنا التمية وما كنت أميز شخص على الحاج
طه فقلت لأختار أن ملحك لحلة على الحاج طه لم تصدقه ضولحيا بقى ملحك
لعلى الحاج طه إذا كان مثل حلتى قطلى الدنيا السلام . وقف على الحاج طه
بعضاى وقال على الطلاق على الحاج طه رجل كامل بسجيك فى كل ما تمنحه به،
قلت من أنت ؟ قال أنا على . قلت اعتذر لك . قال لا تستر إلا بعد أن تفتنع

(١) فى سياق تفسيره يقول الرمضرى فلن قلت كلما تقول كلما نظمتها الوالد
فقله

برحوتى قلت حاضر وأصبحت فوجدت أولادى فى غرفة تحيط بها زريبة شوك
 وقنينة مطبخ ولواندى كذلك ورقيقى فى خفاطى . فلم أقم بها إلا أقل من شهر
 لأنى كنت استلقت فارتيت جنبها من محمد منصور أعطيتها يوسف أخى وقلت له:
 إذا طلبها منك فاقمها له وإذا أمهلنا فاشتري لنا بها جبلا واحصر بها سرىما
 لتوجه بكر كرج ببسانا . وقبضا حيث نجس الصغ ليكون لنا رأس مال
 نتديء به تجاره جديدة . فامرسل لى يوسف جبليين أحدهما مريض وتأخر
 بآه درمان . فوصلنى جواب من ميرغى شكاك بأنى لا أقتطع من المال الذى
 عند يوسف فائدة لأنه شرع يلعب به مع أحمد الباتبرها فى جمعية نساء
 سقييات . وحيث لم يصلنى من يوسف خطاب اعتلعت خبر ميرغى وسافرت
 بالريق والجبلي وصحبني فى هذه السفرة موسى الشماي وبابكر البشير فلما
 وصلنا مدني وجدنا مرض السحائي منتشرا ومهولا به أكثر من قبله . فخرجت
 من مدني لأم سبط حيث عبد القادر وبيت عبي مالك بها فنزلت عند عبد القادر
 لاتساع بيته ، ففخر على بقوله أنا سائد فى هذه الحلة قلت له الله يعنى عينك
 انت كنت سائدا فى أم درمان التى جمعت كل أعيان السودان ، ثم قلت له
 يا عبد القادر العاقل يجاور من هو أغنى منه أن لم ينل من حيره لا يكلفه شيئا
 ولا يحصله على شيء ويصادق من هو أعلم منه يستفيد من مجالسته بدون أن
 يصيب رما من عمله . أما من ساكن أقل منه يعرض نفسه للضربة أو للمرة لأنه
 إن بدأ يحسن اليهم يضيع ماله ويصلنى فيه المثل القائل عنى الفقراء فقير وإن
 يخل عليهم يسيئون سمته ويجهلون فى ذهاب ماله . فأنى أنظر اليك بعينى
 المستقبل بعد خمسة سنوات تصير مثلهم . إذا وقمت بيوتك لا تستطيع تجديدها
 لأن الرقيق يدخل مدني فيتحرق ويهالك تضيع ما بين السرقة والبيع . وغلا
 بعد ثلاث سنوات مررت عليه فوجدت حاله فى نزول سريع وفى أثناء وجودى
 بمنزله خرجت بالركوة حتى وصلت المتسابر فوجدت الناس يحفرون لموتاهم
 بالسحائي ومن العجيب انى رأيت أحد من يحفرون وقع فى الأرض فخرج
 (حمل) لمنزله فإذا الخير يعيننا انه توفي . فحضر له بعد أن كان يحفر فداخلى
 من الخوف والله عالم به فسافرت بمن معى فلما مررت على قرب حلة بقادى
 لقينا نساء قللت لهن أبو فرار (السحائي) ما زال (رفع) عنكم . فقلن ليتنه
 لم يرتفع أخذ رجالنا فليعلمنا بهم . وصلنا البراب فما رأينا بيتا فى رأسه زحف

مما يدل على انه يت عرس إلا أخبرنا أن عرسه مات فازداد خوفاً ، فلما وصلنا حلة الشيخ طلحة وجدنا الشيخ محمد توم في المقابر يحفر للاموات بيده ، فلما حملنا للسفر جاءنا رجل جزار طلب منا أن نبيت عنده لأنه رباطي ونحن رباطاب معروفون لنثبت له نسبة المشكوك فيه عند موطنه فأخذنا بطايره وفي تلك الليلة شمعت بدوار وتحرير في المعدة لدرجة اني لا أستطيع أن أتكلم فأيقظت بابكر البشير وأشرت له بعمل شئ فعملوه لي هو وخميسة أكبر خداماتي . فلما شرته انطلق لمانى وتيقنت قرب اصابتى فحولت على نفسى فعداتها وقلت :

أبا بكر لا تخش المات فانها متى تصرم الآجال في اللوح تأتها
فانك من قوم يموتون كلهم ومن يك من قوم سينعت بئعتها
فجاءتنى خيسة ويدها مسط فيه سمن وقالت لي يا سيدى أظنك
أخرجت مما أكثر مما يلزم اخراجه حينما لصجت بطنى ولهذا حصل لك هذا
الدوار ، أتركنى أسعطك بهذا السمن في أثك فرضيت . فلما فرغنا منه ومضى
على نحو ساعتين تماسكت قوتى وأخضفت تنمش ونسيت أوهام عوارض
السخاني فلم أشعر بمد بالخوف ولا بالوهم والحمد لله .

بعد الفتح بأيام جاءنى عمى الشيخ سالم ومعه أخته زوجة الرحم
القاضى والد الخضر الذى قتل بالثمة وقالت لي لنا عندك خادمة ومصحف
فجئتكم لتمطى المصحف . فقلت أعطيك الخادمة فقالت لا أكرمنى بالمصحف
فلما اشتد طلبها كما اشتد بغلى بالمصحف قال لي عمى الشيخ اعطها الخادمة
وعشر ريال مجيدى . فقالت أرنى المصحف لأنظره فقلت هل تعرفينه هو صفته
فلما جئتها به اضطرب بطنها وقبلته وبقي عندي هذا المصحف الى رفاة حيث
استعاره منى الجيد أنلسى عبد الله واستعاره منه أحد أصدقائه فشدت عليه
في ارجاعه لي فشدت على صديقه الذى رده لأولاده يرفاعة والجيد أنلسى
بأم درمان في مرضه الذى مات به . فظهر المصحف في تركته فاشتريته منها مرة
أخرى لأن صديقه الذى استلفه منه وضع ختمه على كثير من أوراقه بحيث ان
يقال انى مدعيه كذبا فاستحققت دفع ثمنه .

وصلنا كركوج وقرلا بمنزل أبو السعود الفكى على وأرسلت عبيدنا
لحلة أمى بقة محل الصنع ولكننى لم أصحبهم فلم تصبح في مأموريتنا ، جاءنا

البدوى على الأمين وخالي خالد ، ولكن محمد على الذى أعطيته بطانية تساوى خمسة جنيهات لم يعطى شيئا صار البدوى أخوه يقول له ادا كتب لا تعطيه شيئا أرجع له طائفته ، وعبد الرحيم مبشر المدنى الكرم أعطيته ثوبا حريرا بأم درمان وأكرمه كل الاكرام فلم يعطني شيئا ولا عشاء ولا زواجة ففجبت مما أسمعته عنه وما رأيته فيه . والبدوى طالبنى بأن آتى بأولادى لكر كوج وهو مستعد لمساعدتى فقلت له لو ترفع الحكومة لى حلتكم كلها أحد صرائبها لا يمكن أن أسكنها .

كنت فى ضحوة يوم جالسا بين أهلى المحتضن بى بطلة أم سط متصنرا مجلسهم إذ جاءنا عسكري يدعى سعيد فطلب شيئا غير لازم له ، فبدأت أخاطبه وليتى لم أفعل . ههجم على وأخذ يلحيتى ، جرنى اليه وصفعنى وسب ديبى وجنى ، وكل من حولى لم يد حراكا . فذهبت للمأمور بحلة كركوج التى لم تبعد عن أم سط أكثر من ميلين . فقدمت له ولتأبى شكواى بهذه القصيدة المصنعة لها وللتعلق :

يا من يثاقب فمه لقيبا شهر	أحمد يا فهمى مأمور الهندا
بك أسستجير قيا مجير المذجر	يا عبد فتاح أفسدى ها أفا
سبا وضربا منكما به ما أمر	نقر سعيد اسمه قبل سامنى
هونا يجبر وقاصرى عنى زجر	ديس وأبائى يسب ، ولحيتى
والكل عندى هيبة لكما عذر	والنابس حولى فى صفوف بهت
أمن البسلاد وجابرا عظما كسر	أبليق هذا بالعريب واتما
كر كوج منحلّت ركابكما انتشر	موضى الفتوح قد انقضت والعلل فى

دخلت عليهما فى غرفة صغيرة لا تزيد عن أربع أمتار فى طولها فتناول القصيدة منى النائب عبد الفتاح أحدى ، وبعد أن قرأها حدد نظره لى فما درب اعجابا بى أو حقا على ثم ناولها المأمور محمد فهمى ، فلما قرأها وضعها على مكتبه ولم يسألنى عن الجانى ولا فى أى بلد جاء . وأخذنا يتحدثان بما لا علاقة لى به فخرجت أجرة ديل الخيبة والندامة ورجعت صامتا حاتقا .

جاء أخى يوسف وعنده قيمة خمسة جنيهات دمج برانى وكنت جمعت نفورا من اثنى عشر أرديا درة أنزلتها فى مركب وقلت لىوسف أخى عند توديعى

له . هل بقي عندنا شيء نملكه بخلاف الرقيق والجمالين والتمج الذي أحضرته
 انت ؟ قال لا قلت استلم الجميع وأنا أن شاء الله أصير معلما في أحد المساجد
 لأبي بحمد الله عرفت ما أعلمه الأيمن وأنت قم بمغيشتنا أو أتركنا نموت
 وودعتنا وسافرت ، فلما وصلت عمارة على الطاج طه وقبل وصولي لرفاعة
 جاءني بعد نصف الليل صديقي محمد دياب ومعه خمسة رجال بحميرهم ،
 نهوني بأسي فاستيقظت وطلعت عليهم (خرجت لهم) والفنيار بيدي وبعد
 التحية أخرجت التعريب الذي كنت نائما عليه بفراشه وأخرجت برشا كبيرا
 ومخدلات ونمرا وعليقة لحميرهم . وقلت لهم الشاي فيكم يرقد على هذا
 التعريب وأنا واتم نام على البرش ، اما اللف للحمير فمعدوم بالبلد فاتمشوا
 كلهم بالتمر والشاي وبقينا على البرش . فلما أصبحنا طلبت خافتي خيسة
 فسلمت لهم عصيدة فطروا بها ، وقالوا ناسفر فاذهبت لهم وشددت حماري
 وركبت معهم للمشرع . ونحن في الطريق قال أحدهم الله يغيبك يا محمد دياب
 ويحب صاحبك فحرت علينا فصل بابكر بدرى يريح بالنا وفترنا ويشبع جوعتنا
 ساهرنا الليل حتى وصلناه لم يشبع جوعتنا ولا أزال لنا فتورا ولا ذبج لنا ذبيعة.
 فقلت له ما بيتي ولا يدي شيء يغلب به عليكم ولا عندي خروف أدبجه لكم
 ولا ما اشتريه به . هل تريدني أتدين لكم الخروف والبن والشاي والسكر
 وتمسحوني وحين أرجع منكم أجد صاحب الخروف وتاجر البن والشاي
 والسكر يطالبوني فلا يجدون حقوقهم فيتمسحوني ويشبعوني سبا ، هذا حرام.
 فقال لا إذا لا فصل زوجتك لنا عشاء ؟

، بنيت قلية بزرية حمد الريطابي واشترت أخرى لضيوفي ، سكنا برفاعة
 في أول ربيع أول وفي ستة عشر من ربيع آخر ١٣١٧ في ليلتها جاءني ابني
 الحسين طلع معي التعريب وقال لي أنا محموم ، فلما لمست رفت يدي لحرارة
 جسمه وأصبح بحالة خرفة جزأ بما كان يحفظه من مديح أحمد أبي شريعة للنبي
 صلى الله عليه ونهلم وبعض أصحابه . فمن الدهشة قلت يا الحسين تحفظ
 الحسين ثم آب إلى رشدي فقلت لو أن الحسين رضى الله عنه قادرا على الحفظ
 لحفظ نفسه من القتل . وفي نحو الساعة ٨ ليلا أخذ في النزاع وخرجت روحه
 وعمره لم يكمل الخامسة من سنينه لأن ميلاده وأخته توأمته يوم عشرين
 رمضان سنة ١٣١٢ ووفاته ١٦ ربيع آخر ١٣١٧ . وفي ضحى اليوم الثاني دفن ،

فكتبت ليوسف خبر وفاته في ثلاثة آيات من الشعر تضمن تاريخ وفاته وأمره بالصبر :

لحد الحسين لست يوم قد مضت من بعد عشر في ربيع الآخر
فاصبر أيوسف واحتسبه لربه ان الجسزوع لدى الاله بغاسر
حيث البشارة بالصلاة ورحمة وهداية حصت لمبد صابر

فأخبرني يوسف انه لما وصله كتابي هذا أمسك برأسه الذي صار تضرب عروقه خمسة أيام لم يدق النوم فيها . أما أنا فكعدتني لم أجزع بسمع ولا بصوت حتى جاءني جبارة العوض المرضى ودياب اللذين كانا معي في أول الليلة التي حم فيها وكان يمدح لنا بمدح أبي شريفة وأنس به وتمجيب من ذكائه وبباهته . فلما رأيتها نزلت دمة من إحدى عيني ولم تتجاوز حاجرها اذ ربما يكون ما بالصور أمر من مأثم الدور وقد قلت في ما حصل لي به قصيدة دالية في كتاب شعراء السودان وبدأت أخرى طما وجدتني تأثرت حتى كنت أتجاوز الحد تركتها بيتين فقط :

مات الحسين فهل من بعده خلف
مولاي كي يستقيم السلوك الدف
وتنظم زفريات من توجعه
أم هل قضيت بأني هالك ظف

أما الدالية فمطلعا :

سهام المنايا للمباد يريد قلوب تحلت بالمرور تريد
ومننا :
يقولون لي لا تأس والبأس واقع وكيف لمبرى والصين فقيد
ومننا :
يذكرني ليلى تسيل روحه وشمسى تذكرينه وهو لحيد
فلا تنكروا شعري رثاء وسلوة ولا تصع عيني انه لجمود
فقد دمت عين النبي على ابنه ولي أسوة ان الفقيد وليد

ومررت على قبره مرة غير شعور وقصد وقتت عليه وقلت مرتجلا في الحال :

يا تربة ضمت أحب الناس لي بعد النبي هلا أجبت دعائي
ردى التحية عن رميسك انه زين الحياة وراحة الأحشاء
كل هذا الجزع لا شك أن سببه عدم الشغل الذي يصرف الفكر بما
يملؤه من العمل البدني الذي يتبعه التفكير ، اني متأكد انه لولا فراغي من
عمل يشغلني عنه ما كنت أمتب بذكره ولكن كما أقول (أكبر شغل عدم
الشغل)

جاءنا الخريف وهنت بلادا بكان يعرف بالصقور بجوار بلاد عمى الشيخ
عبد الاله أبو من . فلما شرعنا في الزرع كثر الغراب واشتد في بحث التراب
(البذرة) ليأكلها فبحثت بقلل وقرب وقسمت الناس فرقتين وأقام مع من يجلبون
الماء من التقي (جمع قاة) والتروس (الجسور) ونسلك بها ما يزرعه الزارعون
قبل أن يبعث الغراب ، حتى اذا فرغوا من زرع الشيلة نكون قد سلكتناها .
فقال لي الشيخ عبد الاله : مسند خلقني الله زرعته بنفسى ورأيت الزارعين
ما سبقك أحد على عملك . ومنغ تعبنا هذا لم تتجح هذه البلاد لأكلها
الجراد . وبعد أن فرغنا من هذه البلاد زرعنا بلادا أخرى بجعة يقال لها حشيش
تبعد عن رفاعة نحو عشرة أميال وبلاد أخرى بالمع حيث أجرنا فيها جماعة من
الديم القري (القريداب) كان من بينهم ولد صغير الحجم فطلبت منه أن يكون
نصف رجل فقال لي يا عمى السلوكه أليس الناس يرفعون رجلا ويضمونها
معا ؟ قلت نعم . فقال ان قصرت عنهم اعتبرنى واذا أتممت يومى مثلهم أكون
رجلا قتلت فليكن ذلك . فتم يومه مثلهم تماما . واليوم هو في مركز عظيم
بمدير كده بهومنهم قاضى مديرية ونظار مدارس . لا أعرف لمماذا يتكبر
الانسان عن ذكر ماضيه . ألا يعتبرف انه كان علما وقد ولد عاريا . وهبل
الانسان الذى يكون نفسه بلا مجد مورث أقل أهمية أو مبهمة أو فخرا في
نظرهم من الذى ورث المجد عن أهله وحافظ عليه ، هذا هو الرأى السائد
بين سبلاء الاجتماع الحقيقى .

أول مدير عين الجزيرة بلوت بك مدبرا ومعه من الاجليز نائبه مكون
بك والمفتش المستر كراين فقط ومن المصرين اليوزباشا محمد شريف مأمور

وابراهيم ناصف نائب مأمور وقسطنطين أفندي سعد السوري باسكاتب وجعل
مركز المديرية في مكان أفاض مدينة اربعي الشهيرة .

كان أبى حينما أمضى الى السوق لأؤجر المزارعين يترك لى حمارى ويمشى
برجليه فقلت له يوما لماذا تركت الحمار وتمشى برجليك ؟ قال ليأتك تنأخر
لتحضر الأجراء والنفاء فتحتاج لتختصر الزمن وتبأثر عليهم . أما أنا فأقوم
مبدرا فلا أحتاج الى تقصير زمن . فقلت له طيب هذا عنك فى الصباح فما
عندك فى رجوعك راجلا فى المساء ، وما عذرى لمن يرانى راكبا ذهابا وإيابا
وأنت تمر عليه راجلا . فقال أما فى المساء فانك تنأخر لتدفع للمؤجرين وأنا
راجع مبدرا أيضا أصل بيتى قبل الليل فقلت : ألا ترى انك عرضتني لسبة
الأدب وآثرة النفس فيقول الناس فى ما شأوا . فضحك وقال بمن الناس هل
يوجد من يجسر (يمنع أو يحبس) عنه لسافهم . قلت غير هذا أرقق بالفرقين
عوض الله يركب وراءك على الحمار يوصلك البلاد ويرجسه لى وكذلك مساء .
فقبلنا بذلك أنظر للوالد مع ولده وأبلغ من هذا انى لما رأيته يمنعنى من العمل
وقت الحر ، صرت أحرم عليه ليرقد تحت شجرة فى البلاد وأجلس بعيدا عنه
ولما أظنه نام أقوم فى الظهيرة أحض بالملود فيأتينى ويأخذنى من يدى ويرمى به
فى الأرض فأجلس فأرجع للحش كلما قلب غنى الله نام ، فجاءنى أخيرا مزعجا
واستلم منى الملود وقال لى يا ولدى أنت عالم وتاجر وصانع ، أتترك الحش .
« الحش موشورة حق المانى والمورة » ، وكسر عود الملود الذى كنت أحش
به ، فما عدت ثانية أحش الا فى وقت البرودة . ومن العجيب انى لم أشعر
بالحر ولا بالفتور الذى يحس والذى لى به وذلك لقوة الدافع النفسانى
عندى . بعد ما انتهيا من الحش قسم السوق برفاة بواسطة المأمور عبيد
المرز أفندى مجدى الذى كان مهندسا ماهرا ولكنه كان صلبا لا يحول
عن رأيه . طلبنا منه أن يجعله شرق الخور ليتجنب وضعه على المقابر . فلم يأبه
بطلبنا ولما قلت له لا يجوز وضع بناء على المقابر والى القبر حبس على صاحبه
فقال لى وهو يضحك مستكرا قولى : سيدنا الصنمين والسيدة زينب وكل آل
البيت بمصر كان كل منهم فى جبانة تسمى باسمه والآن لم يبق الا قبره ؟

وكان قد غضب على مرة لمقالة مسخوها وبلغوه أياها ، وكان عنده مرة
الشيخان محمد عمر البناء والتاى سعيد فجاءت سيرتى فقمنى لهما فمارضاه .

وأخيرا طلباني فلما دخلت عليهم قال لي الشيخ البنا حضرة الأمور زعلان منك .
قلت أعوذ بربضاه من غضبه فتبسم وقال لي أنت قلت الأمور لا يقصدن
يشنني ولا يؤذنين ولا يقصدنني بسوء ولا يظلمنني . قلت نعم ولكنني رددت
على من رماك بذلك وعللت لكل واحدة علتها حينما قال مخوفا لي بطشك
وسبك للقسوة والظلم . قلت بماذا قال يظلمك . قلت لا ففدله يمنعه . قال
يسبك قلت لا عقله يمنعه قال يقصدك بالسوء قلت لا شفه يمنعه ، فرقص
الشيخ البنا ، وقال ألم أقل يا حضرة الأمور الرجل عقل لا يتطرق على لكاته
ما وصلك هذا مدح لم أسمع بمثله ، شهادة بالعدل والعقل والشغل بما يعنى .
فأمرني بالجلوس ، فجلست ولم يسئني بعدها أبدا (الا بعدما عارضته في
قضية أحمد ولد الصكني محمد كما يأتي في مكانه) حينما قسم لنا السوق ولم
يكن يدي . هود كافية لبناء دكاكين أجرت أربعة عبيد مع رقيقتي وأجرت رجلا
يسمى سالم الطاج محمد بناء خالوس ملهرا أيضا صادقا متغلصا وصرت أضرب
في اليوم ثمانمائة طوبة يدي في الصباح خمسمائة وفي العصر ثمانمائة أو أحصل
المرية المحيطة طوبا مع أحد عبيدي وصرت أتعهد للناس بتامد دكاكينهم لأجد
ربها أبني به دكاكيني العشرة بخلافه سمس في الوكالة ومن ربحي هذا وما
ربحته من سالم البناء بنيت به وفي أحد الدكاكين كنت أشد المونة للبناء كعادة
البناء القديم وكان البناء بدأ يضع حياكة الطوب الأخير الكريشي والبرايت
وملها ان الطويات عند الركن تكون زائفة قليلا للخارج فمسيته وحملت
عليها حالت بي فلما بلغت أسقط على ظهري خطر بيالي أن أقفز لأعتدل حتى
أصل الأرض برجلي فقفزت فملا في الحال نحو الحائط ووقعت على رجلي
ففتنت هذه الحركة ولكنني لم أستطع أن أهد الحركة الثانية وهي بمجرد لمس
رجلي للأرض أميل الى جهة أخرى لتساقط الطوب الذي سيتبعني مما مال
للوقوع فوقت الطويات على ظهري وإن كانت آلتني ولكنها أخف من وقوعي
على ظهري من علو يكون أكثر من أربعة أمتار تأمل هذا الغاظر السريع في
لوقت الحرج الضيق وكيف فقد بلفظ الله تعالى .

مات الحسين كما تقدم وعظمت أمه بحبل فكبر أملنا في أفا نرزق ولدا
ينصف لوعة الوالدة ويأثم جرح الوالد وفي ليلة عشرين رجب نحو نصف الليل
والقمر بدر أخذ والدته الحسين الطلق وأنا صاح أتنظر خلاصها فزغاريد

النساء فإذا خلصت بسلام والنساء سكوت وقد جتن لخبية أملهن فجاءتني السهوة وقالت قم تشجع زوجتك وأما فقد بهتت كمن صبت عليه المطر قلت وأنا صبت على المطر مثلن فأخبرت والدي الذي جاءني وقال لي : انت عالم فتغضب ان رزقك لله بتا فقلت لزوجتي وقلت لها سرني خلاصك وابنتك ولد ذكر لأنها ستكون حصانا مثلك فلما ذهبت للسوق لاشرى البهائم فكلما رأيت خروفا صغيرا فعينما أصله أجده كبيرا لا يوجد عدى ثمنه عكس تسمية أمته التي وضعت في ٢٠ رجب سنة ١٣١٤ وما زلت أضعف أملني في الضأن حتى انتهيت الى شراء عنز مسيها بها فلما سماها أبوها يوسف السارة قالت السهوة (سرت من ؟ أبوها أو أمها الا تبين حزنا في لها لأنها ينتظران ولدا) فالحمد لله قد جاءت خصافا رزاقا .

الحكومة تفرض ضرائب غير مالوفة :

في بعض الليالي طلبني الشيخ عبد الله عوض الكريم فتبعت رسوله حيث وجدته وشقيقه الشيخ محمد والشيخ حميد والشيخ محمد عمر البنا وكثير من أعيان رفاة فأخبرني متكلمهم أن ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ قد اغترب بكوثه عن شيخنا للبلد وبمعية الأمور له وقد ذكر أهل البلد بسوء موقدا اجتماعنا هنا لنقسم البين على هذا المصحف (وأشار للمصحف موضوعا على كرمي) على أن نسمي لمزلة من هذه الوظيفة ولو فضي في عزله بأولادنا وأموالنا فقلت هل عنده خير يقصدكم هذا قالوا لا قلت ارسلوني له لأخذ الشيخ موسى يعقوب صهره مني وأتعهد لكم آتيكم منه بطله الاستمفاء قبلون قصدكم منه بلا تميب فأنكروا على وسفها رأبي وبدعوا يطفون حتى وصلني الدور فوضعت يدي على المصحف وقلت أقسم بالله اذا صح قولكم هذا ٥٠٠٠ ولم يتخلف واحد منكم لاستمرت معكم في الاقدام حتى يزل من عشيقه البلد ولا أحمل له عداء بعد الزل اما اذا تحلف واحد وظهر ضعف في الرواية فاني محتل من البين وفي الحال ابرزوا طلبا للامور محكي فيه السبب ومطلوب فيه عزله من مشيخة بلدة رفاة فامضى فيه جميع الجالس وفي الند لوصولهم للامور ولم أكن معهم أينجلي بالبناء فلما رجع محبوب خليل وكاز معهم أخبرني ان الأمور سبال

المدعى عليه فأفكر وقال للأمور ليحضروا شهادا غيرهم فقال له الأمور اذا
 كثر الخصوم يعتبر منهم البعض شهودا فحفظت هذه الجملة للدفاع بها وفي تلك
 الليلة أخبر الأمور بأن سعادة لوز باشا مدير المديرية سيزور دفاعة يوم الأحد
 المقبل فعمل مكتباً لهذه القضية بالجمعة فجلس على كرسيه واصطف الناس
 أمامه صفاً وكتب على العرصحة بالقلم الأحمر بخط كبير مبين ان هذه القضية
 مرورة انشاء الله بيازى مقدموها جزاء يكون زجراً لهم وعبرة لغيرهم ثم سأل
 وهو ممسك بخرق من البنا هل عندك شكوى من غير هذه ؟
 فقال لا ثم عثمان ود اسيد ثم سالم عبدالأمين حتى وصل أحمد أبو قرين فقال له
 أنا من أهل حة أيده وجئت للسوق فوجدت جمعية وقفت عليها فسمعت
 وهو مغضب يقول أنا لا أسأل في سكان دفاعة هم كلهم الخ .
 فسكت عنه وسأل من بعده حتى وصل محمد سليمان المحصى وهو يقول لكل
 واحد : هل عندك شكوى غير هذه ؟ فقال له محمد سليمان : نعم هو قال
 لحضرتك ان بنت محمد سليمان زوجة المهدي متممة عن الزواج فيجب أن
 نكرها لتتزوج فغضب الأمور وقال له : يا رجل أنا سفيه فقال محمد سليمان
 حاشاك لو كنت سميتها لواقفته ثم سأل من بعده الى أن وصل عبد الله منصور
 هل عندك شكوى الشيخ قال نعم انه أخذ أربعة خرفان رشوة من أبي لكليك
 قال للأمور أين أخذها قال له في ظل منزلك الشرقي قال الأمور ولأى سبب
 جئت منزلي قال عبد الله أنا جارك فسكت وسأل حتى وصل الشيخ البنا الذي
 كان قبلي مباشرة فقال للأمور بصوت التهديد أنا عارف يا شيخ البنا انكم
 اجتمعتم وحفظتم الكتاب على في هذه القضية المزورة لأجسل خاطر
 ناس دفعوكم لها وانكم ظالمون انه يعلمني عنكم سياكم وانكم حاسدوه على
 وظيفته ولكني سأقتفيها بتحقيق دقيق يظهر الحقيقة فيعاقب المحرضون كما
 يستحقون قال الشيخ البنا للأمور نعم نحن أقصنا اليقين ولكن القضية واقعة
 طبق المكتوب قال الأمور طيب تشوف فلما سألتني وكنت آخر الناس فيما يليه
 قلت له يا حضرة الأمور ان وطني برفاعة كالمولود بها كل صغير
 يناديه يا عمي اني أرى أن هذه القضية ثابتة عليه فنهتني قائلاً : لكن
 ما فنيش شهود قلت له قد أدى أحمد أبو قرين شهادته قال شاهد واحد غير
 كافي قلت اذا كثر الخصوم يعتبر منهم البعض شهودا قال بحدثة انت قرأت

القانون قلت حضرتك صرحت بهذا بالأمس فبلغ رقبه وقلب الورقة التي بها الكتابة بالقلم الأحمر وسكنت قليلا ثم قال ما أظن هذه القضية لها أصل من الصحة فبادرته بقولي ان حضرة الأمور قال نحن موزوزون من أناس نحشاهم نحن لا نأكل في قندح أحد ولا نتصرف من حبيبه والمسيد الآن عرفوا حريتهم بالحكومة واما قول حضرتك هو يرفع لك أخبارا حضرتك لا تعتمد عليها الا بتحقيق فلا خوف علينا وقول حضرتك أنا حاسدوه على وظيفته فهل فحسده على الجسري يكون مربى حضرتك الأحسن انه يستغنى وحضرتك تستطيع أن تمينه في وظيفة تعلمه خير من هذه فالتفت انبه قائلا : أنتستغنى قال نعم هم لو طلبوا مني الاستعفاء هوذا شكوى لاستغفيت وقسم الاستعفاء في الحال فمضى الأمور الطلب ثم قال سعادة المدير يحضر برقاعة بعد يومين ولا بد من تعيين شيخ لمدينة رقاعة يكون في مراقبته لما يطلبه فقال الشيخ عبد الله الذي كان جالسا على الأرض بجانب كرسية تبين محمد خصافي قال للأمور لا ينفع قال الشيخ تعيين عوض الكريم ولدي قال هو عدة وقافض في عودته قال الشيخ أنا أكون شيخ رقاعة قال الأمور وتساؤل عن وكالة النظارة قال الشيخ عبد الله تنازلت قبل تعيينه . ولما جاء لوز باشا وتولنا لمنازلت بالبحر قال الأمور الشيخ عبد الله أبو سن شيخ رقاعة أفنى أمام سعادة المدير فركب الشيخ عبد الله حماره وخدم المدير فحق على الأمور مع اني أخذت موافقه المرجح .

في هذه السنة حصلوا منا الضرائب القطنان والمشور ثم ردت لنا من الخزينة لنكل أحد ما أخذ منه وفي هذه السنة ابتدئ وضع الخضر على المنازل بواسطة لجنة كنت فيها رئيسا حارثا فعملت الكشف بواسطة ثمانية أنصار من الذين يعرفون حالة الناس أكثر مني لنيابي عن رقاعة نحو خمسة عشر سنة وما جد فيها من الغرائب بسبب مطاعة ستي ٦ و ٧ فكتبت كشمفا بعبر رقعة حمراء وبخطي وختنته لكن أحمد أفندي الفكي وقائب الأمور غيروه كثيرا بزيادة من فئات الأشخاص بوضاه على الأمور الذي صار كلما اشتكى له واحد من حارثا يضيف على اسمي ما يلقيه زيادة عن طاقته وفي آخر مرة كتب لي الأمور على طلب أحدهم عبارة « فذني يا بابكر على هذا » أخفت هذا الطلب وذهبت

للمأمور بمكتبه فطلبت منه كشف حارتنا فأبرز لي الكشف بخط الناب فقلت
هذا الكشف ملعوب فيه فنهزني وقال انت تتكلم بلا عقل قلت لا يا حضرة
المأمور ان من لا عقل له اذا وقف أمامك يعقل وانى اذكرك انى حينما قدمت
لك كشفى يبدى قلت لى كشفك ناقص عن الثلاث جنبها حصته ٨٧ قرش
وغيرك كذلك من أين تم الـ ١٢ قرش قلت من السوق قلت حضرتك تعرف
تبحث عن تمام هذا .

بعد ما أتممت بناء السوق توجهت لأى حرمان ومعى موسى حالد وموسى
الشامى بعد تسعة شهور غتسها عن زوجتى التى كانت بأى حرمان وكنت
لا أملك جريها فلما مرنا بالكاملين خرجنا من السقينة لنتركها بطة وللمراوه
وقصدنا الطبيب شيكة الذى استلفت منه جنبها أخبرنى أخيرا انه بسبب قوده
قوجدها ناقصة رالا فصار يجرى وراءنا يملأنا عنه لعله يكون زائلا فى الجنيه
رسلتنا ولما يتبهد من الجرى يقف ويقول لو انى بأكبر يجهه زائلا يخبرنى عنه
قال ثم ارجع وأقول أصبغ ربالى بالنظر ثم أجزى حتى أتى أكثر من الأولى
وهكنا حتى يهتيم عنى فرجعت مرصا وصلنا بطة ولد راوه فوجدنا سوقها
عامرا اشترينا صفيحة قرشين وملاها مسلى بخمسة وستين قرشسا وحفظت
الباقى فلما وصلنا أم حرمان جت بنتها بقدر قيتتها فأكلت والجنيه ونهضت لحام
الصفيحة عند حد يلقى السن ثم أخذتها ومضت لنزلى والموسيان معى فقلت
لزوجتى جنبنا لكم هذه الصفيحة التى اقتنت ولم يبق من سمنها الا هذا القليل
وهذا الجنيه والفلال عندكم فلما يفرغ الجنيه تحولى لى مسافر لأى لا أملك
غيره ووصرت أركبو حمارى وأذهب للسوق وأترك الموسيين بالنزول فاذا رجعت
من السوق وجذتهما موجودين مع علمهما انى غلبت عن زوجتى التى لم تتجاوز
المشرين سنة تسعة شهور كاملة هذه هى الثقاله التى أكثر ما ذكرها الله تعالى
بقوله فاذا طعمتم فانتشروا الخ . وبعد أن نفذ الجنيه وصرفنا فأنذم بالماء أنخبرتني
زوجتى يوما أن موسى أعطاه خمسة قروش للملاح فقلت لم قبلتها منه ؟ قالت:
قال لى حالتنا واخذة قلبي اليوم أقضى معه هذه الليلة فاضطربت وردت له
الخمس فلما لبسنى قال لى : يولد لأى سبب أرجعت الخمسة قروش فقلت

واليوم تخرج من هذا البيت: لأنى وجوت حسن خاطر أخلى لكم دهلزيه وفلا
رحلا فيه ثم سافروا

الصديقان المهدي أحمد وحسن عثمان :-

أما أنا فعملت أذهب للسوق فأتواجد مع أصدقائي التجار القدامى وحينما
يأتي أوان الغداء أقهرّب منهم وأرجع إليهم بعدة فأقبل جاءنا ففى آخر يوم من
الشهر كنت مع المهدي أحمد فلما أراد أن يقتل دكائه أعطاني خمسين وثلاثين
قرشا قلت ماهذا يا مهدي قال فتيرون بها الملاح قلت وحينما انتهى قال الله
موجود قلت الآن أليس الله موجودا وغضبت حتى اضطرت أن أقول له
(ما ليس من عاداتي أمن بالحصان) يا المهدي حينما أدخل دكانك حمد الكردي
الم أقسم لك بضاعة دكاني فى ساعتك وصرت تبيع وتبلغ لى فلذا وقمت حركتى
الآن وسارت حركتك أليس من شرط الاخوة أن تحركى تجارا بدل أن تمودنى
قبول الحصان حتى انى كلما رأيت أحدا أدخل يده فى جيبه أظن انه سيعطينى
دراهم فأصبح بالمهدي لا أخلاق ولا أرواق كلا كلا وضربت على يده فقبال
لى شريكى محسود المكى لا يرضى أن يخالفه الشروط المأخوذة علينا من
شريكنا عبد المجيد حسن غرب ثم قال لى فهل ترضى أن تكون مسنارا قلت
أرضى أن أكون خفيرا وفلعللا ولا أرضى أن أضع يدى تحت يد بدون استحقاق
قال لى احضر غدا فحجته ومعى بابكر اسحق فقال لنا الحقو المسامرة السيد
أحمد ومن معه بفريق حمر فلقنناهم ودخلنا فى بيعة ريش وربنا منها كل واحد
منبة وخمسين قرشا فلما مد لى نصيبى قلت له هذا هو الحلال لا ذلك يا المهدي
فأمسك بقمى لأنه كان كثير العياء وأنا كثير الصراحة فخاف أن أقص القصّة
فيلام على فعلته معى وما زلنا أنا وبابكر اسحق نسمّر لهما فى الریش والمين
وقبل ذلك كنت عرضت قصى على بشير عامر طلبت منه أن يعطينى خمسين
بالموردة أرحل الصمغ والبضاعة وأعمل الصواب لما يصرف بوميا عليها فرفض
بتاتا قائلا انت تريد أن ترضع على حسابى أجملك خفيا ببنيهين فينظر غيرى
ما تستحقه بهارتك من الراتب فيزاحمنى فيك فيكون نصيبى منك السبة بين
لخوانى التجار الذين يقولون ان بشير عامر الذى يرفضه بابكر فى التجار قولا كان

عليه الدهر حينما خافه بأن جعله خفيرا امش يا سيدي أقفز على كنف غيري .
 كنت أرى من ابراهيم خاطر حركة اشمزاز من وجودي بمنزله فأعرض
 على زوجتي الزحول منهم فتقول لي ان والدي لا يرضى بنقلي من بيته وان
 زمن لقائتك بأم درمان قليل فلا تهرجه فأوافقها رغم شعوري بأشمزازة حتى
 أرسل كتابا يطلب فيه مني اخلائي منزله فضيات الخطاب وعرضت عليها طلبى
 قلها لييت آخر فكررت لي عبارتها الأولى فأبرزت لها الخطاب فسقط في يدها
 وجرت دموعها فكتبت في الحال خطابا للشيخ محمد الحاج سليمان عساه يظلي
 لي غرفة في منزله ويرسل لي ما عنده من الأولاد ليمساعدوا جماعتي في قسمل
 عفشنا فارسلهم ووضع عفشى وسط سور الحرم حتى تكامل وحضرت بنفسى
 قتال لي أى المنازل تريد فأخبرته النرفة التى على الباب فقال لزوجه يا بشرية
 اقلوا عفشكم لرفة أخرى فحلفت عليه أن يتركهم وأنا أخلفت غرفة شمال
 الباب فسكنتها حتى سافرت

حلت سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م وهى ميمونة فيها عقلت أم أحمد بأحمد .
 فى يوم كنت مع صديقى حسن أفندى عثمان ولما قرب وقت الغداء
 تهربت منه كعادتي فلما رجعت له فى العصر قال لي أمش معى للبيت فانك لم
 تزر أولادى منذ سقوط أم درمان فذهبت معه وصار يسننى القيام حتى جئى
 بالعشاء فقال لي اترلى اترلى قلت لا أكل الآن قال والله تنزل فطلعت بالطلاق
 لا أكل فتأخر جدا وبعد أن فرغوا من الأكل قام معى مودعا فلما يمشى عابتنى
 على تهرى فى السوق وحلفتى هنا وقال هل لذلك سبب قلت نعم يا صديقى أنا
 مؤمن بكرمك الميموى والخصوصى لي ولكنى لي خادمة تأكل بالماء فلم تسفل
 الحرية وزوجة تأكل بالماء لم تطلب الطلاق وتفل يأكل بالماء لم يبك ولم ياف
 منه فلا يجوز لي أن أكل الطعام السم وأتجشع لزوجهي فى صدرها لذلك
 أفضل أن أصلمها جائلا أكل بشمية مما يأكلون فيطمنون انى مثلهم فيواصلون
 رضاهم بطاننا هذا الى أن يفتح الله علينا فطافا حسن رأسه حينما سمع قولى
 هذا ثم رفع رأسه وقال لي حقا علينا ورجع متأثرا فلما أصبحت وذهبت
 للسوق كعادتي وجدت حسن أفندى عثمان عدل لي كشف من البضاعة المختلفة
 يبلغ ثلاثمائة وسبعين جنبا بالتمكة أخذتها وذهبت لرعاية البضاعة لأصرفها
 وأذهب للدويم فكر دققت المشتري المصنغ قلنا وصلت رفاعة ووجدت الكثير من

الناس الكبار يتطلبون المشتري بالسلفة وبعضهم يتشوق للهدية علمت على باب
دكاني يافطة كتبت عليها (المتصرف في مال غيره لا يحمد في سيئه) بخط كبير
واضح فلما جاءني أحد يأمل هدية أو دينا قلت اقرأ اليا فطة فإن لم يقتنع اشرح
نه معنا فإن لم يقتنع اقتعت باسميئة أو عباطه فلا أبالي به حتى صرفت
البضاعة كلها وحولت قيمتها ليوسف وبابكر بالقبيلة ولم أترك قرشا واحدا
مها دينا .

دخلت سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م فسافرت للدويم جملته مركزا ويوسف
بدري وبابكر البشير وعنى على شكاك بالقبيلة بكرخان وكان معي بابكر حاج
الفكي ببجالة اشتغلنا وصرفت كل الصنع الذي يرد منهم أو أشتريه بالدويم
أحواله لأم درمان يرسم شركة فأتان فورد لى خطاب من يوسف فى القبيلة ومعه
خطاب لمصاحبه البندى الشميث الذى كان غائبا بمعتوق ففتحته يطلب منه ثبته
دخان ودفتر أمريكيا فاشتريتهما له وقلت للجبال أخبره انى الذى اشتريتهما له
لغيا ب صاحبه وما كنت أعلم أن يوسف يشرب الدخان قبلها فلما جاء أم درمان
زارنى فى منزلى بيت المال صباح وصوله وقال لى يا بابكر انت تسمح لى بأن
أصرفه مالك فى اللهو ومعصية الله حتى اتك تشتري لى الدخان بنفسك هذه
التبنة والدفتر اللتين اشتريتهما لى فحرقهما وقل تبت لله من شراب الدخان ومن
كل ما يعصى به الله غيره .

وفى شهر ابريل سنة ١٩٠١ كتبت تلغرافا للشركة أسألهم ثمن الصنع
بأم درمان حينما رأيت أن الوارد يزاد فرد على أن الصنع ١٤٥ قرش فقلت
يكلفنا ١٤٦ قرش يعوجه فوضع عليه ماركة الشركة الخواجة كاسترو وكيسل
الشركة وحوله من الموردة لمخازنهم فلما أتيت أم درمان وعاكثت من تحويل
الصنع ووضع ماركتهم عليه اخذت مشتريهم لصنفنا بسعر ١٤٥ قرش
علمت حسابى على ذلك فلما جئت للحساب وصار الصنع ١١٩ قرش أخبرنى
الخواجة كاسترو أن صمنى موجود لحسابى فلما كنت لى الأمل فى الشغل
معهم باستمزار لم أوفق معه قلت مع طول الزمن ستسدد الحساب ونبتدى
فى الربح ولكنى حافظت على نسخة تلغرافى وتلغراف الشركة بالرد بسعر
١٤٥ قرش للاختياط لما عساه أن يكون يتم الصنع ووردت قيمته بسعر
١١٩ قرش وبمصل الحساب . صارت الحسابات مائة وسبع جنيهات فطالبنى

بلغها حتى قبلني شربكا للمستقبل مع انه يعلم اني لا أستطيع دفعها ثم بلغني
أكيدا أن علاقته مع حسن أفندي عثمان فيها فتور وكان متكبرا متعجرفا
لا يستطيع أحد من شركائه مهما كانت سنه أو مكانته من أن يذكره باسمه
أمامه فلما رأيت منه ذلك ألقته مع عمي يوسف سليمان بأن هذا الضواجة
أما أن يكون مؤجرا في هذه الشركة وأما انه سيء ادارة لأن التاجر من أولى
صفاته التواصل وحسن المعاملة فتقل قولي هذا الى أن وصله فبلغني انه قال
أما كان الأحسن لبابكر أن يصرف فكره هذا في شيء ينتفع فيه وبمساعده
قلب لي ظهر المجته ثم وصلني في انه مجتهد في أن يخلصني السجن ان لم أدفع
ال ١٠٧ جنيتها فاستأذنته في أن أذهب الى رفاعة فلم يأخذ فبقيت في أم درمان
شهرين (ملازم القروة*) بعد ذلك تحررت له صورة شكوى للحكومة وأعلمته
اني أطالبه بضارة الصمغ وضمتها صورة التلغرافات المتبادلة بخصوص
الصمغ كما سبق فطلبني فلما قابلته قال لي تشكوني للحكومة يا بابكر قلت له
انت تعمل نفسك حكومة لك سجن خاص يا كاسترو فاضطرب حينما سمع
لسمه بمجردا عن لقب التعظيم الذي اعتاد سماعه من الجميع ثم قال لي بصورة
الاستغراب ما هذا يا بابكر قلت له أن ابن آدم لما يأس تظهر لآتمته يا كاسترو
فقال انت اشتريت من مالنا حمارا وعملت لزوجتك ذهبا قلت كذب من بلفك ان
حماري لكل من يعرفني انه عندي من زمن الهدية ونسائي في شركتك تجردن
من حلي الهدية ولك أن تبحث فتشع وعلى كل حال أنا أنفرك اني مسافر
رفاعة وأرجع منها في الميعاد المعين لسماع القضية قال هل حسن عثمان يشتغل
معك بالفصل أو بالشراكة قلت أمت الذي أعطيتني المبلغ الاخير فهذا بالشراكة
وهو الذي حصلت فيه الضارة التي أمت سببها طلب محمد السيد باشا كتاب
المحل وقال هل نحن قيدا المبلغ الاخير على بابكر شراكة أو فصلا فضحكت
فاستشاط غضبا وقال لم تضحك ؟ قلت أضحكتني ان المبلغ التقه ذهب يسأل
عنه شراكة أو فصلا فتنبه لطلعت وقال لي أترك الشكوى وامشي لرفاعة فبع
الحمار وحول لنا ثمنه قلت جميل وبعد ثمن الحمار قال ثرجلك في دفع الباقي
أقساطا سلمت وقمت فأرسل محمد أفندي السيد يقهم ما انطومت عليه فقلت له

(١) اصطلاح يستعمل في الهدية كناية على تحديد الاقامة بالحضور المسجد
في جنب رقيب.

• يريد أن أدفع له ثمن العمار فيعتبره قسطاً أولاً فيثبت بذلك أن الخسارة دين على فأخبره انى يمكن احترفت التجارة قبله فليقدم لشكوتى ليسجننى فينظر ما الذى يحصل وسافرت •

وفى أثناء هذه المضاقة نظمت بعض أبيات من الشعر أنسلى وأعزى بها فقلت فيها :

• حمدنا السرى بأحمد •

فى يوم ١٦ مايو سنة ١٩٠١ الموافق أول صفر سنة ١٣١٩ هـ ورد لى تلعراف بوضع ابى أحمد الذى كتبت تلعراف بتمنيته علم الايمان وفى هذه الأيام سجن تاجر من التجار الوطنيين الكبسلر بسبب تلاعبه مع ٥٠٠٠ الأندى كاتب السوق فرأيتة حاملا القنطاس يرش لنا أمام الدكاكين حلفت على المصحف الشريف وبطلاق الثلاثة من كل امرأة تصل لى انى فى هذه الحكومة لا آخذ رشوة ولا أعطى رشوة وثابت على ذلك على انى كت فى المهدية ماها فى اعطاء حكاهما الرشوة مهما عفا أحدهم عنهما فمن رشى عفى ٥٠٠٠ نأى درمان وعفى ٥٠٠ يبرر انه ماهر فى الرشوة .

وصلت رفاعة وقابلت للأمور عبد العزيز مجدى وأطلعت على كل الأوراق فقال لى لا تعطه قرشاً واحداً قلت أنا أخاف أن يشكونى قال الأمور اذا شكاك أما أحول القضية هنا وأدفع عنك قلم أعطه شيئاً ثم فكرت فى بناء بيتى الحالى برفاة اشترت بئر محمد صكمدى من ولده وزوجه بـ ١ جنيه و ٣٠٠ مليم وربع زراق وأعطانى الأمور عليها مسلحة شرقها فصارت كل للمساحة ٧٧٨٤ متراً ولم يكن عندى غير عشر جنيهات فشقت أساس السور وبيت حفصة • بمحرته والحاصل ومنزل الحمسى ومنزل والدى والمطبخ والديوان (قيرقية) بمنزله فقال لى والدنى يا بابكر نحن كنا بنى المربة الواحدة فى ثلاث سنوات الأولى الى العتبة والثانية الى السقف وفى السنة الثالثة حتى نسقها أمت تشج أساس حوش وست مريعات وما عندك غير مائة ريال قلت ان شاء الله ربنا يتما كما عودنى تعالى فأجرت ثلاثة عييد مع عبيدى الثلاثة وكنت قد أخبرت

سالم الحاج محمد البناء يتظرنى برفعة وستائى سيرته كاملة فشرعنا بنينى حتى
 وصلنا العتب الأعلى فزلت البحر أسأل عن الاعتاب عند عبد الله الحورى النشار
 فقال لى العتبة للمنزل الواحد ثمانية عشر قرشا قلت : اجعلها بائنتى عشر قرشا
 لأجلى فأبى فقلت الأحسن لك أن توافقنى والا فأنى أقيمها وأضاربك قال
 اصنع ما شئت فجلست فى خشبة أفكر فيما أصنع فإذا جماعة من حلة ود أبشر
 بحرى الكاملين رباطاب عندهم ثلاثة أطواف من خشب السدر وطفاحها من
 الدبكر أوقفوها يالشاطىء ومروا على فحيونى فإذا هم ممن أعرفهم من مرص
 قالوا نحن حطبنا هذا غير مرحص وفى مدنى بصادروته وفى الكاملين أيضا
 بصادروته ثم قالوا فأتيتك برفعة لتعمل لنا مساعدة فى بيعه قلت أخرجوه من
 البحر فأخرجوه وصغوا رصاص السدر وحده وطفاح الدبكر وحده وعنلهم
 مرق مبلط تركوه فى الماء فى الحجرة فاشتريته منهم بواقع الطوف مائة وأربعين
 قرشا كان عندى ١٤ قرش فقدمتها لهم وقلت امضوا الى أولادكم لتعيدوا معهم
 ويرجع أحدهم لى أعطيهم باقى الحساب ففعلوا فدعوتهم للغداء فأجابوا دعوتى .
 طلعوا السوق وأنا مررت على الخشب عزلت منه ما يصلح أن يكون عتبة
 فجمعت منه كل أغشأبى وضمت لها ثمانية وعشرين رصاصة من أجودها
 للديوان وأرسلت الجميع ليبنى وجلت فى مكانى جاء على الحاج طه ومعه
 على بخيت البطحاني فأروا المرق المبلط قالوا هذا (التوريق) لى قلت لى قال .
 على الحاج طه تشتريه منك لعلى بخيت بثمانية ربالات قلت يفتح الله قال على
 الطلاق لا يزيدك على الاثنى عشر ربالا قلت هاتها فدفعها لى ولو لم يقل
 التوريق لما انتهت مطالعنى فيه لهذا الحد ثم جاء محمد شريف مأمور أرببى
 (وقتذاك) والذي قتله الحلاوين فرأى دبكر الطفاح قال لى هذا قلت لى
 قال اشتريته منك قلت ما تريد به قال أبنى عليه كشاشات قلت يمكن يسوس
 قال أنا جريته فاشتراه منى بمائة وستون قرشا دفعها فى الحال حصار عندى باقى
 قود الطيف فسمع الشيطان محمد عمر البنا وسالم عبد الأمين فجاءونى فى
 البحر وقاسمونى الباقي بسعر الجميع بعد أن أخبرتهم بما يته وما حصوله
 فبلغوا لى مائتين وثمانين قرشا أخرى دفعتها لوالدى ليصرف منها وأقسمت
 بالبحر فأجرا فى الخشب حتى أتممت منازلى من أربابى رغم تريخى عبد الله

الحورى لى بأن أسكن بيتى ويجعل لى ثلث ما يربح فلما قضيت منازللى وتمعت فى علو الديوان وجمال سقفه زارنى فيه الشيخ ادريس البامرة فلما نظر سقفه قال والله الميلىج جميل جدا ولكنه ييكى ويقول ياكلون فى (أم شيعه) « وآى » ياكلون فى الخصرة تراوحا (وآى) ياكلون فى بالماء . اشاره لفقرا ثم قال انت نبى ونهى قول لا يستطيع تمام كل هذا فيعجز منه وثقتريه منه بتراب الفلوس فلما أتممتها قلنا يأتى السيل يرميها فلما حولت المجسرى وسلمت قلنا تأتى شركة فأتان وتدلهاا تشتريها رخيصة فنجوت من كل هذا بشيطنك فما بقى لنا الا أن نحصدك قلت أما سمعت المثل الحامد ظره تاكله فصحك وودعنا . حضر يوسف أخى من كركوج بمركب بها سمس وأدره يباقي مبلغ شركة فأتان الذى سافر به لكركوج بعد أن تفدينا مع رجال مركبه نزلت معه للبحر أودعه قال لى فى الطريق أنا اذهب للحجاز أحج وأجاور فيه قلت وزوجتك قال انى أطلقها قلت وولدت وأيك قال ولدى أنا لا يد لى فيه الا وضعه فى بطن أمه فأنت القاتم بأمره وأمر أبى قتل انتظر بأم درمان حتى آتيت فلما وصلت أم درمان زورته فى بيته فطلعت اله خرج بالركوة فلما لم يأت فى الوقت الذى يعود فيه مثله عادة تبعت أثره . هوجدته فى خربة يسبح فأخذته وجئت به الى منزله فطلعت منه أنه تعبد باسم أعطيه هو وصهره أبو زيد من رجل صالح قلت له يا يوسف هل عندك أحد يشفق عليك أو يحتاج لك أكثر منى ومن الرسالة زوجتك قال لا قلت فمن خير لنا لعيك ولهوك الذى كنت فيه وأرجع له وأترك الأسماء فانها تدعو الى الجنون وكثير من الناس الذين يستعلمونها تذهب بحياتهم أما بالموت أو بالخيل فتركها واستمر فيها أبو زيد الذى جذبه فصار يرى خيالات أدت به أن يقتل خادمة قتل بها شقنا .

ثم أخرج من أم درمان حتى جعلت ليوسف شركته مع ناس كوركيجيان بواسطة المهضى أحمد وشهادته فيما لتكون له شغلا ان لم يجد منها ربحا لما اتفقتا على الأثمان والأنواع ورأينا البضاعة التى لولا احتياجى فى صرف يوسف لناحية عمل ما كنت أقبلها لرذاعة صنفا وينما نحن نستلها من المضى الى العصر جاء الخوالة نظارت فرمى لحماره قشا من التجلة وكان بجيه قشود ارتمت فى الأرض فلما خرجنا مررنا على مريط الحمار قرايت رمالا كبيرا ورأى يوسف عيره حتى جمعناها نحو مائتين وخمسين قرشا فقبضتها ييدى وسرنا

تفاوض مع نظرت في التنظر للديم وما يلزم له حتى وصلناه قتلت له كانت ملك فلوس قال نعم مائتين وخمسين قرشا ولمس جيبه فمصدقها له قال أين وجدتموها ؟ قلت ببريط الحمار قال حسن الضمَام رَأَكم قلت لا قال والله أتم لاس طيبون قضحكنا عليه وخرجنا منه وفي غد سافر يوسف للديم فبعد الوداع قلت له لا ترسل لنا شيئا حتى تكون لك رأس مال ولا ترسل لأولادك أكثر من جنهين في الشهر ورجعت منه .

« يتجه تفكيرى عن التجارة الى التعليم »

وفي غد قمت لرعاية بوصولها أخبرنى حضرة المأمور عبد العزيز مجدى ان المدير بلوت بك نشر اعلانا لكل مأمورى مديرية الجزيرة بأنه تبرع من قمعه بمبلغ خمسين جنهيا لبناء مدرسة بمديريته فالمأمور الذى يستطيع أن يؤثر على أهالى مركزه يقررها له ولي أمل أن تكون برعاية فساعدنا فى اظهار رغبة الأهالى فوعلته بذلك وصرت أفكر فيما أبدا به من العمل حتى لا أسدم فى باكورتى بالفشل فرأيت انى لو تحلصت على موافقة الشيخ عبد الله عوض الكريم أبى سن أنجح فى تأثيرى على غيره وكان الشيخ عبد الله يرغب فى تعيينه وكيل ناظر الشكرية رسميا والشيخ على الهد أخوه هو الوكيل الرسمى آنذاك فقلت للشيخ عبد الله ان المدير يرغب فى فتح مدرسة بمسدينة رعاية والمأمور له رغبة أكيدة فى اتمام رغبة المدير وأمل الحكومة فى تعليم الناس كبير جدا فمن يساعدهم فى بدايته حالا وفى تشجيع فقره مالا يكون محبوبا عندهم فيقولون عليه فى استماعتهم فى وظائف البلاد فالى أرى انك لو أظهرت رضائك بالمدرسة يبلدك ودعوت غيرك من أولادك الذين آقا منهم لما يخالفك منا أحد فتتحفظ لك هذه اليد عند كل الحكومة وهذا أقرب طريق لثقة الحكام بك ومعرفتهم لك المعرفة الحقة قابل كلامى هذا بسرور وأمل عظيمين فكتب ولده عبد الله فى أول الكشف فأخبرت المأمور بموافقة الشيخ عبد الله على المدرسة والله كتب ولده عبد الله فارتاح جينا وطلب الشيخ عبد الله الذى كان بينهما سوء الفهم مستحكما فساله فأجابه بما طمأنه على نجاح مهمته وأراه عظيم رغبته فى تعليم موطنيه ففى غد جمع المأمور الناس وفاتهم فى فتح

المدرسة برفاعة إذا دغوا رغبة خالية من الخوف والمجاملة فأجابه الشيخ عبد الله وتكلمت بعده بفائدة التعليم وتكلم ببنى الشيخ محمد عمر البنسا الذى بالغ في إطراء التعليم وكتب أسماء ابنه عبد الله وأبناء أخيه على وعسر وعبد الله فكتب في المجلس ثمانية وعشرون تلميذا فأرسل حضرة المأمور الذى مر جدا وأرسل الكشف لمدير أريحي فقرر المدرسة لمركز رفاعة دون المراكز . فبنيت غرفة واحدة طولها ١٦ مترا وعرضها ٨ أمتار وبها عمودان يسمانها على ثلاثة أقسام وفي غربها مسطبة يبرضاها وامتدادها مائة وأربعين سنتيمترا لوضع تحتها التبشير عليها كنت كثيرا ما أسهر مع المأمور وأتتبه ونبحث في علم الحساب كنت أحضر الجواب شفها بالطريقة التجارية وهما يكتبان بالقواعد فيطابق جوابها جوابي ولكن حينما أسأل كيف جئت بهذا الجواب من طريقة القواعد لا أستطيع أن أجاب جوابا مفصلا فلما تم بناء المدرسة كتب حضرة المأمور علانا أوضح فيه شروط المعلم التي تؤوله ليكون ناظرا للمدرسة ليستعمل فيها بمنزلة قدم الشيخ أحمد يوسف نعمة والشيخ محمد عثمان على العبراني وفي ليلة سهرت فيها مع حضرة المأمور عرض على تيسني ناظرا إذا كنت أوفى باقي الشروط مع علمي بالحساب يربط بدائي قسره ثلاث جنيهات أو ثلاث جنيهات ونصف قبلت وراجعت حفظي للقرآن الشريف فني أقل من أسبوع راجعت بحفظ جيد وكتب أجبني أن يتأخر امتحاني إلى أن أراجعته جميعه ولكني طلبت إلى الامتحان بأريحي التي كانت عاصمة مديرية الجزيرة في ذلك الوقت امتحنته قسطنطين أفندي سعد بأحكام المديرة وكان رغم مسيحيتي يحفظ الكثير من القرآن الشريف امتحنتني في القواعد الأربعة تمارين بلا مسائل وموضوعا اختياريا خيرني في اختياره فأذكرني أنني كتبت خطابا للشيخ التالى سعيد طلبت منه مشترى كمية عيشها من القلال مع رسول يده مقدار من النقدية تمت الحساب مع أكرم بأخباري بما بقي علي مضافا إليه أجر القارحيل وامتحناني في القرآن الكريم في جملة من المصور وطلب منى أغسراب بعض الآيات وكان ممسكا للمصحف الشريف يده فأخرا ما قرأت منه « لن تسالوا البر حتى تنفقوا مما تصون » فلما وصلت « وه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » قال كيف تعرب من استطاع قلت من بدل من الناس قال صدق الله العظيم يكفى وكتب بليغتي وطلب تيسني فميت ولكن بعضهين

ففتقب الأمور واجتهد في الزيادة فلم يجب وأبدي أسفه فقلت الواجب على أن أعلم في بلدى بلا أجر فلا تحزن فلما بقى أسبوع من فتح المدرسة طلبت من المأمور أن يكتب لى الخرطوم لترى بأحدى المدارس قال لى المأمور الوقت قصير وأنا أرشدك لطريقة التعليم قلت ربما تحول لى شيئاً لا أنفذه أو أنفذه جيداً فتهم انى بليد وتلتصق هذه الفكرة في رأيك كتضرر بمستقبلى فأنا أصمم أن أصل الى الخرطوم لأرى العمل بعينى من حيث أحواله وآلاته واستعمالها وأرجع مساء الجمعة ١٣ فبراير وأفتح المدرسة يوم السبت ١٤ فبراير ان شاء الله فقال لى يخالطك .

« ثلاثة أيام تدريب بالكلية »

ركبت حمارى مساء الخميس بت بالهلالية ولما دخلت الكاملين عزم على عبد الله الحسن صديقى فأخرنى فبت الجمعة معه وأسحرت بالسبت حيث بت بالسبيل ودخلت الخرطوم نحو الساعة ٨ صباحاً وطلت حمارى عند باب المدرسة التى كان فاطرها المرحوم ابراهيم أفندى كامل الكامل يحق ودخلت عليهم فسلمته خطاب المأمور بأنى امتحنت وأرسلت للتمرين وكان خط الكاتب (هكذا امتحنى وأرسل) فقرئت امتحنته وأرسله فجمع لى الشيخ عيش والشيخ أبا المجد وحسن أفندى سالم وقال لهم امتحنوا الشيخ بتاع رفاعة فقلت له هل هذا انصاف يأتىكم شخص مسافراً منذ يومين فبدلاً من أن تقدموا له ماؤ أو طعاماً تبتهمونه بالامتحان فضحك رحمه الله وقال هذا امتحان لنا أتركوه فأحضروا لى فطور وقهوة وبعد فرائى قلت له أنا سبق امتحنونى وعينوا ماهيتى وأنا الذى طلبت التمرين في باقى أيام الأسبوع فراجع الكتابة وكتب بها الهداية بك بالكلية الذى رد بتخيري في التمرين بأمر درمان أو في الخرطوم فأخضت الخرطوم مسافة أن أشغل بيتى وابنى أحمد عن التمرين فقلالى ابراهيم أفندى أدخل أى فصل شئت فأول دخولى كان في حصة حساب بالسنة الثانية لما دخلت ورأيت تخته الطباشير ولم أرها قبل ذلك قلت ما يراد بها ليت شغرى ثم دخل للمعلم وقال لأحدهم اطلع التخته فقام التلميذ فقال للمعلم أمسك الطباشير بيدك اليمنى والبشورة بيدك اليسرى فأخرجت حذرتى وكتبت فيها هذه الأشياء

وطريقة استعمالها ثم قال له اكتب بواملا اعد لها على الجمع فحرفت الغرض والاستعمال وكتبته ثم انتقلت للشيخ عيش في العري والاملاء وسجلت ما رأيت من مادة وطريقة وآلة (مسطرة وكراس) قضيت كل يومى الدراسى ولم اصل أم درمان نمت بعمارى بسوق الخرخوم وعند خروجى سألت عن الميعاد للدخول فقبل لى موعد الجمباز الساعة ٦ و ٣٠ دقيقة صباحا ودخلت الفصول ثمانية فجلت للطابور وقمت فى الصف مع التلاميذ فغلطت مرتين وفى الثالثة قبض الصول على لحيتى وهزها بسف فغضب ابراهيم أفندى واتهمه فقلت له أتركه يا سيدى أنا طالب علم وكلما جهل الانسان فنا فهو صبي فيه قلنا لى بخير وقال نعم أنت طالب علم بحق ولكن قف خارج الصف وأقصر لحر كاثم حتى تميزها فادخل الطابور معهم عملت بنصيحته وزدت أن كتبت أصوات الله ومعاينها بجانبها ورست الاتجاهات لكل صفين وصلدن وورنه وزنهار الى آخره حتى (سلام آل) ثم ضرب الجرس للدخول فوققت مع التلاميذ وأديت الحركات معهم وقضيت يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء كانت وقتة عيد الأضحى فميرت النيل لأم درمان حيث قضيت العيد بمزلى واجتمعت بصديقى الحميم الشيخ محمد أحمد فضل حيث كان مدرسا بكتاب أم درمان الذى بدئى بدكانى السيد موسى بالجزء الغربى الجنسوى لبناء مدرسة أم درمان الحالية واسترشدته فيما يجب أن أعامل به رؤسائى وكيف أتوصل الى النجاح فى على الجديد فسمح لى بشرح كل ما سألت عنه بإخلاص ولكنى لا جئت لهداية بك المصرى الذى خدم السودان بإخلاص عظيم وهمة عالية وإخلاص لا يشوبه ما يشوبه فى عمله ومعاملته أحمد هدايت مدير الكلية وقتذاك نصحنى بتركى الاستمرار فى تعلم اللغة الانجليزية التى كنت بدأت تعلمها فى أول الفتوح وأنا تلج بالدرهم وأبذل جهدى فى توسيع معلوماتى فى العربى فعملت بنصحه ويوم الجمعة فى أول معدية عدت فررت على ابراهيم أفندى كامل فى منزله فوجلت معه جماعة أنذكر منهم حسن بك أحمد ومسامحه أفندى فلما ودعته قال لى الى أين قلت لرفاعة لاقتح المدرسة غدا قال لى عرفت أى شئ فى يومين تفتح به المدرسة قلت كان رجلا أبناء حاتين أحدهما عالم والثانى شيخ طريقة فقال العالم لشيخ الطريقة ضلتم الناس وجهلتموهم كيف

يعرفوا الله ويبدلوه فقال له شيخ الطريقة يا أخى نحن نهلفهم لكم وأتم
ملسوهم فطلبوا منى شرح العبارة فشرحتها لهم فضحكوا وودعوني فركبت
وفى المغرب أنا فى الكاملين عديت بالشرق وصلت أهلى بعد الساعة ١٢ مساء
فرفقوني أن حضرة المأمور أرسل لآباء الأولاد ييكرون على المدرسة لياشر
تعليمهم بنفسه لحينما أحضر أنا من الخرطوم فلما جاء للمدرسة بعد الساعة
٨ وجدنى بالمدرسة وأمرت التلاميذ بسلام آل قوقعوا وأدوا له تحية التظيم
فضحك سرورا .

« القلوب ثلاثة - هكذا بدأت مدرسا فى فبراير سنة ١٩٠٣ »
وفى الحال شرعت بقولى لهم اسمعوا يا أولادى القلوب ثلاثة قلب البليد
وهو معكوس الوضع فنه تحت فكل الكلام ير عليه كما ير الماء على الزير
القلوب الثانى قلب اللعوب معتدل ولكنه يقدود من فوق ومقدود من تحت
يخل الكلام فيه ويخرج وقلب النبيه فنه أعلى ومقول من تحت يدخل فيه
الكلام فيحفظه ومتى احتاج اليه صاحبه يجده محفوظا فيتبع به من كان يحب
أن يكون قلبه قلب اللعوب فليرفع أصبعه (لا زلق) من يريد أن يكون قلبه
قلب النبيه فليرفع أصبعه (الكل رفعوا) إذا كنا نحفظ ما قيل لنا نعم نعم
جفتله لأى سبب ؟ لننتفع به عند الحاجة . ومن لم يتبع به ماذا تسمونه ؟
مهمل بلید فضحك المأمور وقال لهم أنا شاهدت ثم اقتضت المدرسة بمورة القاتحة
ثم قلت لهم أنى أولاد المصريين بالخرطوم يضمكونى على أولاد السودان فى
ويخرج القاف والفن وأنا بعلمت لكم بيتا فيه ستة قافلات وأربع غينات فلنحفظه
الآن ولمر كل بضنا على القاف وبعضنا على الفن من يفلط فى أحدهما نرفع
أصبعنا :

قولى يقلل القاف قليلة وغيرى يميز الفن كثيرا

وكررها حتى حفظناه صحيحا وجرصنا جدا على المخرجين حتى صاروا
كالطبيين لهم بحيث مخرج الفن يقرب من مخرج الفاء ومخرج القاف من
مخرج الكاف بنظرية فيها وقد أحضرت معى كتبنا من الخرطوم فى الجغرافيا
والاملاء والحساب وصرت أقرؤها بالليل وأختصرها وأنظم الدرس الذى أريد
تعزيزه نظما متقنا وأحفظه حتى أنام قد يمكث معى هذا العمل لانهجازه نحبو

ثلاث ساعات . أخذ على شرطاً كتابيا الا اطالب بمساعدة فلما رأيت ضرورة المساعدة صرت أدعو الناس الى الحاق أولادهم بالمدرسة حتى صار المند اثنين وأربعين تلميذاً من ثمانية وعشرين . كتبت للأمور طلباً بتعيين مساعد فرد على يذكري بالشرط بعدم طلبى مساعداً فرددت على حصرته كتابيا بأن عدد التلامذة ازداد خمسين في المائة ولا يحضركم اضطراب التعليم ان لم يكن تعذره في أولاد مستجدين سخطين في أعمارهم ومعلوماتهم وأفكارهم فلما أن رُجع المند الى ما كان عند فتح المدرسة وقبول الشرط واما تصديقون على تعيين المساعد فأرسل ردى هذا لمساعدة المدير الذى جاء للمدرسة وقال لى لا توجد عندها ميزانية للمساعد قلت أنا أفرض على آباء التلاميذ المستجدين رسوم تعليم قال المدير لكنى أعلنت ان التعليم مجاذا قلت أنا أضمن ألا تصلك شكوى من أحد لأن الولد لا يطالبه بأكثر من ثلاثة قروش في الشهر والوالد لا يظاقتنى فيها لأنى قرأت معه القرآن وكبرنا معا فقال لى انت من سكان رفاة قديما قلت نعم فلم يصادق ولم يمانع بل خرج بالصمت عن لا و نعم فرجعت جانب الرضا وفرضت على كل ولد مستجد ٣ قروش . حضرة للأمور أراد محبوب محمد عثمان كرجاء والده وأنا رغبت تعيين الشيخ عبد اللطيف أحمد فتغلب طبعاً رأى للأمور ولكن محبوباً لم يبق طويلاً لاهماله وانه يطالب الأولاد الصغار باعطائه قوداً يشتري منها بتاوا (أرغفة دره) يأكله في الفصل فجاء للأمور بتة فوجده ملتفتاً ناحية يأكل بتاوا ينقه فقال لى احضر غيره فأرسلت للشيخ عبد اللطيف وتعين يعدي بثلاثة أسابيع كنا فقط ٣٢٤ قرشاً من ايراد الأولاد والباقي للماء للشرب . فتحت المدرسة يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٠٣ م الموافق ١٣ الحجة ١٣٢١ هـ سار التعليم باجتهاد غير اعتيادى كنا نخلل الفصول الساعة ٨ صباحاً ونفسح التلاميذ الساعة ١٢ ليتعدوا ويرجعوا الساعة ٣:٣٠ الى الساعة ١٥:٠٥ فنخرج الى الألعاب الى الغروب فأخذ الكبار المنزل فذاكر الى الساعة ٩ غالباً فيرجعون لمازلهم وأشرع في المذاكرة غالباً الى الساعة ١٢ لتحضير دروسى ونظمها وحفظها فطلعت الجغرافيا بحسب البروجرام وقتذاك وبعض قواعد الحساب وكل قواعد الاملاء فلما أحفظه من نظم الجغرافيا للجهات :

اما الجهات في اصطلاح للخرط

شمالها أعلى إذا ما عقلت

وان تلت فليكن اماما
جنوبا فهو صدرك التزاما
والشرق من يمين ناظر بنا
والغرب من شماله قل ابدا

مديريات السودان :

لحفا وأحر دقلا كسلا يبر
وخرطوم والنيان قل كردفانا
وستار أعالي والجبال ومثلا
ويحمر غزال ثم دارفور حدنا
المراكز والبلدان المهمة وموقعها بخطوط الطول والعرض وموقعها
مديرية لحفا - ومديرية دقلا :

أدندان لحفا كوشه دلقو لحفة
وارقو وأردى خندق الدبة منحنى
(بحال) كودتى مروي الكرمى برقل لدقلا
أبو حمد ملقى الخطوط به مثنا

مديرية يبر :

ريطاب يبر أتبره ملتقى بحفا
خطوط حديد دامر الكرمى باعتنا

الخرطوم :

بشندى قتم يبر اثم جيله
وخرطوم بحرى والأساس به يمننا
وتوتى وأم درمان أعنى ترسمنا
وموضع بحرب زالة عنايه المنا

البل الأزرق :

لازرق ليل كاملين وقبلها
أبو دليق شرقا للوادي به السكنا
حصانصة سلم رفاعه شرقها
وود مدني الكرسي منقلها الأدنى

مديرية سنار :

لسنار سنار ومنجة كرمها
ودقتر شرقا أب نصامة اقنبا
رصيرص فاز وغلى الفتام وغربا
لسوها وكرمك منها شرق جنونا

مديرية كسلا :

لخرطوم كسلا عرضا لطولها
يجول انقلابات وهي حدودنا
قضارف يتهل والمفازة متعنى

النيل الأبيض :

لاييض يهيل فاعطينة وكرمه
دويم وكوه كوستى أبو جسة بشا
به كبرى خط الغرب مردار ونجت
فظوى لك العمران يا كوستى والنها

كردفان :

يجى فكرسى كردفان أبيض
وباره وأم دمكأم رواية شرقنا
أبو زيد ثم النهود أضيبة
ثلاثها غربا قبييل جنوبنا

الجيل :

تلودي بلن ين ثم تلى وتندك
يلن لى تندك لا اين كديرنا
باى كطن كاندولى عرض فلنج بى
رشاد وعباسة حد لشرق جبالنا

دارفور :

ودارفور يمد لم قسم سياسيا
وفاشر كرميها بى كهن بنا
له عبد الرحمن الرشيد بواى
بشلتى يسمى ثالث عشر قرننا

أعالى النيل :

أعالى رنك ثم ملوط وكرميه
كدوك وتوفيقا وسويط آلن لنا
عليه أبوتج وجميلا شرقه
بارض احايش لمسوق تجارنا

منقلا :

لنقلا بور روق فديت شرقه
وغايب غرنا منجلا الكرمي اتنا
ولاو جندا المنام خنت لمنقلا
بموت ليويولد فابت لعكننا
مراكرة رجاف كاجكاجو دوقلى
ولو كاي فاحفظنا

بحر الزوال :

لبحر الزوال واو مسكر ومشرع
وتونج وروميك شامبي شرق مشولنا

مقولو بلو وضما وككنج كدوتن
وخره نطاس كن وطن حد خورنا
وراجنا وككنج وديم زير
نطاس لحد دارفور غرب شمالنا

((ومن نظم الحساب للمضاعف البسيط)) :

مضاعف المداخلات الأكبر
مشارك لها يكون الإمبر
ماتلات واحد منها كمي
وذو اشتراك باختصار قد وفي
وذو تفالته يكن بالعاصل
من خرجا في مضعا في العاصل

((وفي قواعد الإملاء منظومة كاملة مستعملة لأن كذلك)) :

وكل كلمة تكون من حرف
وأل ونا عن وصلها لا تحرف
وان ترد ففصلها قد عينوا
الا الذي لعكسه قد يينوا
مما أضيف لاذ من الظروف
ثلثائة حد الى الالوف
واسم واسم ركبنا ومزجا
وما بين وما يوصل أمجا
توصل أن لمصلر ان علمت
في فصلها النصب بلا ان تليت
واستهم بشرط وصل وأعين
لنكرة الأسماء خمس فافهم

ونفى كاف زائد مهيأ
 ومصدر الحروف فافهم تمنى
 ووصلها موصولة أو نكرة
 بين وعن ممن غير نون أخيرا
 كذلك في وحقها ان نكرت
 بنعم لا ما عينها قد كسرت
 ووصلها مستهها بحرف جر
 أو مقتضى مع حذف ألها استمر
 زائدة بالجار والمضاف
 ظرف وشرط مع خلاف
 وان تهيه (رب) أوصلها بها
 كل ومثمل مصدرية لها
 وكافة بكل عامل يكف
 مع رفع أو نصب يؤلف

باب الهمزة ((قواعد الإملاء))

اذا أتاك أولا في كلمة
 قالها تكون مهيأ كانت
 ان أذا أولئك الذين هم
 تصديرها بين أهل يلتزم
 وان تكن من الحروف آخرها
 كشكلة المتبوع حرفا مسورا
 كقرأ للشيء درسا يرو
 واستخرجت من كلها التبع
 وان أتت من بعد حرف ساكن
 فأولها الأصل ولا تداهن
 كجاء دفعه واستغنى وضوء
 لا الذي في نصبه كشيئا

ووسط تكتب ما قبلها
 مفتوحة ساكنة مثالها
 سألت سؤال هذه القضية
 كمؤمن أو جئت في مأمنه
 مضمومة مكسورة ان وسط
 حقيقة من شكلها قد كتبت
 وهمزة في وسط قد كسرت
 أو يكسرن ما قبلها يا أبدلت
 أو يسكنن ما قبلها مصححا
 تبدل مثل شكلها مستوحا
 كاسأله أين ملؤه من ملئت
 ورؤف رئيسنا بطاننا
 مضمومة في وسط لم يكسرن
 ما قبلها واواداما تبدلن
 وهمزة من قبل واو مدحا
 سطرية في عرضهم تكتبها
 عدا يؤوس ويؤول ومؤول
 مؤوة شؤون قوم ومؤول
 يؤوب ما السؤول لح ومؤوم
 وأين تكتب وعاشر تؤوم

« باب الالف اللينه »

لو ألف اكبن ان فتمت
 وبعد واو أبدلن ان كسرت
 وبعد ياء تكتبن جميعها
 واسطعوا بنية لوضعها
 وكل هيز بين مدين كتب
 جاءايسود لا كجائينا نصب

وألف من كلمة أربع
من الحروف أو تزد ياء ضمح

ماض ثلاث ان همز انفتح
أو ولو أو توسط ياء يصح

واسم ثلاثي ان يضم أوله
أو يكسر يا جوازا اجعله

فتعرف اسما حيثما حوكة
وماضيا مضارعا أوله

للأعجمي وكل ما بينا
يكتب ألفا غير ما استثنينا

بخاري كسرى عيسى موسى اعتبر
للأعجمي كذلك متى ولتصر

إلى بلى حتى على للأحرف
إني متى لدى الألى اسما أعرف

تمذف من الحروف سبع جمعها
في (افت مولاي) وخذ ترتيبها

فهمزة لقطم في أمر أكل
والوصل في ماض ومصدر وآل

كافتراء انطلقت فارتدع
وخذ طريقا للصواب يتبع

وهمز أين بديا أو قبله نسب
حقا ولم يفصل وفي سطر كتب

وألف من بعد همزة الألف
لذ غير ما للكرامة حذف

لأخذ مكافات آدم
لا قرأ أو المد عوض يعلم

وألف من قبل هـ من غير العلم
 مثله كامل أجزاء العلم
 وحذف الهمزة اسم قد عرف بها
 وبين لامين آتى وقوعها
 واو دالود لكثرة حذف
 طالوس لا كينوون ردف
 كذا اذا من قبل ياء أمكننا
 أبدل يا وادغم أصبت الحسنات
 وألف ما خلافا هاءة هاءنا
 هناك هاؤم احذفن كهائنا
 والواو في عنبروا اذا لم ينصب
 أو لا اشارة أو لو للصاحب
 وألف في مائة والجسم
 في الشعر للإطلاق زيد واستمع
 وهاء مسكت في ليف غرقا
 وناقص فتح لبني الحقا
 والتاء آخر الاسم اذا ما حركت
 وضعت ما قبلها هاء أبدلت
 مع ألف بمقصورة نحو صلاة
 أو جمع منقوص القضاة والولاة

قواعد النحو عدلت منظومة المربطية باختصار وزيادة كثيرة حتى غيرت
 بعض الأبواب بالمرّة وحملت التلاميذ على حفظ هذه المنظومة :

الفاعل البنى كمرقوعى آتى زيد منيرا وجهه نعم الفتى
 وواجب في الفعل أن يجرنا لذا لجسم أو من أمكننا
 والتاء أولها بتصل قد يلى تأنيث نحو أو ضمير الفاعل
 وقد ينبح الفصل ترك التاء في نحو آتى القاضى بنت الواقف

وجوزن لضعاف قد كرا
 للعلم والجهل كذا للغصوف
 وباب مفعول به أو ظرف
 وأول الفصل هنا دوما يضم
 وافتحه في مضارع كيمعلم
 وأجوف تبدل ياء عينه
 وما بدا بهمز وصل اضمن
 مضحف فك والمعنى دغم
 المبتدا اسم وغمسه مؤيد
 وجملة وشبهها عن مبتدا
 والمبتدا أو خبر ، قد يحذف
 وخبر لمبتدا قد يسبق
 نكرة قبل ال ولم تجسد
 كأحمد مقترن بي وهما
 وافت عندي والفنى بدارى
 أهدا أو تعظيما أو ضد جهل
 ان جمع مفرد لمقل سلم
 فارفع يواو ويا لجرور وانصب
 ومثل زيد وبع عشرون
 ترفع كان المبتدا اسما والخبر
 ككان ظل بات أمنى أصبحا
 فنى وأهلك وهذى الأربعسة
 فنى وأهلك وزال مع يرح
 تمنع ما زائدة « ان » من العميل
 وكل ما صرفه مما سبق
 ككن صديقا لا تكن مجافيا
 كذاك دام بعد « ما الظرفية »
 أصبح أفعى بابت ثم أمى

أو مجاز أو لفصل قد جرى
 قد حكموا لضعاف بالحنف
 أو مصدر أو ما يعر بالعرف
 وكمر قبل لام ماضى يلزم
 واسترضى القاضى وسبق المجرم
 والثانى من مبدوء تاء ضديه
 ثالثه مع أول كاتمن
 مضارع التفضل الله علم
 محذوف عنه بما قد يسند
 أخبر ، وسم ما يطابق مفردا
 ان كان قبيل جاء ، يعرف
 اذ عند ذى تذكيره يسوغن
 كمرقة حرية تسمى بجسد
 قائمتان والكرام عظماء
 وابنى قرا وذا أبوه قارى
 ترفها اضافة أو حرف ال
 أو صفة نظيرها بالتا ختم
 كأحمدون كاملو التآدب
 وبابه الحق والأهلون
 تنصبه ككان زيد ذا نظير
 أضحا وصار ليس زال يرحا
 لشبهه فنى أو لئى متممة
 من بعد فنى أو لشبه يتفح
 لا ليت واختصاصها باسم عطل
 من مصدر وغيره به التحق
 وانظر لكوني مصحبا معافيا
 وهى التى تكون مصدرة
 وظل توقيت وهى ليسا

حول بصار واستمرار الأربع
 للقرئ كاد كرب ونظوا قضا
 وللشروع طقق وجملا
 وشرع وقام ثم علقا
 واكدوا المعنى بأن إنا
 (أن أن ليت لكن لعل
 كان للتثنية في الحاكى
 ولترج وتوقع لعل
) هـ أن افتح لصد مصدر
 أن ذكرت بالقول أو بعدد
 وحكم « لا » كحكم أن في العمل
 وعند أفراد اسمها الزم البناء
 وخبرنا أن يملن لحذفه
 لا سيما فالاسم « سى » وسم ما
 والاسم بعد « ما » إذا فكرة
 وعرفته خبرا للبتدأ
 يبنى من الأسماء استقامها
 وكل حرف ثم فصل ما خلا
 أنا وفمن أنت انت التما
 وهن أيضا والجبيع اثنا عشر
 وقت قنا قمت قمت قمتا
 وقاموا وقنا والجبيع اثنا عشر
 وليشه يعرفنى بنصبها
 إياى للنصب من المنفصل
 إشارة خلاف ما أشير له
 (بدأ المفرد مذكور أثر
 والأصل في علمه أن يذكر
 ما يقع الفعل عليه سبه

مناسب كدام لزم أن تبع
 والرجا عسى حرى وأوشكا
 اتسا وهب أخذ وأقبلا
 فحرف ال بفعلا أن يلقا
 وليت تبدى قصد ما تمنى
 كان عكس ما كان من عمل
 واستعملوا لكن لاستدراك
 كقولهم لعل محبوبي وصل
 مسدا وفي سوى ذلك أكره
 أو وقعت من الكلام أولا
 فانصب بها منكرها بها فصل
 مفتحا كلا صديق عندنا
 « لذا نيه » قلت لا شك له
 موصولة زائدة أو مبهمة
 فارقه أو فانصبه أو فجره
 أو جره و « ما » تكون زائدة
 شرط ضحير مبهم موصولها
 مضارعا من كل فون قد خلا
 اتن اتم وهو وهى هم هما
 ضمائر الفصل لرفع استقر
 قمتن قمتن قام قامت قلما
 ضمائر الوصل لرفع استقر
 وكقيسامى بكم لجرها
 لا جر التروع الخط وأكمل
 والاسم لت بعده أو بدله
 يذى وذه تى فاعلى الاشئ اختصر
 لكى يجد في حذفه أن يظهر
 مفعولا به واقره عند فصله

وقد يمد من كسلم اتقنا
 فلزم فاعل قصد اكتفى
 قصد بالهمز والتضعيف
 كلن طال حب وزعما
 رأى ووجد دري تملا
 الاغتراء تنيه الخطاب الى
 تحذير تنيه الخطاب الى
 ومطلق يذكر بمد فله
 وقيد بين عددا أو نوعه
 ينوب عنه عند اشارته
 مرادف ضميره أو صفته
 وما لتوكيد فوحسد أبدا
 والمصدر انصب ان أنى يبا
 وشرط انصاحه مع فاعله
 والنصب بالفعل الذي به جرى
 أو ليلة أو يوما أو سنينا
 أو ليلة الاثنين أو يوم الأحد
 واسم المكان نحو سر أمانه
 هناك ثم فرضا يريد
 (ينصب بمد ولو مفعول معه
 ويجب النصب إذا التالى يصح
 واعطف الفعل لا يجر بالواحد
 وإن على ضمير رفع متصل
 فانصبه بالفعل الذى به اصطب
 وكالأمير قادم والمسكر
 من المضارع لعطف التثنية
 تنيد ترمنا وتخصيصا ووصف
 أو بالذى له أضيف الثناني

تبهره وحذفن كسبا هنا
 أو ما معديه يكون خسفا
 والتف وفاعل صبح يتكيف
 وجعل عددا حب فلفهما
 وتخذ اتخذه وأترك حولا
 محسود أمر مطلقا ليفعل
 مكروه أمر مطلقا ليفعل
 من لفظة مؤكدا لفعله
 كهم قياما واجمع جمعه
 ونوعه كالتقنرى وأتته
 كل وبعض قصد تليه صيته
 وثن ولجمع غيره وأفردا
 لمة الفعل الذى قد كانا
 فيما له من وقته وفاعله
 كمرت ميلا واعتكفت أشمرا
 أو مدة أو جمعة أو حيننا
 أو صم غدا أو سرمدنا أو الأبد
 أو خلفه وراءه قدومه
 وما هنا وقف موقفا سديدا
 في نحو منجى والطريق مسرعا)
 تشريكه في الفعل معنى لا يصح
 كاختصا واصطفا بالشاهد
 عطف ، فافعل بالضمير المنفصل
 أو يحبه فل كاستوى الماء والغضب
 ونحو سرت والأمير القبرى
 أو نون اعراب كظور ضينا
 للملك أو للجنس أو قد لظرف
 كزيد الضارب رأس الجناني

ووصف ال بهذا المضاف مقصر
 التثنت ووصف مشعر بالمدح
 يطابقن منموه في أربع
 في الجمع والاعراب والتذكير
 بالسببي ارفع مظهرا وأفسرد
 وجمله في التأنيث والتذكير
 مثاله قد جاء حرتان
 ونجيلة وشبهها يأتي التثنت
 العطف في الأسماء والأفعال
 بالواو والها أو وام وثم
 الواو للجمع وينبنى بها
 خبر أو عين يأم اضرب يميل
 أما كأو إذا لمثله ردف
 وإن على ضمير رفع متصل
 توكيد اسم تابع ليرفعها
 للفظي تكرار ومعنوي بكل
 كلا وعامة كجلاء الناس
 وإن تؤكد لضمير متصل
 وارد في المنعوى . بمطابق
 متصلا تنصبه أو تعجبره
 إذا اسم أو فعل لمثله فلا
 فاجمله في اعرابه كالأول
 كل مطابق وبعض واشتمال
 وجر بالفتحة مالا يتصرف
 بأن يجوز الأسم عتين
 قاله التأنيث أغنت وحملها
 ميزان وحملوه وجلى للآلف
 والعتان الوصف مع عدل عرف

أو وصلت بالثاني كالتجعد الشعر
 بهن أو بسبب أو قدح
 من شرة إن جاحقيا وقسح
 أو ضد أو تعريف أو تنكير
 وإن أتى المنعوت غير مفرد
 مطابقا للمظهر المذكور
 منطلق زواجهما العبدان
 إن فكسر المنعوت تأويلا ثبت
 لنسق بالعروف وأتت سال
 حتى ويل ولا بسكن أما
 كتم للتعقيب مع شرط وفي
 لكن للاستدراك لا تقي حصل
 حتى لفصاية إذا البعض عطف
 عطفت فافصل بالضمير المتفصل
 مطابقا سهوا به قد رفعها
 نفس وعين وجميع كلنا قتل
 علمتهم بقا لهم إنسان
 أعدته في جملة أو منفصل
 كعتت أفت قصك بالسابق
 قتل وقاك قصك ذا شرة
 والحكم للثاني وعن عطف خلا
 ملقبها له بوصف البذل
 وعائد بالتاليين ذو اتصال
 مما بوصف الفعل صار يتصرف
 أو علة تضي عن اثنين
 وصيغة الجمع الذي قد انتهى
 فواعل مفاعيل لجمعها ألف
 أو وؤن فعل أو يشون والآف

وهذه الثلاث تمنع الالف
انصب بشر وهي أن ولن وكى
ولام جحد وكذا حتى وأو
له جوابا بد هي أو طلب
يلم ولا لام أمر أو هي
كذلك أن وما ومن ولذا ما
وحشنا وكيفنا وأنى
واجزم بأن وما بها قد القفا
ما استثنت الا مع تمام موجب
هذا اذا استثنيت متصلا
وان يكن من فاقص فلا
غير سوى سوى كالا معنى
حاشا على ومثلها أيضا خلا
العمال وصف ذو انصاب آت
والما يؤتى به مؤخررا
وصاحب العمال الذى تقررا
كجاء زيد راكبا ملفوفا
وجملة أو تسببها واربطهما
مميز وزن مسبحة عدد
فالنصب تمييز وجرد بمن
فتسبة تمييزها انصب أبدا
كهن الطاووس شكلا وتنظم
ومدد بطف أو قد ركبنا
مضاف أو شبه له أو ذكره
ولكرة تفصلها ثم المليم
بأى همز آيا ثم هيا
هناك أسلوب تعجب يصح
وأخر للندوب زد الفاوها

فان يصف أو يات بمصد ال صرف
كذا اذا ان صلت ولام كى
والواو والقاء فى جواب وعنوا
كللزم طمعا وترك التعب
اجزم مضارعا كلا تفصل به
أى متى ايان أين مهما
كان يعم زيد وعسرو قنينا
فعلن لفظا أو محلا مطلقا
انصب وبعد النفي أبدا وانصب
منقطع انصب مطلقا لا تبدا
قد التيت والمامل استقلا
اعراجها يكون كالمستثنى
أجر بها أسما أو أنصب فصلا
مين لهم الهيئات
وهكذا يؤتى به منكرا
معرف وقد يعى منكرا
وقد ضرت عيده مكتوبا
براو أو بضمير أو بهما
كيل فهذا باسم ملفوظ ورد
أو بضاف كالف مائة ركن
عن فاعل معمول أو عن مبتدا
القائد الجند صقفا ملتزم
أفراد تميز ونصب وجبا
لا تحصلن بنصبها مسطره
فاين على ما يرغم كيا حرم
ناد وانلن براو واستثت ييسا
بلطف سمثاث واللام فتح
كوا غلاماه وسكنن لها

وقع في يدي من كتب الحساب كتاب المستر براين المستعمل في المعارف في تلك الآونة وهو مترجم صعب العبارة وكراس للتلميذ طه زكي وكان بطريقة حل المسائل التفصيلية الشرح قبل العمل كقولهم لحل هذه المسألة هو أن نعمل كذا أو كذا بشرح طريقة ما يعمل ثم يجرى العمل كما شرح . غلبت نفسي الحساب للسنة الرابعة ابتدائي من كتاب المستر براين الصعب العبارة ومما أذكره أنني قرأت فيه عبارة « بين أي مربعين كذا وكذا يساويان مربع العدد هذا » قبل أن يقول تربيع العدد ضربه في نفسه فصرت أجرب حتى تمت على البرش فأريت فيمنامي أن أقول $3 \times 3 = 4 \times 4 = 9 \times 9 = 16 + 16 = 25$ ، $5 \times 5 = 25$ فصحت من نومي وحللت المسألة .

في آخر نوفمبر سنة ١٩٠٣ م جأوني طلب من شركة فائان في قضية مدنية بالغلط وعين لي الميعاد للجلسة في أوائل ديسمبر وكان مساعدة المدير ديكسون باشا صدفه برفاعة فطلبت منه أن يكتب للكلية بقولي للترين اذا تمطلت القضية فقال لي سعادته كيف تمرن وانت مطلوب قضية قلت اني أعلن اني أفرغ منها في مدة وجيزة فقال لي حينما أنك تفرغ أرجع لدرستك فقلت ربما تتأخر لشهادة أو مثلها فكتب لي للكلية التي تمرن بها في شهر ديسمبر كله بقسم المعلمين والقضاة فانتضت كثيرا خصوصا من القاء عبد الرؤوف سلام رأيي سالم رئيس القرائين أكل اقطاري تحت دومة في شارع الشاطيء فأراني غرفة مخزن لأكل فيها بدلا من أكلتي تحت الدومة التي في شارع الشاطيء . وفي يوم رأيي الشيخ محمد نور أكل سمكا يرغيف فأخذني لرفة المعلمين فتغذيت معه وعندما عرفني المعلمون اني أكل على حسابي أخفوا يدعوني فبعد الشيخ نور الشيخ القمراوي للعشاء حيث وجلت بمنزله عبد الله النجومي ومعه سوداني بت معه ليلة وشهدته يتعلم منهما الانجليزى على صفرهما ثم الشيخ حسين عمر ثم الشيخ ماضى وكلهم آيت معهم اما الشيخ نور فتغذيت معه مرات ذلك بعد أن اتفقت من يرى لبعدي بالمسافة .

في آخر يولية سنة ١٩٠٣ م سامعت المدرسة للعلة الصيفية على عدد ٤٢ تلميذ فعلنا رواية في ميدان المولك النبوي شخصها التلاميذ فلما فتحت المدرسة في شهر سبتمبر ألحق بها ٣٣ تلميذا مستجدين فبين الشيخ عبد التفار مفسرا فالتا قرر له شامون قرشا شهريا كخفيرو فلما انتهت سنة ١٩٠٣ التي كان

بها الأمور عيد العزيز مجدى ينتظر أن يكون مرتبى النهوى $3\frac{1}{4}$ جنيه الى ٣ جنيه شهريا الذى قل من أول يناير سنة ١٩٠٤ أركان حرب للمدير اشتدت دهشته حينما رأى أن مرتبى وجع الى جنيه واحد لأن المدير القديم بلوت بك نقل وعين بدلا عنه ديكنسون بك الذى كان نائب مدير • أخذت يناير وفبراير مرتبى جنيه واحد وحينما سمع يوسف أخى بذلك أرسل لى خطايا يدعونى فيه انى ترك المدرسة والذهاب الى الدوم لأن التجارة رابعة جدا وانه أجر لى دكان قبالة دكانه بمبلغ ١٨ جنيه فى السنة وقد دفع كل الأجرة السوية مقدما وحججه لى • وفى يوم ١٣ مارس حضر المدير الجديدة وبدأ بالمدرسة قبل المركز كمادة كل الحكام بذلك وبمعيته أركان حرب عيد العزيز أفندى الذى رقى الى رتبة صاع فأعلنتى سعادة المدير بحضرة الأمور القديم ولنا أمور الجديد محمد أفندى طمى ان المدير السابق وضع عشرة جنيهات من نفسه مع جنيه خصوصى لك من الخفر • وقد فرغت جنيهات المدير ، اما أنا فلا أحب أن أضع لك من نفسى شيئا وأصبح مرتبك جنيا واحدا ولت الخيار فى ان تترك المدرسة او تبقى بها مع العلم ان لا أمل فى زيادة مرتبك أكثر من الجنيه الواحد ، فأفترقت أمام هذا النبأ المحزن ولكنى نظرت الى بلادى العارية عن التجارة والزراعة والصناعة والى أولادى الذين صلهم الخبر المؤرس كما صدمنى مصاروا ينتظرون جوابى بهلع ، ففكرت فى أن الحكومة جديدة فى البلاد وتحتاج الى مستخدمين صفار فى معلوماتهم ورواتبهم لتربيتهم كما تشاء وتساعد ميزانية البلاد الفقيرة ، وتذكرت شيخنا الفقيه أحمد الكراس الذى تقدم ذكره ، كان يأخذ رايلا فى الشهر من حاج أحمد السيد ويعلمنا فى مكان مدرستنا الحالية وهو عرب وأحيرا ترك الريال وتبرع بتعليمنا مجانا فلماذا لا أضحي مثله وأتمم على لوطنى فرفعت رأسى قائلا للمدير انى أستمى فى عملى فأفرد مسابته وقال لى واحد جنيه فأفترقت مسابته مثله وقلت له أستمى بجنيه واحد ، فلما أراد الخروج قال لى محمد أفندى طمى أشكر سعادة المدير ، قلت على أى شيء أشكره وكنت أظنه لا يفهم ، ولكنه نظرنى وتبسم • فلما فتى المدير المركز رجع ليقتنى المدرسة فأمر بالمطالعة ، وصار يدور فى التخت مع كل قارئ من التلاميذ ويسأله عن المكان الذى يقرأ فيه وعن معنى ما يقرأ ثم كتب على التختة مسألة حساب على المشترك الأعظم وكتابة سعاده بالعربى بليغة فهو

يكتب ونصح محل فيها عقليا . فلما أتم الكتابة رفع التلاميذ أيديهم ؟ قلب
 فلجواب قال لي انت عرفت الجواب قلت نعم . قال كم الجواب قلت كذا .
 قال احد التلاميذ فأجاب مثلي ، فأمر عبد العزيز أفندي مجدي أن يكتب
 غيرها . وقد لي : مر أحدهم ليحطها أمامي بالطباشير . فأمرت شيكة . طما
 هض على المصطبة ضرب كرسى المدير حتى وقف سعادته ومشى شيكة للتخنة
 فحل المسألة بأسرع ما يمكن . فقال عبد العزيز أفندي اسمعونا محفوظاتكم .
 فقرأ لطفى ثم البنا . وخرج المدير وأمرني بصحبته للضابطية . ولما وصلنا
 أخرج من جيبه جنيتين أفونكي ومعهما قطعة من ذات الحمسة قروش لمعونات
 في ورقة وقال لي هذا فرق المرتب جنيتين عن يناير وفبراير الماضيين . وقد
 وضعت عشر جنيهات في العزفة لتأخذ كل شهر جنيتين وسأكتب للخرطوم
 ليعتبروا مرتبك ثلاث جنيهات ونصف أو ثلاثة على الأقل ، فإن صدقوا أنا
 استلم كل هودى اثني عشر جنيها وإن لم يصدقوا فمن أول يناير سنة ١٩٠٤
 بلا شك يكون مرتبك ثلاث جنيهات ونصف فشكرته ووقت فقال عندك طلب
 قلت نعم أريد أن تكتب للمعارف أن تضم المدرسة لمصلحتها . قال المديرية
 بطالة قلت لا ولكن التعليم يحتاج للكتب والأدوات . وأنا مرتب صغير لا يمر
 على شهر لم أصرف منه عشرين الى أربعين قرشا في الأدوات حتى جعلت كرة
 القدم من شعر وصابون وصمغ وجعلت الكرة الأرضية من قرعة . فقال سعادته
 ممكن أراهما ، فأرسل حطمي أفندي من جاء بهما ، فضرب كرة القدم في الأرض
 فأرتمت فعلا ارتفاعا قليلا ولكنها خفيفة لرجل الولد ونظر القرعة فقال لي
 كيف تعلمهم بها فحطت الرباط فاطلقت فلتقتن متصلتين بالرباط الفلني
 ووضعتها أمامه على التريزة وقلت أهم ما يتبعون بها انه يعلموا ان الأرض
 كروية وان الجزء اليابس من آسيا عند بوغاز بيرنج بعد الاقلاب يتبع امريكا
 الشمالية . فاذا لم يروا هذا مجوسا لا يمكن أن يصوروه . فأعجب بذلك
 وكتب في الحال ثلاث جروبات وأنا واقف وقال لي أنا كتبت هذا للمعارف
 كطلبك وهذا لديفس براين ليرسل لك ثلاث كفات وتسعة أنبوبات وهذا
 الثالث لاسطنبول ليأتوكم يخرط جميع الأرض بالمري وأنا مسرور لمالك
 بالمدرسة في هذه المدة الوجيزة وسأكتب معكم كرة القدم عصر اليوم ولعب
 معنا فعلا . ولعدم العزم أمرت بطلب التلاميذ حياطين . فعلا استمر هذا

بمدرسة رفاعه الى آخر سنة ١٩١٨م وكل هذا يترجم لى عبد العزيز أفتدى
مجدى أركان حربه مأمورا الذى سبق أن فتح المدرسة دون كل المأمير
كما تقدم .

أصبح لى شيطان هما شىحاي الفقيه يوسف نعتة وشيخنا حاج أحمد
حسين الشهير بتور ياسين . ولما لم يكن فى استطاعتى مقاومتها سواء بشكوى
أو غيرها لاعتقاد الناس الأعمى فيها عمدت الى الحيلة فأكرت من زيارتهما
والتأديب لهما ثم على ضيق مرتبى رتبته للفقيه يوسف فقيه البلد ياسين سكر
ودستين شمع ورطلين بن قهوة شهريا ولتور ياسين عابد البلد وصوفيا واحد
من كل نوع شهريا وبذلك حصلت على اخفاء تلميذها العلى بدم المدرسة
وتفجرت حتى أخذت عبد الرحيم يوسف نعمة تقسم العرقاء ومحمد حمد نصر
من أخص المعتدين فى تور ياسين بمشورته تلميذا للكتاب ثم التزما السكوت.
طلب المدير الشيخ عبد الله أبو من وعرض عليه وضع ضريبة بسيطة
للتعليم مرفض بناتا . فرجع المدير غير راض ، فأخبرنى الأمور حملى بذلك
فمضيت لعلى الشيخ عبد الله وقلت له اذا جاء الخريفه فكم أرديا تحصل من
مزارعك فقال خمسمائة أرب . فقلت عشورها خمسون أرديا وأرب العشور
ضريبة التعليم منه نصف قرش يا عسى عبد الله لأجل توفر ٢٥ قرش فى السنة
تعرنا من ارتفاع مرتبنا ونحن أولادك فان القدان قرشان وقطار القطن قرش
واحد هذه لا فائدة فيها لأن القدادين قليلة والقطن معدوم . فقال لى الضريبة
لروائبكم قلت نعم يا أبى . قال رضيت فأخرجت الطلب الذى كتبته استعدادا
ليوقع عليه هو وسكان مركز رفاعه بالرضا بتقرير ضريبة التعليم وقلت له
أض هنا . فامضاء بخطه وختمه بخاتمه . فلما أوصلته الأمور سر جدا وزاره
فى منزله وطلب منه أن يوقع عليه من الأعيان بمدينة رفاعه والعمد والمشايع
بالمركز . فوقموا عليه وأرسله للمدير الذى جاء لرفاعة من الكاملين لهذا الغرض
وقرر ضريبة التعليم من أول سنة ١٩٠٥ فبهذا أكون السبب الأول فى الوصول
لضريبة التعليم التى عمت السودان كله فى وقت من الأوقات ، ففي أكتوبر ١٩٠٤
أعنى بعد سنة دراسية وأربعة أشهر انتخب من مدرسة رفاعه التلاميذ محمد
لطفى وبابكر التاى ومحمود الجزولى الحق لطفى بضم المعلمين العالى والباقيان
للإبتدائي فتوقف السير كرى فى قبول محمد لطفى لقصر قامته فالجمت عليه

في قبوله فأشار الى محمود الجزولي فقال أنا أريد كهذا قلت ان لظني أكبر منه في العمر وأحسن منه في الدروس فقال لكنه قصير قلت : هو خلق نفسه ؟ فضحك سعادته ثم قال لي : هو في الكلية يصنع سمعة للمدرسة قلت نعم فأخذه كما أتذكر ان ٥٥٥ عم ٥٥٥ في أوائل ١٩٥٤ قدم طلبيا لمحمد طحني باسم ٥٥٥ يطلب فيه تعيينه كاتبا بالخضر برتب ١٢٥ قرشا وانه يتيم وله أخوان صغار فعلمت ان هذه مكيفة من عمه ليحول بينه وبين ما يستحق من المركز الذي أعد الله له باستعداد تكوينه وليأخذ عمه من هذا المرتب جانبا أو لصيب الأمد فطلبت من الأمور في الحال لنور هذا الطلب وعبرت له عن آمالي فيه للبلاد ولأخوانه الأيتام فزق العرض حال أمانى ولما جاءه عمه قال له ان بابكر عرفني عن هذا الولد واستعداده وانك تريد أن تتسح منه مالا وتضعه مالا فإذا عرضت على بشأنه مرة أخرى أضعك في السجن فالصمد له حيث خلصته من عمه وقد حقق آمالي في خدمته للبلاد وان لم أجده منه ما أملت فيه حيث قلت مرة لأخوانه بالفصل ان أكبركم أملا عندي لينتني ٥٥٥ فقام ٥٥٥ وقال أنا أتضعك أكثر منه ولكن الله تعالى تولى وكافاني عنهم فلم يوحني لأحد حتى أولادى من صلبى .

قلت فعلا جاءت الكور والخرط ثم جاءه إبراهيم أفندي كامل الذي كان ناظرا بمدرسة الخرطوم الذي سبق تمرنى عند حضرته جاءه على جبل سرجه حوية ولم يكن معه خادم غير الجمال فنزل ينزلى أسبوعا كاملا ليتش على شخصيا في المدرسة دون غيرى فكتنا نصلى الصبح في الجامع وكثيرا ما رأيته يتجهجده سحرا كثيرا ما سبقنى للجامع فلما انتهى التفتيش وعزم على السفر ركبت حمارى وتقدمت معه مودعا فلما أراد أن يعزم على الرجوع أتخ جملة وبسد التوديع قال لى رحمه الله هل لا تسألنى عما كبتك قلت لا يجوز لى أن أسألك قال لسوء ظنك بى قلت كيف أسوء الظن فيك وقد رأيته يتجهجده وتسبقنى للمسجد بصلاة الصبح قال ولماذا لا تسألنى قلت اذا كنت أحسنتم عملا فما مثلك من غير ذمتك واذا كنت بصحيا فى عملى فالصلحة التى أوفدتك لى هى أولى بالنصيحة لها ولا أكلفك أن تضمنى بمتك رأيته اهتز اربابا لكلامى الصريح وقال من كان يفكر فى مثل هذه الأفكار يصارح بما قيل

عنه - أنا كتبت لك أن تهرز ماهيتك أربع جنيهات من أول أبريل فيستبروك
مقلوما اعتد ذلك قلت يا سيدي وجود الأدوات بالمدرسة أهم عندي من
مربي قال بصوت المؤكد أنا أرسل لك أدوات مدرسة ابتدائية يا سيدي
فشكرته وودعه وأوجد عندي ثمة عظمى في شينين من حيث الفضل والتين
رحم الله رحمة واسعة وغرضه الجنة في تنبأه القضي لآله توفي في أبريل ١٩٠٨
- ربيع أول ١٣٢٦ وعمره ثلاثون سنة فقط وخلف أرثي بطل وولدا واحدا
وقد فاجأني بمؤنة أخي محمد النور الكاتب بمحكمة رفاة الشرعية ولعن
بميدان المولد. بقوله لي حوى زولكم مات قلت من قال إبراهيم كامل المقتس
لفصقت قهريا لوقع الخبر على لحرمانك يلمتنا من رجل مختلس في عملة عالم في
مادته مظلما لغيره وأقول بحق أنه لم يظفه من هو في كفاهته من أبناء جنسه .

إنشاء قسم للمساعين بكتاب رفاة :

جاءت الأدوات كما قال وفي أكتوبر سنة ١٩٠٤ عينوا لنا محمد أفندي منير
رفعت مدرسا ليعطي تلاميذ الفرقة الثانية مساحة . في سنة ١٩٠٥ في يوليو
زرت المديرية بالكاملين فأخبرني الصراف عبد السلام أفندي أن اسمي ذكر في
قرار المديرية وعرضه على فقرات منه فيه هذه الجملة المدرسة الوحيدة بالمديرية
هي مدرسة رفاة واني مرتاح جدا لأعمال الشيوخ بأكر بدي قلنا في
أول سنة ١٩٠٤ هل عبد العزيز أفندي أركان حرب للمدير وخلفه محمد أفندي
حلمي صديق المدرسة وعملها بنى لها في سنة ١٩٠٥ أربعة غرف اثنتان عند
الباب واثنتان لحداتها شرق الترفة الكبيرة والأخرى غربها وعلى الجميع فريدة
قبيلة وبني بالسوق صف دكاكين أوقافا للجامع باسمه فلما جاء حيدر أفندي
رسم سعى في جعلها حكومة زاعما أن المبلغ الذي بنيت به هذه الدكاكين
حكومة وإن الأمور سلقه زرع قطنا بواسطة المساحين فباعه وبني بشمه الدكان
فجاء المدير وحضرت أنا والشيخ الأمين أبو سن أمامه وجادلنا بأن الوقف
لا يباع ولا ينقل فلم يسمع . في أكتوبر سنة ١٩٠٥ تمين من مدرسة المساحين
إبراهيم حسنى ومصطفى أخوه ومحمد حامد القاضي وعمر عبد اللطيف وتيمى
وعثمان خليل مساحين بالجزيرة مع المستر ثلثن اما شبيكة وعبد المجيد على طه

فقد التحق بالمدرسة الكلية بقسم المطين وعمر السيمت وعبد الله أبو من
 للإتدائي ومن تلك السنة إلى سنة ١٩١٨ حيث عينت مفتشا بالمصارف في ١٣
 فبراير سنة ١٩١٩ لم تمر سنة لم تصل الكلية منها رسالة من المدرسة حتى قال
 لي جناب المستر سمسون في سنة ١٩١٣ حيث أخذت إحدى عشر ولدا رسالة
 للكلية قال لي يا شيخ بأكبر الكلية ما فتحت لتلاميذ رفاعة بل مفتوحة لكل
 أولاد السودان فتأثرت نفسي لأقول له تهصد اني لا آتي برسالة منهم للكلية
 بعد الآن وفي الحال نبهني عقلي لأنه اذا قال لي نعم انسدت الكلية في وجه
 أولادي قلت لجنابه كل أولاد السودان أولادي فأنا أحضر عددا كبيرا ممن
 يستحقون الالتحاق بالكلية من رفاعة فإذا طالب كل البلد بحقه في الكلية أرجع
 به يبقى معهم وإذا تأخر بلد عن لرسال أبنائه وكانت هناك مطلات شاذرة
 فلاحسن أن تبقى شاذرة أو تسد من رفاعة قلت على هذا المبدأ أحضر تلاميذي
 يا مساعدة المدير قال حسنا عملت ومن العجيب أنه لم يرجع غير ٥٥٥
 لتسكله الصغير وتذاك قلت تمنى محمد أفندي منير رفعت مدرسا للمساحة
 فرحبا به وأسكنته في أنطق غرفة في منزلي وصرت أعلم المساحة مع التلامذة
 فوثنى اليه الحراجة جورجي كلميتا فوس لتير بأن بأكبر ذكي جدا وإذا تركته
 يتعلم المساحة يفهمها حالا والمصلحة تستغني به عنك فرحل من منزلي وقلب لي
 ظهر المجن وصار يبرى التلاميذ بدم الملاعي وطمع لهم في معلوماتي فلما لم
 يواجهوه على صار يضربهم بلا عناد وبأي آلة ولو تكون محددة حتى قال
 شيكة وغيره من التلاميذ انهم مصممون اذا ضربهم مرة أخرى يضربونه
 فحذرتهم من ذلك وكان كل مساء خميس يتوجه لاريجي لأن جناب الأمور
 محمد شريف متزوج قريبته والبومته تأتي يوم الجمعة لرفاعة فأرسلها مع
 الفراش داخل ظرف من ظروف وضعها هو عندي لهذا المرض وفي يوم جمعة
 توفي المرحوم ادريس محمد عمر البنا وأنا مشيع للجنازة جاوتني البومته
 فجمعت جواباته وقطعت ورقة من مذكرتي وكتبت عندها والجهات الواردة
 منها وأرسلتها له مع الفراش عارية عن الطرف فجاء صباح السبت وقال لي
 أمام التلاميذ (لأننا كلنا في غرفة واحدة) قال : لأى سبب ترسل لي خطاباتي
 عارية عن الطرف . شرعت أعتذر له فقال لي قلنا انكم سودانيون كلاب
 صديق محمد أفندي شريف حيث قال لي عاملهم معاملة الكلاب قلت اذا قال

شريف ذلك وأتم معاشر المصيرين بالسودان ما تعرفون أخلاق السوداى الذى لا يأتى بالضبط ولا يلين للشدة فقال لى كلكم عيب فقلت له بعد أن ضحكت أنا أحسب الى عشرين جد فى نسبي وانت لا تزيد على ما أعرفه منى حسين وقمت قل لى بالله وقمت ابن من فاعتاظ وقال لى (أصبحت على أهلك أكرهواك) قلت أنت صغير • وضيف سامحتك فخرج من الفصل ومشى للضابطية قابل المأمور حيدر أفندى رستم وحكى له ما جرى قتلته • فخرج ومشى لشريف أفندى باربعى فجاء به عصرا ليعيد أفندى فى منزله وطلب شريف من حيدر أن يكتب للمعارف بأنى أحرص الأولاد على ضرب منى أفندى وانى مضيق عليه فى الأعمال والمعاملة وأستدلوا بكتاب كتبه للمأمور حيدر بهذه الأسئلة .

هل للمعلم الحق الخروج من المدرسة بدون إذن الناظر ؟

هل يجوز للمدرس أن يضرب التلميذ بأى آلة وأى عسدد ولأى ذنب بدرجة واحدة أم يعدد الآلة والعسدد لكل واحد الخ ، فقال حيدر أفندى لشريف : ناظر المدرسة رجل طيب وله عائلته فإذا صحت كتابتنا فيه أو هزل أو خفض كذلك تمع عائلته فيقول له شريف والنبى تكتب أخبرنى بذلك خدام حيدر أفندى رستم الذى كان معهم وان الكتابة كتبت ووضعها شريف بيده فى البوستة فمكركه واحترست •

وفى يوم ١٩٠٦/٢/٤ جاءنى المستر كروفورت نائب مدير المعارف للفصل فى هذه القضية وكان قبل ذلك جاءنى السيد كرى وأوقف منى وسألنى قائلا هل يسمح أمرك ؟ قلت نعم : قال يشتغل كريس ؟ فقلت لا عيب فيه إلا كثرة الشغل فترجم كامل أفندى معنى هذه الجملة فتركتى وذهب فلما جاء المستر كروفورت مر على حيدر أفندى رستم وجاء به معه فأول سؤال قل لى من قال لك أنك ناظر على منى أفندى ؟ قلت أنت الذى قلت لى • قال عندك أمر قلت نعم يا شيخ محمد عبد النور جئنى بأمر مدير المعارف بتعيين منى أفندى فلما رآه أمرا صريحا ومختوما بأفضائه شخصيا قال لى ما الذى حصل بينكم ؟ فقلت لم يحصل شيء • فرفض وأمه للمأمور الذى كرر ما كتب به • فقلت هل حصل شيء من ذلك فقال لا ولكن خوفا من حصوله ، أنا كتبت للمعارف ليكون لديها علم بذلك • فقلت يا حضرة للمأمور أنت رجل من أعقل الناس فعرك مدير المعارف من مكتب لأمر خيالى • وهل رأيت جزاء على نية الاسامة قبل أن تحصل وان يعترف بها صاحبها أو سمعت عنه بشهادة ؟ سكنت للمأمور فقال له

سعادة المستر كروهورت تفضل حضرة المأمور وقيمت مع سعادته وحدي فقال لي انت مكار • فضضيت وقلت ايه أنا مكار ؟ فقال لي لما قال الله تعالى في القرآن « ومكرو ومكر الله » قلت نعم هذا بمعنى القوة لا حيلة السوء • فقال المأمور يعركني من الخرطوم بلا سبب : قلت اما تحديته أمام سعادتك هل استطاع أن يقول شيئا : فقال لك الحق قلت الحق على مصلحة المعارف شاب صغير نشأ في القاهرة في سرايه ودرس في سرايه وعيخته المعارف في بلده كرفعة ومدرسة ذات غرفة واحدة مع ثلثي مرتبه أربع جنيهات وهو مرتبه احد عشر جنيها وهو عالم بشهادة والناظر لا شهادة له فصحك وقال لي هذه الحركة تحرمك من العلاوة قلت في ذلك الوقت ترون مني مالا تأملون • فضحك وقال علاوتك في الطريق • قلت أنا طلبت من سعادة المدير مدرسة بنات في سنة ١٩٠٤ ففرضني على كمي وقال لي انك مجنون ثم طلبتها في سنة ١٩٠٥ فلم يجبني واليوم أكرر الطلب معلما فيه لسعادتك وأخبرك أن بيتي احد عشر بنتا تستحق التعليم وأنا ابن المعارف اذا كانت المصلحة لا تساعدني بذلك أراني مظلوما بها • ثم قلت له اعطوني عشر جنيهات أبى بها غرفة وأفتح بها مدرسة البنات ، اذا صحت نستمر وان لم تصح فبصلها غرفة للفرشين سأل بعدها كامل أفندي وحيد وقال لهما ترانها تنفع فقالوا لا تنفع بلقط واحد قلت : أنا وطني أعرف بلدي أكثر من حضرتيها وبمزلي احد عشر بنتا صالحة للتعليم ولي في البلد نفوذ الوطنية وقتها وأكد كلامه الأول لي بأنه بوضوله للخرطوم يرسل لي العشرة جنيهات لبناء الغرفة للتجربة فسافر فلما وصل الخرطوم وقفت الحركة بأن أرسل لي السير كرى كتابا خصوصا يقول فيه انه لا يمكن فتح مدرسة بنات بالمدرسة رغم الحاجة فيها ولكن اذا كنت أفتحها في بيتي الخاص باسمي الخاص على حسابي الخاص لا مانع عنده •

توجه يوسف أخى للديوم ولم أزره الا في عطلة سنة ١٩٠٥ لأنس به وأنظر حساباته لأنى أشفق عليه من غش الخوارج لضعفه في الحسابات مكثت معه شهرين راجعت حساباته بجوابات الرسائل ومتي وجدت رسالة لا جواب لها من أم درمان أو لأم درمان أطلب صورة الجواب فليقت غلطا كثيرا خصوصا في الرسائل المرسلة منه لعلهم فلا يردون بوصولها ثم ان الصنف يباع أو غيره فلا يعطون كشفا بالوزن والقيمة ففي طرف الشهرين أوضحت الحساب فبعد

لقد كانوا يطلبونه لعمى مائة وأربعين جنيا صار يطلبهم ثمانية وسبعين جنيا . بيكثت بدكاهم بأم درمان اثنتى عشر يوما أثبت حساساته ينفلي يذفاترهم وتركها بدفر خاص يكون الأساس للمستقبل وأخضعت مبى من الدويم ابراهيم مالك الذى كان عبره إذ ذاك ١٤ سنة وله معلومات وذكاء مفرد فالحق بالسنة الثانية بإبادل الثالثة الآن . وفى سنة ١٩٠٨ ألحق بالكلية كما سياتى . كانت تفت جالوس التلاميذ من النوع الطويل الذى عمله عيد العزى أنفلى بجدى مشكورا وفى أكتوبر سنة ١٩٠٥ يرجوعى من الدويم مررت على المعارف فأخذت معى تفتا ذات درجين وكثيرا من الأموات فى مركب شراعى ويمرورى على البشقره أنزل معى الشيخ حنين ولد عامر ولديه بابكر وعثمان ويمرورى على حطة ود راوه أنزل معى حسين رحمة الله ولده محمد كما أنزل بجعد ولده على صاروا دلفية بمنزلى وكنا فأخذ عن الولد ثلاثين قرشا فى الشهر ثم انقسم اليهم محمد نور عثمان المصوى والطيب العباس بدر الذى لم يكن والده يدفع لنا مرتب الثلاثين قرشا ولكنى لما مررت عليه بأم ضبان من مرورى للدويم بمبى ابراهيم مالك بتنا بمنزله وعندما أردت توديعه دفع لى خمس جنيهات ذهب قلت له لم هذا قال مصاريف ابنى عندك قلت هى جنيهان فقط أخذتها ورددت له الباقي فغضب جدا وألح على بأخذها فرفضت وقلت لماذا ألا ترانى أهلا لتحمل مئة أكل ولذلك عندى وتطلب منى قبول احسانك فضجل وتركنى ولمسنى بقصيدة ولكنى ضيعتها ولم أحفظها غيبا .

فى يناير سنة ١٩٠٦ مرض أحمد بدرى بحصى شديدة وطحال فمضيت أشتري زجاجة خل فلما جئت بها قبالة دكان أبو القاسم دفع السيد سمعت صوتا عاليا جهة منزلى فضاقتى أعصابى وجلست على الأرض وهى المرة الثانية التى تغوتنى فيها أعصابى قسرا من عوى فتشجعت ومشيت ولما وصلنا سوق البهائم وجلت الأصوات تبعت منه ومنزلنا هادى فشكرت الله تعالى ووصلت ومصحته بالغل وبعد يومين أرسلته لمدنى بوالدته وعمته السهوه لتكونا بمنزل مصطفى أفندى الطاهر ولحقتهما بعد أخذه الأذن من المستر كروفورت فى أوائل فبراير فوجدته لا يمشى شيئا فأخذته للاستبالية على جبال فلما قابلت السجن بمدنى رأيت محمد أحمد العرقان مربوطا بجنزير من عتقه فى عود فمررت عليه وللحظ وجدت حارسه مرسان يونس فاستأذنته فى السلام على محمد أحمد

وأبنته ولدي أحمد فقال لي هات خمس قروش اعطيه اياها فقال لا تشفع
 عليه بسطيب فلما وصلت الاستتالية قبل مياد الأطباء وضمت أحمد ابني على
 كرويه وجلست بجانبه فجاء الطبيب البكباشي محمود نصيف الذي كان يسلم
 خلفه لقله فلما لمس أحمد وقلبه لزه بعنف والتفت على غضبان وقال لي هل
 هذا ينفع فنظرته نظرة احتقار لبذاءته هل مثل هذا الطبيب للمسلم يقول لو والد
 ابنه مريض خطر مثل هذا القول فدخل مكتبه ثم جاء بعده البكباشي الدكتور
 جرجان السوري الذي سيخلفه فلما رأى أحمد وقلبه ظهرا وبطنا ووضع عليه
 سماعته قال لي لو أخرته اسبوعا ما كان ينفع فرد عليه الدكتور نصيف من
 داخل الغرفة والآن ينفع ؟ قال طحان يتبع قال له قصه يا سيدي قصه فدخل
 الدكتور طحان الغرفة وجاء بزجاجة أدخل فيها فرشة صغيرة امتلأت الفرشة بما
 فيها من الدواء فمسح بها كليته ثم قال لي هذا الولد شرب خمرة قلت الخمرة
 في بيتا لا توجد ولا عند رقيقنا قال لي مؤكدا أنه شرب خمرة أثرت على طحاله
 لا يأكل شيئا قلت أصله لا يأكل قال جئني به الساعة ٩ صباح غد فلما وصلت
 والدته قلت لها ان الدكتور قال ان أحمد شرب خمرا مرض منه فضحككت فقلت
 أشربه ؟ قالت نعم ثم قالت ان بعض النساء عرفتنى ان لا شيء ينفع ود الورده
 (الطحال) الا الضمر فجبنا له بفنجان ملائ فسقناه اياه . فلما قمت به صباح
 غد للاستتالية يمي وتكلم فاذا مررنا بشجرة أقول له ما هذه الشجرة يخبرني
 بوعها حتى مررنا على الشيخ محمد أحمد فنهضني قائلا : هات خمس قروش
 فاولته اياها ومشيت فلما وصلت الاستتالية جاء الدكتور محمود ناصف أولا
 فقلب أحمد وقال سبحان من يحيى العظام وهى رميم ثم جاء الدكتور طحان
 بعده فلما لمسه نادى بناصفه وقال رأيتني ينفع . جاء طحان بالفرشة
 والزجاجة فمسحه كالأمس وقال بعد سبعة أيام أعده الى فقلت اجازتى انتهت
 وأنا جئت من رفاعه فأعطاني دواء في زجاجة وقال لي لا يأكل الا مرق الحمام
 وبعد الأسبوع اذا لم يتم شفاؤه ارسل لي هذه الزجاجة وحافظ على وديتها
 لا تقلع منها فاسافرا وتم بحمد الله شفاؤه فمن بطال القصة : نصيف أو طحان
 أم محمد أحمد « الفرقان » ؟

في سنة ١٩٠٦ عند رجوعي من الدويم أراد عمي مالك أن يحجز ولده ابراهيم معه ليكون كاتباً له على قوله ولكنني لما رأيت في ابراهيم من الذكاء والنباهة وما أرجوه منه وله في المستقبل لم أوافقته .

انشاء قسم العرفاء برفاعة :

بمروري على المعارف أخبرت انه قرر فتح قسم للعرفاء برفاعة من أول أكتوبر كما قرر قبل الشيخ المرضي كريم الدين ناظرا لكتاب المسلمية وعرض على أسماء متخرجي تلك السنة من قسم المعلمين لأختار منهم واحدا فاخترت الشيخ شفيق عمر الأزهرى فنظر هدايت بك للمستر كروفورت وضمهما من اختياري وعين لي فعلا وهو أول متخرج متم المعلمين عين برفاعة ولم تقطع هذه العادة حتى فارقت المدرسة سنة ١٩١٩ حيث كان بها الشيخ عباس المييد ففي أول أكتوبر من سنة ١٩٠٦ فتح قسم العرفاء وكان به حسن عبد النور : محبوب الخطيفة : الفاضل دفع المييد : الطيب جواره : عبد الرحيم الثقفيه يوسف : شيخ ادريس الجبر من الصلفون : محمد علي دفع الله من أبي عشر : أحمد حسين من الخرطوم : حسن أمين من قدامي : محمد الأمين القرشي من الحلاوين . المعلمون فيه أنا والشيخ شفيق والشيخ مصطفى المهدي فكان يسطى ثالثة وهي الأخيرة في الكتاب العربي فمرة حصلت مشكلة بينه وبين التلميذ ابراهيم مالك كان الأستاذ يملئهم من كراسه الذي كتبه وهو تلميذ بثالثة معلمين بالكلية في الأدبيات فأملأهم ان لييد بن ربيع «مختصرات» فقال ابراهيم ما معنى مختصرات فقال له الأستاذ أسكت فأكتب يا قبيح فقال ابراهيم أنا قد تعودت أني لا أكتب الا ما أفهم معناه فدخلت عليهم وأخذت كراس الأستاذ من يده ووضعت الميم بين الراء وميم الألف فصارت مختصرم ملت فقرأها عليهم فقال ابراهيم ما معنى مختصرم جئت فقلت له الذي عمر في الجاهلية والاسلام ومن ذلك إلجين صار الأستاذ لا يملئ درسا الا بمد أن يعرضه على اما صاحبنا شفيق فقد حقق لي ضحك من ضحكوا لانتخابي له سامحه الله .

في هذه السنة أخرج والد تلميذ نبيه جندا ولده من المدرسة وأدخله في
مقاة فلقبت الولد في ظهر ساقيه محمد أحمد عيسى حاملا قليبة^٢ « غنره »
ما روق على حمار قفلت قف ما هذا قال والذي أخرجني من المدرسة وأدخلني
مقاة وأدمعت عيناه فرميت القليبة وضرت الحمار وأخذت الولد للصوق كسوته
وأرجعته للمدرسة وقد نجح نجاحا باهرا وأصبح من رجال التعليم الاختصاصيين
فيه وترقى لأكبر وظيفه في آخر سبتمبر سنة ١٩٠٦ حينما ألى مدني بمعية الشيخ
أحمد الأمين الذي قل من ابتدائي بربر ليكون ناظرا للمدرسة مدني التي رفعت
من كتاب الى ابتدائي في سنة ١٩٠٧ قال له المدير ديكنسون باشا ألا توافق
أن يلبس تلاميذك جلابيب كتلاميذ رفاعه قال الشيخ أحمد مدرسة رفاعه كتاب
وهذه ابتدائي فأخبرني الأستاذ أن المدير رد عليه بقوله هي أحسن من مدرستك
في هذه السنة أرجعت مدرسة المساحة تلاميذ رفاعه الدين كانت أخذتهم
مساحين مع المستر بلتن فلما جاء المدير الى رفاعه ذهبت لمقابلته بخصوصهم
فقال لي خادمه ان سعادته قائم قفلت له أيقظه فأيقظه فجاءني سعادته يدعك
عينيه بمندبله وقال ماذا تريد قلت المدرسة أمكن قفل قال لأي سبب قلت إذا
لم يرجع الأولاد لوظائفهم فالتاس يخرجون أولادهم منها فقال مصلحة المساحة
قالت هم صغار قفلت هي لم تعينهم الا بعد أن عاينتهم فقال لي : نعم؟ كالمستهم
فلقت هي رأيهم قبل أن تعينهم قال صحيح أنا رايح الخرطوم فبعودتي أمر عليك
هنا وأخبرك بما يتم فلما رجع قال المصلحة عملت مركز تمرين لكل المساحين
بالخرطوم بحري ويمكن قبول الأولاد معهم لمدة سنتين والمساحين الكبار لمدة
سنة فاجبر آباءهم يرسلوهم للخرطوم بحري فلم يمشي منهم الا عمر عبداللطيف
الذي لم يزل مساحا كبيرا اما محمد كامل فامى أردت أن أعينه معلما بمدرسة
رفاعة ولكن حصل مانع آخره وكلما أردت تعيينه لرغبته وإتقانه مادة الحساب
يحصل منه مانع حصين بمعنى تنفيذ غرضي له الى أن قمت من رفاعه .

١ - المقاة في اصطلاح اهل السودان هي الجزء الذي نزل عنه مياه
الفيضان وزرع بطيخا

٢ - القليبة هي جراب من الغوص يوضع على ظهر الدابة ويملا بما
يراد حمله

تفكيرى فى اتشاء مدرسة البنات :

لما أجبته خطيب السيرة كرى يخصوصى بمدرسة البنات أخذت أجهد للناس تعليم البنات تعليما حديثا لتتمكن البنات من إدارة بيتها إدارة تفرى المتعلمين من بنى جنسها (أقاربها أو مواطنوها) يزولجها حتى لا يتسرب المتعلمون لزواج الأجنبية فتتمكن نتيجة أتمائنا فى تعليم أبنائنا فيشكر الناس على كل الانكار مما يدعو عبرى الى اليأس ولكنى لما كنت أعلم ان من أخلاق العامة قصر النظر والتقليد بعد ظهور النتيجة أخذت أبحث عن المرأة التى تكون حاصلة على التطرز والقصالة والخيطة بشرط أن تكون من مدينة رفاة لفائدين ، الأولى انها رخيصة المرب والثانية تكون ذائعة للمدرسة ولو فى غربها وجيرانها ومن أقاربها وأفضل من ذلك ان الناس يرغبون عماتها فلا يطمنون فيها سواء وصرت اذكر ضرورة تعليم البنات وانه لازم فى كل مجتمع لعلى استهوى سفس السامعين وكثيرا ما كان يلفنى عن بعض السفلة انى أريد أن أهرب للانجليز يسانى وبناتهم ولكن كل هذا لم يثبط ولم يقل من عزمى لتحقيقى من شرف مطلوبى .

وفى بعض الأيام جاءنى أحد أصدقائى القضاة الشرعيين فاصحنا لى بأن أترك هذا المشروع ولا أطرقة فأثلا لأن الحكومة ما شجعتك عليه وأعداؤك وجنوده وسيلة لتحقير عملك وسوء نيتك للبلد ضحككت وقلت له جزاك الله خيرا فقط اسمع لى أعرض عليك الشخصى فى نتيجة مشروعى اذا تم بتوفيق الله تعالى هل ينفع البلد أو يضرها قال قصه عظيم جدا قلت اذا يا صديقى (من يعرف المطلوب يحقر ما بذل) وانك من أقرب الناس لى وأعرفهم بأحوالى لولا فائدتى للبلد هل هناك مسبب يضطرنى للبقاء مطما قال : لا والله اجتهد والله أسأله أن يمينك وأخذ يلفع عنى فى المجالس كلما جاء لرفاعه باجازة (لنا رجمة مطولة للمدرسة البنات سنة ١٩٠٧)

كنا نعلى أولاد المسلمين بالمدرسة أجزاء القرآن العظيم ونحفظهم كما نحفظ التلاميذ المسلمين وفى يوم من الأيام دعانى الخواجه جورجى كلميتافوس الذى له ثلاثة أولاد بالمدرسة وفى أثناء وجودى بمنزله خرجت بالابريق فوجلت

ورقتهن من جزء عم مستعملين لظافة الدبر لادخلتهما في جيبي بقذارهما كما هي
 في النلة فقلت تن ولديه الكثيرين جزءهما خرجتتهما لاقتين كثيرا فأخذتهما
 في فوجي ومعهما الورقتين المستعملتين وأمرت بإخراجهما في وقت عصي القرآن
 والديانة وجرني العمل بذلك حتى زار المدرسة إبراهيم أفندي كامل للتفتيش
 فلما رأها حضرتته شائتي فلماذا يخرجان فأبلغت حضرته على الجزئين والورقتين
 فأضطرب لبنة وزرعت عيناه بالدموع وقال لي حشاً غلت والى ساعهم ذلك
 في كل المدارس فتكون هذه من أولياتي .

في هذه السنة جاء الشيخ عبد الله هاشم قاضياً لرفاعة فالتصق بالأمور
 حينئذ التصاقاً للمصديق وأراد ألا يظهر أحد من مستخدمي المركز السوداني
 معه وبما أني أعرفه منذ صغره ومدة تجارته بالديوم لم تطنش ضمي للخنوع
 لنصيبته وعملت بالمثل القائل (من رآك صغيراً لم يوركك كبيراً) ولكن لعدم
 العلاقة بين مصالحتنا شرع يحرض الأمور الذي يكثر من زيارة المدرسة وبدأ
 ينلقشني بواسطة اليوروبائي توفيق أفندي حلمي نائب الأمور فلما جاءنا السير
 كرى طلبت منه أمراً باستقلال المؤسسة عن المركز فرفض طلبي فقلت : إذا
 لا يمكن استقلالنا كلياً فتجعل سعادتك لائحة تعدد لنا ما علينا وما لنا فنيا
 وإدارياً وكنت محضراً قافوا كلائحة لأعرضه على سعادته فلما عرضته عليه
 سلمه إبراهيم أفندي كامل الذي صادق على الكثير من مواده فلما ترجمه
 لسعادته أمرني بإرسال نسخة منه واستعمال ما صوتق عليه فلما طلبت منه أن
 يمضي على المواد المتفق عليها ونسختها في الحال فوقع عليها وأرسلت للمعارف
 نسخة كأمراء فكافت كأساس للائحة الأولى .

عملت عشاء لشيخنا الفقيه محمد الأمين الضرير ودعوت بعض المستخدمين
 وأذكر منهم من الوطنيين الشيخ أحمد الفقيه يوسف نعمه ولما فرغت من الطعام
 لعقت أصابعي فقال لي منير أفندي لعق الأصابع ليس من التمدن فقلت له كان
 صلى الله عليه وسلم يلحق أصابعه حتى تحبر وهو مخالف لتدلكم ويخفف
 نعله ويرقع ثوبه ويخدم في مهنة أهله كل هذا مخالف لتدلكم فشرعني بعض
 الطاهرين أني قلت إن النبي (صلعم) غير متمدن . وقيل هذا في ماتم للأولاد
 أبي سن . كان الشيخ محمد عثمان التمرابي قرأ في سورة إبراهيم ومن جملة
 ما تحرا آية (ألم تر كيف صرف الله مثلاً كلمة طيبة) الخ : قلت مشكور يا أستاذ

لأبوقته من إفرامة إذا كانت توجد رواية يرفع « كلمة » بالرفع « و عليه » نعم
لها يسوغها للإبتداء ويكون المثل جملة كقوله تعالى « ان الذين يدعون من دون
الله لم يظفروا ذبابا » الا هبل في صناعة الاعراب فقال هبل ثم جاء ذكر أرم ذات
المعاد فقال يس عبد الحكم مدينة أرم وضعها الملوك قتل : بن خلدون قال
في مقدمته هذا من باب الخرافة فلم ينس بن خلدون وويضي .

لا أدري ان قلت « لو ان الله تعالى قال كلمة بالرفع لكان أولى وان أرم
مدينة خرافة » وضمت على ان قلت ان النبي صلى الله عليه وسلم غير متمدين
وقر هذا عن التيجاني أحمد يوسف ويس عبد الحكم حتى وصل الخبر
أم درمان وكنت في صمم عنه لم يلفني من أحد فأكد لي المثل القائل الكلام
يصل عند صاحبه ويقف .

ففي فبراير سنة ١٩٠٦ زرت عمى عبد الإله أبى من بالحديثة فسلم على
بفتور بخلاف عاداته وبعد قليل حكى لي ما سمعه عن قبعت لهول ما أصابني
وألح علي في معرفته السبب الذي دعاني لذلك فأعلمت ذاكرتي حتى تذكرت
حكاية التمدن وحكيته له حقيقتها كما هي واستشهدت بالفقير محمد الضرير
ثم استشهدت على الثانية بمعى حسان أبو من وفي أثناء ذلك دخل علينا عمى
الشيخ عبد الله أبو من ناقلاً التهمة عنى فسأله الشيخ عبد الإله قائلاً أما قال
بابكر كذا وكذا حاكياً ما بلغه إياه عنى قالى : نعم حصل هذا منه قلت هل سمعته
منى ؟ قال لي سمعته عنك متواتراً قلت لو دعوتني لمتزلك هل كنت أجيبك أو
أمتنع قال تجيبى قلت لماذا لا تدعوني وتساكنى قبل أن تنقل عنى ما لم يحصل
منى ؟ قال غلطت قال عمى عبد الإله ها أنا أنزل الى رفاعة غدا فنجعل مجلسنا
عند يوسف نسمه فقلت أحسن بعد رجوعى من مدني وعندما رجعت شكل
المجلس عند الفقيه يوسف فجعل الشيخ عبد الله هاشم يقول : تب لله واستغفر
لذنبك قلت له بسلامة لو عصوت الله أنا تنتظر منى أتوب على يدك قم من هذا
المجلس يا حاسد أخواته فقام سامحه الله وحضر حسان أبو من فشبه كما
قلت تماماً ثم أخرج الفقيه يوسف تفسير الصاوى على الجلالين فقرأ تفسير أرم
فقال أرم أبو قبيله جد عاد الى أن قال وقال انها مدينة الغ وصرح ان هذا من
باب الخرافة فقال الشيخ عبد الإله للشيخ عبد الله عوض الكريم أبو من شن
قولك فقال لي الشيخ عبد الله هاشم لأحسن منك تتوب قلت له أنا لو أذبت

حقيقة لا أعرب لقولك قصمت ثم قال الشيخ عبد الله عوض الكريم الاثنان نجبا
منهما بقيت الثالثة فتوجها للفقير الأمين بطلوته فكان رده أن جكي الحكاية
كما قلتها بأصلها تماما وقال للشيخ عبد الله عوض الكريم اذا أتى أبو بكر بما
نسب اليه فهل تراني أسكت وانتشر القول وتشفى حتى اني لما جئت أم درمان
صرت كلما قابلت أحدا ممن أعرفهم يسألني عن القصة واني ارتدلت صحيحا
حتى لقيني الشيخ عبد الرحمن الفقيه الأمين الذي قال لي غلطتك افك تتكلم
كلام الخاصة في مجالس العامة وبالبعث وجدت هذه الرواية في تفسير
الصاوي •

فكاهة :

في أثناء سنة ١٩٠٦ للماسبة لا أذكرها عملت عشاء ودعوت له الأمور
حيدر أفندي رسم وكبار مستعظمي مركزه حتى قدم الطعام وهو فته برز ولحم
فكشفت غطاءه حيدر أفندي رستم ونظري شذرا مستقلا الطعام فمرت به
ذلك فقلت له ولما معه بسرعة الهدهد دعا سيدنا سليمان وجيشه على جواده
فحضرتكم لستم أشرف من سيدنا سليمان وأنا لست أحقر من الهدهد وطعامي
ليس أقل من جواده كلوا باسم الله فرقع حيدر أفندي رأسه قائلا لي : أبو
يا سيدى ادع الناس وتشبعهم خطبا ، فصطك الجميع وأكلوا بشهية •

دخلت سنة ١٩٠٧ ووجدت نشاطي لأبرز مدرسة البنات برقاعه ولما كانت
هي الأولى من نوعها في التعليم المدني للبنات فمن الطبعي أن يلقي منفذه من
الصعوبات ما يلقاه المجتهدون قلت التعليم المدني لأن التعليم الديني للمرأة
السودانية يرجع تاريخ المعروف منه إلى ثلثمائة وعشرين سنة إذ الذين علمتهم
وجعلت أدفع معارضي بالاعتناء بهم ثمانية أولهم والد أولاد جابر الأربعة ثم
الشيخ ولد أبي صفيه والشيخ الجليل المولى والقاضي عيسى بكر دقان والسيد
محمد عثمان الميرغني والحاج علوه والفقير محمد المبارك جد الشيخ أبو القاسم
هاشم لوالدته والفقير الأمين الضرير والمهندس عليه السلام كلهم علموا بناتهم أو
أمرؤا بتعليم بنات غيرهم وأخصهم بذلك السيد محمد عثمان الميرغني الأكبر

الذي أمر به الكاهن ليشلم البنات القرآن بتواكلن وقد رأيت كتابتي في
سنة ١٣١٠ هجرية .

تحت اسمك الخاص وعلى حسابك الخاص هكذا فتحت مدرسة البنات

تروا على رأي المستر كرى بدأت بأن أجرت منزلا يتصق بمنزلي
ب ٣٥ قرشا وخادمة تجلب الماء لشرب التلميذات ب ١٥ قرش واتخذت امرأة
من سكان رفاعه - تدعى قية بنت المكايى على أن أعطيها جنيتها واحدا
شهريا وأعطيها خمسين قرشا مرة في السنة لتجعلها رأس مال للواد المصنوعات
من طرز وطواقي وكل المصنوعات تباعا لنفسها وفتحت المدرسة على ١٧
سبع عشر بنتا من بيتي تسع بنات والباقيات من سكان رفاعه أما العربي
والصايب والقرآن والديانة أعطيها بنفسى فبدأت أعلمهن كل الحروف فما أمكن
لأنى علمتهن أولا الى حرف الزاي ثم الى حرف القاف ولما أتممتها لهن تسع
الاحدى عشر حرفا الأولى نسيا تاما والبنات منهن اذا اتهمت تبكى مقدار
نصف الساعة حيث لا سابقه لهن بمسك القلم أو الطباشير فكنت أمسك يدها
وأكتب بها ولم أشم رائحتها ولا أحسن لهن يدها وكثيرا ما أقول للبنات فهمت
بالتاء المفتوحة ضمير المخاطب الذكر فسمعت فكرى في طريقة سهلة يستطعن
قبولها فبعد جهد اهتديت الى كراستى الجميلة التى عملتها لهن وبها علمتهن
وهى ب ت ث ح خ ه هذه الستة حروف التى يوافق اسمها صوتها مع الفتحة
وركبت منها أربع عشر كلمة هى: ب ت ر - ت و ب - ج ب ر - ر ح ب -
خ ب ر - خ و ب - ب خ و - ث ر ب - ب و ث - ر خ - ث ب ت
ب ح - ث خ ب - ث ر ب ت . ثم آ هذا ألف وفى رأسه فتحة ينطق أو
ب وقتحه ينطق ج و د وقتحه ينطق د - هذا حرس

أ ك ر - أ ج ر - أ د ب - أ ر خ - أ د ر - ج أ ر - ث أ ر -

ا ر ج - ب د ا - ب ج ر - ر ج ب - ث ا ب - ج ح ر .

لا يتأمل الأولاد أو البنات عن معنى الكلمات في هذه الحروس .

الدرس الثالث:

ذ ذال وفتحته ينطق ذ ويمد فيه اللسان بين الأسنان مثل التاء •

حكاية:

كان تلميذ بليد المعلم يقول له قول ذ وامت تمد لسانك فيقول ذا ثم يمد لسانه خارج أسنانه بعد أن ينطق بالذال فغضب منه المعلم ويوبخه وباقي التلاميذ يضحكون عليه فيستاء مرتين من توبيخ المعلم وضحك الأولاد ز زين وفتحته تنطق زين ولا يمد منها اللسان ولكن تضغط فيها الأسنان من الفكين

قلن : آ ز — آ ز ه — ب ر ز — ز ب ر — ج ب د — ج د ب
ز ر ا — ز ر ا — د ا ب — ب د ا — ب ر ذ — ا خ ذ — ح ح ز —
ج ب ذ — ج ذ ر •

فلما آتت هذه الكلمات بسهولة أعطيتهن السين والشين فقط مع حركة الفتحة وكلمات أدخل فيها هذين الحرفين وأتت من الحروف السابقة وهكذا إلى أن أكملت الحروف الهجائية بالفتحة فقط ثم باقى الحركات ولحدة بمد ولحده ثم السكون الذى قسح لنا مجال الكلمة من أربع مقاطع • اذكر انه لما تملس يكتب على الاحد عشر حرفا إلى الزاى كلمات بسرعة والحساب إلى ٩٩ ويجمعن ويطرحن •

زارنا سعادة المدير ديكنسون باشا مدير النيل الأزرق فمر جسدا ولم يلاحظ سعادته انهن يكتبن كلمات على حروف قليلة فكتب في الحال لسعادة السير كرى يخبره بأن تلميذات بنات وقاعة يكتبن كلمات ويجمعن أعداد مركبة وذلك في شهر ابريل سنة ١٩٠٧ فكتب إلى السير كرى بذلك ثم حضر بنفسه في شهر ديسمبر من تلك السنة وعندما فتش مدرسة الأولاد قال لى هل ممكن أزور مدرسة البنات قلت سأكتب لولاء الأمور اذا وافقوا لا مانع عندى والى واثق بموافقتهم لكى أظهر لسعادته انى محافظ على سمعة المدرسة الوحيدة من

نوعها وفقدته لأنه كثيرا ما كان يكرر لى كلمة « احترس » بالانجليزية فوافق
وكتب لولاه أمورهم هكذا :

(حضرة فلان بن فلان :

سعادة مدير المعارف يرغب زيارة مدرسة البنات فاذا
كان لديك مانع اكتبه على ظهر هذه الورقة واذا كنت
موافقا قابلتنا بالمدرسة الساعة ٥ مساء ولكم الشكر
(الامضاء)

لم يتخلف واحد منهم فلما اجتمعنا بالمدرسة وبمصحبة سعادته مأمور
المركز والمحرم التمه الكامل محمد أفندي ابراهيم كامل المفتش بالمعارف
فأخذ سعادة السير كرى يسلم على آباء التلميذات واحدا واحدا ويقول لكل
واحد منهم انت عشان ايه جيت بتتك لمدرسة البنات ؟ يرد عليه : جئت بها
رغبة فى التعليم عند بابكر بدرى • يقول للواحد اذا قلت بابكر بدرى تفضل
ايه يرد على سعادته بحماس آخذ ابنتى من المدرسة وبعد ذلك دخل فصل
البنات فقرأن وكتبن فى اللروس العلمية ثم انتقلوا الى غرفة الأعمال اليدوية
فرأى التطريز وخياطة الطواقي وقد كانت المعلمة أعلنت له طاقية جميلة قدمتها
له هدية فقبلها وشكرها ثم سألتى : شيخ بابكر كم صرفت لليوم على مدرسة
البنات ؟ قلت أربعة عشر جنيها عن التسعة شهور الدراسة لانتسا فى شهور
الاجازة لا تدفع أجرة البيت ولا ماهية للمعلمة فقطع ورقة من فوته باسترداد
ما صرفته من خزانة المركز ثم قال لى هل يلزمك شىء للمدرسة قلت نعم فقرو
لنا أربعة جنيها مرتب شهرى للمدرسة ذات كفاءة تسمى ست أبوها مصطفى
اتفقت معها وستحضر من مدنى فى أول يناير فكتب التصديق ثم قال لى ماذا
قلت جنيها شهرى لقراشة تحضر البنت المتأخرة أو المتخية من بيتها قال القراشان
لا يقضيان لك قلت القراش الرجل لا يصلح لاحضار البنت فصدق بذلك قال
خلاص قلت اطلب ماثنين وثلاثين جنيها لبناء مدرسة خاصة للبنات بطريق مدرسة
الأولاد ليقرب المكان للتعليم والملاحظة قال لى حضرة الأمور كيف تلاحظها
وينبئكم سور ؟ قلت له : سور له باب باطله فيه البنات وغلظه قيسه الأولاد
ومفتاحه فى جيبي أدخل منه أنا ومن أسحق له قال غير كاف لأن التلاميذ

والتلميذات يجتمعون في الطريق قلت لا يسكن لأني أخالف بين وقتيهما وقت دخول الأولاد قبل البنات وخروج البنات قبل خروج الأولاد بحيث يكون الأولاد في الدخول والخروج داخل الفصول وفي الصباح أيضا فوافقت السير كرى وظهر في وجهه الارتياح وأخبرني بالرحوم كامل أفندي ان سماعة المدير أخبره انه مسرور من سرعة اجابتي وحسن النظام الذي أجزته وبه عملت فعلا وقد كل طلباتي لمدرسة البنات فلما وصلنا مدرسة الأولاد قال لي السير كرى بيد أن عرض على الطاقية المهداة له كم تساوي هذه قلت خمسة عشر قرشا قال لي كم يوم تحصلها البنت ؟ قلت ان أسرع تحصلها في عشرة أيام قال يعني يومها فرش ونصف ؟ ثم قال لي « الناس كلهم ذكر وأنتي فألائي لا تلبس هذه ثم الذكور ثلاثة : رجل وفتى وولد صغير فالرجل والولد الصغير لا يلبس ثم الفتى غني وفقير فالفقير لا يستطيع ثمنها ثم الفتى سفيه وعقل من الفتيسان فالعقل لا يلبسها فانظر كم من الناس يلبسون هذه الطاقية أترك شغل الطاقية وشغل البنات التفصيل قميص لباس جلالية المرأة تلبس الرجل يلبس كل الناس يلبس « هذه الغافلة » فتركت عمل الطواقى وأبدلناه بالتفصيل أنظر هذا التفصيل من نوع النشر والى هذا البرهان المقنع المحسوس وذلك لأن السير كرى كان معلما بالمحسوسات ولذا نجح في عمله نجاحا باهرا في وقت قصير جدا نجاحا لا يدركه الا من جرب التأسيس وصعوبته وخصوصا لمن تفرسه حقبات الانتقال من المعروف المألوف بضده ولن يصادم مشروعه اختلاف العقائد والمبادئ المتأصلة الموروثة وبالأخص مسألة التعليم التي لا سيطرة تقيد به للقائمين بأمرها ضد عنوين عنودين أهل الطرق للعقائد ورؤساء القبائل للمواثيق وعلى الأخص في الزمن الأول (وسأعقد فصلا خاصا لأعمال السير كرى وما قلعه للسودان من خدمة وما اعترضه من صعوبات ان شاء الله) في هذه الزيارة قال لي السير كرى بلغني ان أولادك وضيوفك كثيرون ومرتبك صغير فقلت له أبدا أنا بمسوتك في عيشتي فسكت ثم قال لي مدعيا انت يا بابكر النظار كلهم يقدمون شكاوى من المدرسين أو من السكان فانت لا تقدم شكوى أبدا

قلت له : (وأنا ممسكا أصبعي الضنصر) يا سماعة المدير عملي

بالنسبة لملك كائناتى هذه بالنسبة لبدنى ألا ترى لى أملا لأرسلك فيه . اذا
لا يارك الله فى .

فضحك وضربنى على كفى وقال : يس يس .

فى هذه السنة جعلت ألح على السير كرى باستقلال المدرسة لأن الشيخ
عبد الله هاشم وحيدر أفندى الرجل العاقل أتمباني وأذكر من البطاحى عليه
قلت لسعدته وكيل التلغراف والقاضى الشرعى وحتى ملاحظ الغابات مستقلون
هلاى سبب سعادتك تربطنا مع المركز فهل ترى أن نأظر الكتاب أقل كفاءة من
ملاحظ الغابات .

ووكيل التلغراف رد على يقوله : بعد مدة وجيزة كلكم تكونون تحت
المفتش حتى الأمور

قلت : أتركنا نكون مستقلين مثلهم حتى يأتى الزمن الذى تعنيه سعادتك .
فضحك وقال لى : لا لا أنا لا أرفع زولى يمدن يقع ينكسر . أتركه فى مكانه
مسترسا . ولكنه كما اعتقد أوصى الأمور أو المفتش والله أعلم لأن الحالة
هذأت من ناحية المركز الذى حارت بينى وبينه مكاتبت يخصوص أشغال
مدرسة البنات التى تيسرها للمعلمة علنا بالموق ومستم قيمتها كالانفاق كما
سبق فلما رأى القاضى هدوءنا من ناحية المركز أخذ يعرض للمعلمين واقصرد
بالشيخين محمد الرضى كريم الدين والبدوى المبارك فأخافهم منى لدرجة أنه
كان يزورهما فى بيتهما ويقول لهما ، والله العظيم الذى يضربه منكما يوصله
الجيرة (وهذا مثل سائر) وهما يتلوان استغاثة الشيخ ابراهيم عبد الدافع
الذى منها هذا البيت :

يا سبيلى يا حسن السريره

أما رعيتم سبيلى للجيره

ثم يقولان بصوت واحد : ود يبرى جنتنا جنتنا . وهو أى القاضى يقول
لهما هيا هيا والله البضربه يوصله الجيره (وهى الطبقة السفلى من الأرض) .
وبعد قليل قل الشيخ الرضى الى الكاملين فصار يكاتبين مجتهدا بأنه
ظالم لى وليته بقى معى أما الشيخ البدوى وقد تمكن منه سوء الفهم بدرجتائى
دخلت عليه مرة فى ثانية أولية فوجدته يعطيهم قولا بعد الاملاء بطريقة بميدة
ومقدمة فطلبته بعد الحصة فى المكتب وعرضت عليه طريقتنا المختصرة الواضحة

فاضأز وقال لى : أنا جيت مطبا لا متعلما فتركته وتناولت كراسة بعض التلاميذ المصححة بعلامته فوجدت فيها أغلاط كثيرة وضمت على كلماتها خطأ من أعلى الكلمة ثم طلبته وقلت له يا شيخ البدوى هذا الخط بهذا الكراس اما تأشيه عن جهل فيجب أن تحقق واما عن افعال فيجب أن تتبّه وتنفق . فقال لى بىدم الاثر لا عن هذا ولا عن ذاك فكتبت له سؤالاً رسمياً فأجاب بما قال فحفظت اجابته والكراسة المملولة وقلت له تفضل حضرتك لى أن يأتى أول مفتش أعرضها عليه .

فزار المدرسة السبكي أفندى وكان غاضبا على الشيخ البدوى فوجده فى ثانية ووجد أحد التلاميذ يقرأ فى قصيدة السؤال فقال له : يا شيخ بدوى عرفتهم من السؤال ولا أنت فمك من عارفه . فقلت للسبكي كيف لا يعرف السؤال بن عاديا المري الصميم الاسرائيلى صاحب جبل الأبلق الفرد فقال لى السبكي : لىك يا سيدى حكيت له فليكرر قولك . ثم قام التلميذ يعقوب حسنى وقرأ خطبة لسيدها معاوية بن أبى سفيان فقال السبكي التلميذ بن معاوية . فقال له معاوية حجام النبى فالتفت للشيخ البدوى وقال له ياسيدى بدلا من أن تقول لهم ابن عمه أو صهره أو كاتب وحيه تقول لهم حجامه . فخرجت من الفصل وأشرت للسبكي أفندى لىأتينى .

فهما جاءنى قلت له يا جناب المفتش أن الشيخ البدوى يتلو كتاب الله كل ليلة فتجنب أذاه وأنت والد أطفال . قال لى السبكي بىمك هو يحفظ القرآن ؟ قلت : نعم ويتلوه كل ليلة . فلم يملك عليه يدعا . ولما أكمل التفتيش طلبت منه قل البدوى للخرطوم ليكون قريبا من أهله قال لى : أهله بشرط ألا يملك خلفه الا فى أول السنة الجديدة . رضيت بذلك وبعد أن كتب بالنقل قال لى لماذا تطلب قلّه دون خلف قلت مرتبه صغير وله زوجة وأولاد ووالدة وأخت أيم بقية خوجلى ليجتمع معهم ويوحوا ميعشتهم . شكرنى السبكي - بعد سفره فى أيام المولد وكانت لنا خيمة خاصة بالمدرسة ببيدان المولد يلقى فيها التلاميذ محفوظاتهم فيسمع آباؤهم القاهم حفظا وجراة وكان على كل معلم يوما يصرفها من الساعة ٦ الى الساعة ٨ موعدا اجتماع الناس ليحفظ النظام ويحرس الأدوات فلمما كان يوم البدوى تأكدت أنه لم يأت فحضرت بنفسي وبعد ساعة حضر البدوى فقلت له تأخرت . فكان رده لى نعم أتأخرت هل هذا عمل رسمى تتلفشنى فيه . سكبت قليلا ثم قلت له يا أستاذ

هل تعذب منى خدمة ألقبها لك . قال لا أطلب منك خدمة ولا أسمع لك أن
تهكم على . قلت لئلا مستعد أخضعك لله تعالى لئلا تك تحفظ القرآن ومن ذرية
الشيخ خوجلى . وراتبك قليل جدا بالنسبة لما ألتك قال : خدمتى أن تغتنى
المخلوم . قلت : هلتك يا سيدى . غضب وقال : قلت لك لا تهكم على .
أخرجت له جواب قلته فلما قرأه دمعت عيناه وقبل رأسى وقال لى وهو ياك
أنت مظلوم منا ونحن لئام فى سوء فلنا بك والله يجازى من كان موقفا بيننا
يعمله لأنه أحرمانا من الاستفادة من تجاربك ثم قال : ومتى أسافر ؟ قلت : عدا
قال : ومن يهملنى ؟ قلت : لا خلف لك الا فى أول سنة ١٩١١ قال ومن يقوم
بمبلى ؟ قلت : تحصلت به آفا . فقام وقبل رأسى مرة أخرى وسخط على نفسه
وفى الصباح كتب له للشيخ محمد أحمد فضل يفيه العصة الأولى كل يوم
ليتمكن من التطور مع أولاده ويرجع يتغنى معهم وأخرجت له الكراسى التى
كان يظن أنى أطلعت السبكى أفندى عليها وسلمت إليها وعرفته أنه لم يرها
أحد وأطلعت على جوابى للشيخ محمد أحمد فضل قول عنى بين حزن على
فراقى ورحب باجتماعه بأولاده وسيأتى باقى الحديث عنه سنة ١٩٢٠

فى هذه السنة شهد يوفانى بتوريد الحجر لتحديد ألبان الجزير قلمتلكها
حتى لذا محنت الجصور تكون محفوظة بالحجارة التى توضع فى الزوايا الأربعة
فخصص المتعهد بمدنى جزءا من المهنة للخواجه جورجى كلمتيانوس المقيم
برفاعه فجهته يوما لأحصل منه أجره دكانى الذى كان ساكنا بهوفى أثناء الحديث
جورى ذكر الشيخ عوض الكريم عبد الله أبو من فهاج جورجى وقال الولد ده
لا يريد أن يسكت حتى نفضمه فى السجن . قلت : أنت تضع عوض الكريم فى
السجن ؟ قال : نعم . قلت الآن أخبره أنا بقولك هذا . وذهبت نورا لعوض
الكريم فلما أخبرته كان رده شمسيل أى ماذا أصنع له وفى ظهوه المأمور يشرب
معه كل ليلة فقلت له أنت ما تستطيع تجمع البصال وتورد الحجر للحكومة بدلا
عن جورجى قال هل يمكن تحويل التمهيد لنا . قلت ممكن تحويل مأمورية
جمع البصال وصرف قيمتها لأهلها بواسطةكم وجمالكم هى التى تنقل الحجر
الآن وأهلها دافعوا الضرائب أما جورجى فلا قيمة له بالنسبة لكم اذا طلبتم
ذلك قال أخير الشيخ بذلك أى والده فأخبرنى الشيخ عبد الله وشجته فذهب
الى المستر منكرف مفتش رفاة وقتذ فأمره بتقديم طلب ووصى عليه لسماعة

اللواء ديكسون باشا الذي سر مروراً عظيماً وصدق له بتوريثه لصنف جنين
الحجر بواسطة جمال الشكرية وخاصني جورجي لا سبب غير أني معب
لوطني .

كان حيدر أفندي رستم جالساً في دكان أولاد الدايي يراني حينما كنت
مرافقاً للشيخ موسى يعقوب الذي غضب مني ولزني حتى وقعت على وجهي في
الأرض وامتلا فمي بالتراب وتركني مصروعاً ومشى في سبيله فجاء حيدر
أفندي فزعا ليرفني ولكنني نهضت وقمته قبل أن يصلني فقال لي حيدر أفندي
اني رأيت ما فعله بك موسى يعقوب قدم لي شكوى غدا لآعاقبه عقاباً صارماً
صحكت وأنا أغسل فمي من التراب والدم ثم قلت له ان موسى اذا كان يعلم
أنى أشكوه لا يجرأ على بفعل ذلك . وأنا ان شكوت لك لا أستطيع الإقامة
برفاعة ولكن هل تعلم حضرتك سبب غضبه مني . قال لا . قلت طلبت منه
ولده البشير الذي بثالة كتاب لآلحمه بكلية غردون ليماعده اذا كبر أو ليعشر
كأخوانه المستعلمين من أولاد رفاة ويلتقى بياقي أولاده الكبار في خدمتك
، خصوصية زراعة وتجارة فأبى وأنا أبته وألح عليه في اجابة طلبى لنزع الولد
قال لي حيدر أفندي الآن تهدم شكوى ضده . قلت مستحيل . قال ولا أنت
سأخط عليه . قلت أبدا والله ولكنني سأخط لتضحيته للولد . فقال وهو يمز
رأسه عجباً هذه أخلاق ملائكة .

كان المرحوم ابراهيم أفندي الكامل في معلوماته وفي أعماله وفي معاملاته
مع الخالق والخلق أقول هذا بعد تجارب حقيقية كان رحمة الله تعالى عليه كثير
الأسفار وكانت يتنا صداقة رفعت الكلفة بيننا وأحلت بدلها الألفة وكان
يوصيني أن أرسل لأولاده في الخرطوم كل ما يطلبونه مما يلزم للحضر من
البادية كالمسلى والبيض والبطيخ على حسابيه وحينما يصل الخرطوم أو يأتينا
يرفاعة أقدم له حسابيه فيدفعه لي مع شكري على ما قدمته من الخدمة . ففى
شهر مايو في هذه السنة جاء لرفاعة ودخل المدرسة دون اخبارى كعادته وكنت
في تلك الحصة بالسنة الثانية أعطيهم الكسور الاعتيادية لأول درس فيها برسوم
وجسوم من رعيان وليمون أقسمها أجزاء مختلفة وجنايه جالساً بين التلاميذ
خالماً طريوئيه عن رأسه فلما ضرب الجرس وانقضى الدرس قلت للتلاميذ قياماً
لأخرجهم للساحة رأيت جالساً فلما تكامل خروج التلاميذ تقدمت له فصافحت

كعادتي قلت جيتا هجوعا جانى خلاف العادة ؟ كاذب جوابه لى وهنسبو عابس
 (هجوعا ظنته من وعاء السفر أو الفجر) قال لى التفتيش يقتضى ذلك بقلقة
 القاف للفضحة ... خرجنا ونحن قصد حجرة الناظر سألنى فى الطريق أين
 نصايى ؟ أخرجته له مذكراتى وأولك اياها فاتجما حساباه فلما نظر مجموعه قال
 لى لا لا يمكن أن يكون هذا حسابى . وقتت واجمسا ودخلنى من الغضب
 ما الله عالم به قلت بعدة همد أنه أكثر من حسابك أم أقل قال بلى حسابى
 يكون أكثر من ذلك بكثير . كنا وصلنا مكتب الناظر وجلس هو على الكرسي
 ووقفت أمامه لم قلت له بعدة أنت مرتبك ثلاثون جنيهًا ومرتبى ست جنيهات
 أنظنتنى أنى أخدم الثلاثون بالسبعة اذا لا يارك الله فى أن عدلت هذا على أن
 مرتبى خمس مرتبك وعاشلى أنت تعرفها جيدا ضمنى عائلتك . من فضلك
 امسح هذا من عقلك وتكلم غيره . فأطرق قليلا ثم قال لى بكم القروش فى
 البيضى ؟ قلت اثنتا عشرة ريضة فقال بكم وطل المسلى ؟ قلت ان رجلا يلى
 أحمد محمد على طلبمنى مبلغا يشترى به المسلى من الخارج ويحصل بضنى
 ونصه له فلما جاء المسلى صادف طلب أولادك فأرسلته لهم وهو صميصتان
 بهما أثنان وسبعون رطلا يكلف الرطل ثلاثة عشر مليما فلما جاءنى حوله
 لكم بقيته . أطرق مليا ثم رفع رأسه سلجا عتيه وقال لى أنت قلت بعد الآن
 لا آمن ابراهيم كامل على نفسى لأنك أصبحت تهتم اخلاصه لك بضعة مصريا
 هنا . صحكت فقهة فاستشاط غضبا واحمرت عيناه خلاف ما كنت أعده فيه
 وأعرفه به قلت اسمع أنا لا أقول هذا القول لسببين الأول تلوت قوله تعالى
 (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) وأنا مؤمن بها والثانى أنا رأيتك بمنى تهجد
 بالصلاة والتلاوة لىلا أنا اعتبر نفسى غرسك ولا أظن من يقيم الليل وهو من أولاد
 الشيخ الجليل يقطع عصا غرسه وتهجد بعدما أثمر هذا ما اعتلده فيك فان
 كنت تعرف من نفسك غير هذا فأقل ما شئت أنا لا أبالى بالمخلوقين مادمت
 مؤمنا بالخالق حينما سمع قولى هذا وأدرك نبرات صوتى التى تدل عن ان
 الكلام صادر عن وحى صادق انتصب قائما ودموعه تنصب وجهته وخده
 يرتجفان ثم قال لى بصوت متهدج خشوعا واستكانة هذا كلام عليه نور اجلس
 انت إصدق ممن بلغنى ثم تجاوز التريزة حتى وصلنى وعافنى ودفع لى الحساب

وطلب منى نذهب للسوق فلما وصلنا سوق البطيخ أشار الى أكبر بطيخة وقال لصاحبها بكم هذه قال بأربعة عشر مليما ثم مر على أهل المسلى وقال بكم الرطل قيل بقرشين ونصف فقال لى اتمم تعيشون فى رغد فقلت شاركتاكم ولم تشاركونا ففطحت • كان متواضعا رحيما رحمه الله •

فى أكتوبر من هذه السنة فتحنا فصلا ثانيا للرفاء ومن ضمنه تلاميذ كتاب رفاة الكبار الذين تتجاوز أعمارهم ست عشر سنة وقد أخفت من بينهم يوسف شرف مساعنة لجند لأمه الرجل الصالح محمد مكاوى الذى كان معه يمزله مع والدته المطلقة من والده والتي رجبها له ابنها اليوزباشا يوسف شريف بعد ما تخرج من الحرية ضابطا

سبق أن قلت ان ماهيات المعلمين تؤخذ من ايرادات التلاميذ الى أن زار المدرسة السير كرى فى أواخر ١٩٠٧ طلبت منه أن يقرر لهم ماهيات المقرر للشيخ عبد الغفار والشيخ عبد اللطيف كل منهما جنيهن وللشيخ محمد عبد الور جنيه ونصف وفى آخر السنة طلبت مصلحة المعارف منى ترشيح أحد معلمى رفاة ليكون ناظرا للمدرسة المناقل التي فتحت فى ذلك الوقت فرشحت الشيخ عبد الغفار فأعطى مرتبا قدره أربع جنيهاات وعين ناظرا وهذا ما كان يستكبره على نفسه •

فى مارس من هذه السنة زارنا السير كرى وإبراهيم أفندى كامل فبعد التفتيش قال السير كرى مرة أخرى علمت ان ضيوفاك كثير وأولادك كثيرون ومربك صغير فقلت لسعادته مرتبى بالنسبة لأمتالى كبير فسكت ولما خلا بى المرحوم إبراهيم كامل قال لى أضعت فرصة ثمينة فأنا قد اتفقنا على جعل مربك احد عشر جنيها فقلت حضرتك الذى أضعتها على لأك لو أخبرتنى قبل عرضها على لواقفته فقال لى لعدم رزقك نسيت المسألة بالمره قلت ان الله هو الرازق فلو كتبه لى لتذكرت جيايك وأشكر كما كثيرا •

دخلت سنة ١٩٠٨ فى هذه السنة ظهر تقرير للسير كرى ضمن تقرير حكومة السودان العام ذكر به تقدم كتاب رفاة وجعلها مثلا للمدارس الأولية التى تستحق ستة فصول وذكر فى تقريره كثيرا من تاريخ حياتى • فى أول هذه السنة عينا المعلقة ست أبوها مصطفى للمدرسة البنات

واحتفظنا بنفيسة فراشة فارتفعت للمدرسة بجهدها واثقائها فنن التطرير
 والتفصيل وضبط البنات وحسن الاشارة فصرت أعتد عليها قليلا حتى تم بناء
 المدرسة الجديدة للبنات وقلت لها التلميذات • صارت المدرستان متصلتين
 كما تهدم وقلت زيارتي لها لكثرة أعمالى وحتى في سبت أبوها فعند ذاك فكرت
 في من تنوبى في تعلم البنات العلوم النظرية أو يساعدنى على الأقل فأردت أن
 أعين الشيخ محمد عبد النور أو غيره حيث لا توجد امرأة تعرف القراءة والكتابة
 ولكنى تذكرت تأكيد السير كرى احترس احترس • فبصمت كبار مكان رفاعة
 بعد أن أمضت رأيهم فرادى في تعيين معلم من الوطنيين بالمدرسة لعل القراءة
 والكتابة والديانة بالمدرسة البنات فجعلهم يبادرنى بأنه لا شأن له في هذا الأمر
 لأنه لا بنت له بالمدرسة فأقول له أليست ابنتى بتك ؟ فينكسفون قول نعم فلما
 جمعتهم وعرضت عليهم الموضوع رفضوا بتاتا فتركهم وأرسلت للدويم لامرأة
 أعرفها قرأ وتكتب فلم توافق على الحضور فصرت أعلم بنفسى وأستعين
 ببعض البنات الكبيرات العاملات وفكرت في أن ترشح معلمات من التلميذات
 الفقيرات لترسل منهن للمدرسة البنات الإنجليزية بالخرطوم فلم تفلح في ذلك
 الوقت لقلة معلومات البنات التى توظهن لتلقى دروس أعلى وتتمسك أولياء
 أمورهن الشديد عادة متأصلة وعقيدة مصممة لا تسمحان بنقل البنت من وكرها
 لطلب العلم فأجهدت نفسى فوق طاقتها لأمير في طرقى الوعر الذى اخترته
 لنفسى لوصول غرضى السامى (من مرف للطلوب يحقر ما بذل) وما زاد الطين
 بله نقل حيدر أفندى رستم الذى وإن كان مدعوعا لمدونى في الرسميات من
 مأمور المسلمية وقاضى رفاعة الا انه كان عاقلا • هل حيدر وخلفه محمد
 أفندى شكرى المغرض المتصنع الذى لا يعرف له مبدأ ولا مذهب بوصوله
 بارزنى بالعنوان كما يأتى • لما أشيع خبر هزل حيدر أفندى مأمورا لمدنى
 اقترحت عليه أن يبدأ برفاعه سنة احتمال المولد المعمول بها عادة لتكون له
 أثرا يذكر بها فأقترح لهذا الاقتراح وفي الحال طلب فريده ورق مسطر وختم
 كل وجوها بحتم المركز وكيفية في أول صحيفة منها بعد ما سطرها خانات كتب
 اسمه خمسين قرشا وست قدحات قته بلعم وكان القاضى عبد الله جالسا معه
 كعادته (كلما كان خاليا من خصين) فكتب اسمه ثلاثين قرشا وكلفنى حيدر
 أفندى بإتمام العمل حسبما أرى فشككت لعبة من موسى يعقوب سر تجسار

رفاعة ومحمود المكي وسالم عبد الأمين وأنا رابعهم مررتا بالسوق فحصلنا نقودا وعروضا وكلما حصلنا مبلغا نسله محمود المكي الذي عين أميناً للصندوق وإذا وجدنا هدية زائدة عند الجرد قبلها باسم غابر سبيل وبعد ما جمعنا ما استطعنا جمعه عينا لجنة أخرى للمنصرف لم يكن من أعضائها أحد من لجنة التحصيل قررت هذه اللجنة للجمعيات المركبة من المركز والتجار والمدسة وأهل الطرق لكل هيئة ما يكفيها - في هذا الوقت كان الأمور عائيا في مأمورية وأظنها ملاحظة تحويل الحجر للجزيرة فما عاد الا قبل الليلة الأخيرة بليتين فلما اجتماعا بمحل المولد بعد أن حيا فحيته وهنأته بالسلامة شعرت أنه قابلي بصتور وكان القاضي عن يمينه فلما جلست قال لي حيدر أفندي أرجع النقود التي حصلتها من الناس باسم المولد لأصحابها ولم يكن المأمور ولا القاضي قد دفع كتابه فاهتزت عاطفة الغضب في حتى ظهر ذلك لكل الجالسين بحصة المركز فمست قليلا فكرر لي قوله فاضجرت وقلت للمأمور حضرتك ام تدفع لنا ولا فضيلة القاضي قرشا وهذا الاكتساب دفع من رفاعة بلدي لا من مصر ولا من بربر (بلد القاضي) فحضرتك أصبح في مكتبك فاذا أتاك أحد من منظما مني أو من أحد أعضاء اللجنة في ذلك الوقت يكون لكلامك هذا قيمة رسمية أما قولك الآن لا قيمة له عندي حتى أعمل به فقال القاضي يا شيخ بابكر هذا المأمور قلت أنا عارمه كما أعرف من وشي بي عنده أسكت وأحفظ مركز الشرع في هذا الملا فقام المأمور وذهب لمنزله غاصبا لأنه رجل عاقل فلما نهينا قراءة المولد كالمعتاد وذهبنا لبيوتنا جاءني محمد أفندي مسسوركى والحاج محمود المكي وكلاهما صديق حميم وطلبنا مني أن أذهب معهما لمنزل المأمور واستسمحه فيما بدر مني له فأقسمت بالله لا أذهب إليه وقلت لهما أنه هو الذي أساء إلى . أساء إلى بمقابلة تمبسه لبشاشتي وكونه يقرر على حكما قاسيا دون سؤال ولا جواب رغبا عن عقله الراجح ولا شك أنه يراجع ما حصل وصحكم ضميره ويرجع باللائمة على نفسه وعلى من وشي له فلما أصبحنا طلبني بالمكتب وجلست معه القاضي والطبيب السواكني قال لي المأمور أرجعت النقود لأربابها قلت أتاك أحد منظما قال أرجعها بأمرى وإن لم يتظلم أحد قلت له والله العظيم لو قطعت يدي من بدني وصارت آلة موصلة لم تمد لأحد قرشنا الا بشكوى فلاصعب فصلك وأحكم بما شئت فظاننا قليلا ثم قال كيف حصلت

هذا الاكتاب وبأمر من أئمتنا عليه قلت نعم هذا للمقول الذي يجب على أن
أجيب عنه أما التحصيل قبلجنة متى وموسى يقوب ومحمود المكي وبمسند
التحصيل انسجت اللجنة الأولى وعينت لجنة جديدة من طه التكي والخضر
أسيد وعشان النعيم ومحمد الفو للصرف أما بأمر من فيأمر ك يا حضرة الأمور
قال لم أتذكر أحضرت له التريفة المروسة بخطه فلما رآها اعتذر عما قال ودفع
اكتابه في الحال ودفعت القاضى الثلاثين قرشا بعد أن هدته بشطب اسمه من
الكشف وبهذا انتهت .

من هفوات هذا الأمور العاقل انه جمع كل عمد المركز الثمانية والعشرين
عمدة ليقدمهم للمستر منكراف بأنهم غير قائدين بواجبهم فاستشفوا له بالشيخ
عبد الله أبو سن والشيخ التاي سعيد ليقيلهم في تقديمهم لجنا ب المفتش على أن
يملوه وعدا أكيدا أنهم يقومون بواجباتهم في المستقبل فرفض وقدمهم كلهم
للمفتش مرة واحدة فلما بهم المكتب فلما نظرهم المفتش الذي لم يكن عنده خبر
سأله ما هؤلاء ج هؤلاء عمد المركز أقدمهم لجنا بك بصفتهم مهملين في واجباتهم
غير مساعدين المركز لا في تحصيل الضرائب ولا في تنفيذ القضايا ولا في تقدير
المشور والقطمان فطأنا للمفتش الكثير الحياء ثم رفع رأسه وقال له حضرتك
كلهم بطل قال نعم جنا بك ثم طأنا رأسه وكرز مسؤاله الاول فكرر الأمور
جوابه وبعد ثلاث مرات وقف المستر منكراف قائما وقال للعمد تعضلوا ان
شاء الله بعد الآن فريصون حضرة الأمور في كل واجباتكم الرسمية فأجابوا بلسان
واحد حاضر يا جنا ب المفتش وخرجوا فرحين وخرج حيدر أفندي مكتبتا فلما
وصل مكتبه طلبه المستر منكراف بمفرده وقال له حيدر أفندي حضرتك تنفع
عمدة قال لا قال اذا حينما تخدم لى كل العمدة وأنا أطلب رقتهم بفرض انى أجاب
(وهذا لا يمكن) هل لنا أن نطعمهم بشير نوعهم . لما ككن الأليق بنا أن نطفر
أكثرهم عجزا أو خيانة فيقدم اسمه لسعادة المدير لطلب رقتيه فيخاف الباقون
ويقومون بواجبهم ويكون هذا تصرفا حسنا منا فلفتنح حضرة حيدر أفندي
وصار يحكيها من غلطاته .

في يوم ٢٣ ثلاثة وعشرين ابريل من هذه السنة كتبت يوحنا بمنزلى بعد
النوب ومعنى الشيخ عمر الأزهرى القاضى بالقضارف جاءه أصغر خدامى

المستر منكريف مفتش للركز ورمى لي دككا وفوطا من مصنوعات مدرسة البنات وقال لي بعنف خذ أشغالك وأعطني (فلوس) وبالن في قلة الأدب فأخذت منه الأشغال وطرده من البيت وفي غد حملت الأشغال متوجها بها للركز أقامها للمستر منكريف وأحكى له ما حصل من خدامه فقابلني المستر منكريف في وسط الطريق ذاهبا للمدرسة وابتدئني بالسؤال عما حصل مني لخدامه فحكيت له القصة كما حصلت مستشهدا بالشيخ عمر الأزهرى فقال لي لا ترد للخدام الأشغال ولا ثمنها وأنا أطرده من خدمتي وفعلنا فصله ولم يقبل شفاعتي ولا تهديد بعض خدمه الكبار بأنهم ينصلون بانقصاله أنظر لهذا العمل العظيم بما للحق وتنفيذا للمدل على أذى علمت أنه دفع له قيمة الأشغال وأجرته لآخر الشهر فقتل هذا الرجل العظيم يقتل في نفس الشهر بسيف عبد القادر حبوبه في أول ابريل سنة ١٩٠٥ بالكاملين مركز مديرية النيل الأزرق آنذاك لمهرتي السابقة له حينما كنا معا بكرة النجومى بدقهلا وصرص فأخبرني انه حصر ليدفع ضريبة محصوله من الفلال والقطن بالمديرية وأما لتعلمه من محمد شريف مأمور المسلية لأنه ساعد أخاه حسانا حبوبه عليه بأن حكم له في سنة ١٩٠٣ باستلام بلاده بالحلاليين بعد ما زرعا عبد القادر وحصد غلاتها أو كاد يتم حصادها قتل له لا تضاصم من اذا قال فعل واتبع أمره ثم قالت له الأفضل أن تشكوه للمفتش قال لي انه وجد المستر كرييان صغيرا في سنة جديدة في خبرته وأعان حسان شقيقه أمام حبوبه فنفذ الحكم بواسطة كرييان نفسه ولم يدرك عبد القادر ان كرييان لو كان صغيرا في سنه فهو كبير في عقله غزير في علمه ثم لمت عبد القادر على ما بلغني عنه انه صار يروى المديح ويحمله عنه الماتحين (الزمال) لانساده ونصحت له في انهم سيددون ثروته ويترقون عنه فأظهر لي انه قبل نصيحتي واقتربنا ثم لم اجتمع به حتى يوم ٢٥ ابريل ١٩٠٨ بلغنا ان أحمد مساعد فاطر الحلاليين ومعه جماعة من كبارهم أخبروا المدير بأن عبد القادر حبوبه يخشى من قيامه بحركة عنادية للحكومة مصداقا لما قاله قبلهم أخوه لأبيه أمام حبوبه فتوجه المأمور محمد شريف الذي تأكد من حصول جميعات غير اعتيادية للنبي عبد القادر وصار يراقب حركاته وهو بجنيينة أمام حبوبه بإسطى النيل النربى منه وبين قرية التمر موطن عبد القادر مسافة أربع

عشر ميلا تقريبا وفي ضحى يوم ٢٨ ابريل كان المستر منكريف يلعب الكرة بحصانه قبل ان ينظر وصله خبر بأن يتوجه للحلاوين للكشف على حركة عبد القادر .

سافر المستر منكريف لينظر الحركة بنفسه فلما وصل جنينة امام وجد الأمور ومعه فاخر الحلاوين وبعض كبارهم فأمر أن يسير هو ومعه الأمور وقليل من البوليس الذين كانوا معه لمبد القادر في منزله وينصح له فالذى بلغنا في غد اليوم ممن رجوا من البوليس الذين كانوا في صحبة المستر منكريف ان الأمور حذر المفتش من السير لمبد القادر الذى لديه جموع كثيرة متمحصة للقتال لمن يصلها ممن له علاقة بالحكومة حتى فاخر الحلاوين وأتباعه فرد عليه المستر منكريف لتفاد المحتوم أثنت ست ألت صابطا ؟ فضع الأمور واقاد لحتته فركب المفتش والأمور جملين وركب معهما سبعة من البوليس بعيدا بحيث لا يراهم عبد القادر وجماعته ودخل المفتش والأمور منزل عبد القادر الذى خبا جماعته خلف غرفته المبنية من الجالوس (الطين) وأوصاهم انهم اذا سمعوا صفق يديه ينفقون على من معه من رجال الحكومة فيقتلونهم مهما كان نوعهم وعددهم فلما رأى عبد القادر المستر منكريف صافحه وقابله وأجلسه على عنقرب في ظل العرفة خارجها فلما سأله المفتش عن سبب الجموع والحركة العدائية للحكومة بدأ عبد القادر يقص على المفتش غلامته بئرت من الأمور قوته (أنا الآن أوريك الاضطهاد وكيف يكون) فاستشاط عبد القادر غضبا وصفق يديه قائلا تقول هذا بحضرة المفتش فهجم جماعته وبدعوا يقتل الأمور الذى كان يقول لهم أنا شريف من ذرية فاطمة ولكن (من يقرأ ومن يسمع) فلما رأى المفتش ان الأمور قد قتل رضع قبعت وأشار بيده الى عنقه وقال اضربها ففعلوا كما أمروا وليتهم لم يفعلوا في هذا الرجل الطيب بالمضى ثم ركب اثنان منهم جملى المفتش والأمور وأجروهما حول المريف (السور من القصب) فلما رآهم البوليس الذى كانوا قد أوقفهم المفتش بعيدا رجعوا مسرعين حائزين حتى وصلوا فاخر الحلاوين ومن معه فرفوهم ما جرى والنظر بدوره كتب للمدير بمدني فجمع المدير من معه من الضباط والعساكر وأبرق الأمور بالكاملين محمد أفندى ياقوت ليجمع بناظر الحلاوين حالا .

في هذه السنة زار المدرسة يعقوب باشا ارتقى الأرمنى وكيل للمعارف المصرية فقابلته بكل التلاميذ على شاطئ النيل وكانت زيارته رسمية بأمر السير كرى وكينا له يتثنى أو ثلاثة آيات من الشعر ترعيا له في كل التخت استة بالفصول كل نحتة آياتها غير آيلت غيرها وحادثنى في تاريخ السودان وطلب منى أن أكتب كتابا بما سمعته منى مما يتصل به من الحوادث وزمنها ووعدنى أنه سيطلع منه عشرة آلاف نسخة يرسل لى نصنها ولما قابلت السير كرى قال لى : « انت عملت أى شىء ليعقوب باشا الذى بالغ فى الثناء عليك » وكتب يعقوب باشا فى تحريره عن سيلحته بنحة تسع صفحاتين عن تاريخ حياتى فبعد سفره مباشرة بدأت فى كتابة التاريخ للسودان وفى أوائل سنة ١٩١٠ كتبت فيه ستة كرايس من ذات الأربع وستين ورقة وفى سبتمبر سنة ١٩١٠ وصلى كتاب من المحرم الشيخ محمد البدوى يطلب منى أن أحضر له ما كتبت من تاريخ السودان فأخذته معى فلما استلم الشيخ محمد البدوى الكرايس قال لى اتركها لى واحضر لى غدا فى هذا الزمن فرجعت له نحو الساعة ٤ مساء فوجلت محضرا نارا فى موقد وبمجرد دخولى عليه بدأ يقطع كراسة كراسة ويلقيها فى النار حتى أتى على الستة كراسات التفت الى منضبا وقال لى انت جاهل بأخلاق السودانيين بكتابتك الحقائق عنهم فالتاس لم يستمدوا فى بلدنا لقرعهم بالحقائق فحينما يظهر هذا الكتاب يدسون لك من يمتلك — فلا تصل عما لحقنى من القضب ولكن الرجل مهيب لا تمكن مصارحته وقد ظهر لى صدق ما تنبأ به حينما ألقت كتاب المطالمة الوطنية للمدارس الأولية سنة ١٩٢١ وقلت فيه الدناقلة (نوبة وعرب) بين غوسين وئارت على قبيلة الدناقلة بإيماز أحمد البدوى فتذكرت نصيحة الشيخ محمد البدوى وترحت عليه وفى آخر هذه السنة زار سعادة السير ونجت وزوجته المدرسة زيارة ثاية بعد خمس سنوات فاستقبلناهما بالشاطئ بكل تلاميذ المدرسة الذين كسولاهم جلايب من لون واحد وتلا تشيد الاستقبال التلامذة عبيد عبد النور وعمر محمد وزينا المدرسة وعلقنا فى عمدان البرنفة ملونات من القرع المكسو بالورق وفى الوسط القرعة المرسوم عليها الكرة الأرضية فجعلت البدوى ونجت تمسكها وهول ونجت « فرى ناييس » تكررهما مرات مظهره الاعجاب بها وكان يصحبها فى هذه الزيارة يرئاد باشا السكرتير المالى وبعد أن علمتحت تلامذة الفرقة الأولى شفعيا فى

الحساب وتحريراً في الولعهم كتب يرثاء باشا مسألة في التفتة على الكسور
 الاعشارية وانقض تلميذا اختاره بنفسه لعلها فطحها بسرعة ووضوح وكان
 الشيخ محمد عمر البنا رحمه الله من ضمن الحاضرين فقال له ونجت باشا انت
 تعرف مثل هذا يا شيخ البنا قال لا أعرف يا معاذة الباشا وهل هذا وأمثاله
 موجودة بالسودان قبل أن تشرقوا فضحكوا وانصرفوا ولما رجع دولته
 للخرطوم أرسل كتابا بالشكر وماعة معها سلسلة قصة .

بدء سياسة الحكومة في نزع أراضي كبار الملاك :

في هذه السنة في آخرها أو في أول التي تليها جاء مهدي أفندي حسن
 حسين مسلحا ومكونين بك نائب المدير رئيسا ومسحوا الأراضي البحرية كل
 مساحة باسم صاحبها ووضعوا حجارة لحرم الحلة فقط فاصلة بين حدود البلاد
 والجروف ولم يضعوا حجارة تفصل حدود الملاك عن بعضها وما كنا فاهمين
 الغرض من أعمال هذه الحدود الجزئية ثم ان المركز عمل أرائيك بأسماء المالكين
 وألزمهم ببيع الأموال من بعد ما كان المطالب بالدفع في الماضي هم المزارعون
 وفي نحو سنة ١٩٢١ وقبلها أو بعدها بقليل حولوا مساحة القدان الى مساحة
 « الجبلية » بالجروف واستثنوا عن المساحين بالمركز ووكلوا التقدير للمعد
 الذين يبادلونهم بمعنى أن كل عملة قدر ما زرع فقط من أرض عمودية أخرى
 وبهذا قضوا ثبوت الملك لأي أحد يمينه في كل الأراضي لا بحرية ولا مطرية
 حتى ظهر النقص من ذلك جليا على يد المستر هكسورث في سنة ١٩٣٠ كما
 سيحيى .

تدخل المفتش والامور في كل الامور :

دخلت سنة ١٩٠٩ قبل في أولها الرجل العظيم حيدر أفندي رسمت الامور
 بعد أن ترقى صاغا وصار أركان حرب لمعانة المدير ديكنسون باشا بمدي .
 خلفه الامور اليوزباشي محمد أفندي شكرى الذى تدخل كثيرا في مدرسة
 البنات خصوصا في ماليتها فلما منه أنا نفخى من ايدها شيئا لاقتسنا ولما لم

يتسكن بنفسه من السماح له بالاطلاع على دفاترها طلب من البكباشي روس
 الذي عين مؤقّتا خلفا لمكريف طلب منه أن يقتش دفاتر مدرسة البنات والأمور
 قد صحبه فلما دخلا غرفة الناظر قال لي البكباشي روس انا لي الحق في نظرك
 ايرادات مدرسة البنات قلت له نعم وقدمتها له فنظرها وردّها لمجلها وودعنا
 وبعد قليل جاء المستر جرسود مفتشا لرفاعة وجابهه بحب النساء وشكركي
 أهدى خلعته فيما يريد وأوعز شكركي للمعتش على المدرسة حتى طلب المفتش
 دفاتر مدرسة البنات وسلمها للأمور الذي قتشها ولم يجد فيها ما أمله ثم طلب
 ما أن سير على قاعدة حساية أصولية جعل لنا نموذجاً فرغضت العمل بها
 فأخبرني المفتش بالسير عليها فاعتدلت باني لا أهن حرفة الكتابة وهذا
 العمل يشغلني عن واجبي المدرسي تعليمياً وإدارة فإرسل الأوراق كلها للمعارف
 بشكوى من المفتش وجاء السير كرى ومعه السبكي أفندى لتفتيش المدرسة
 ومعهما الدفاتر وكان عادة السبكي أفندى أن ينزل بمعرفتي أو بمنزل أحضره
 له فني هذه المرة طلب من الأمور أن يحضر له منزله فجهز له منزل السيدة
 ابراهيم عبد الله أبي سن فني العصر زرته ووجدت معه شكركي أفندى الذي
 ابتداءً أن يمدني له فصارحته دون مبالاة فأتهممني الأمور قلت له لو كنت
 سمعها لرددتها عليك فقال لي السبكي أفندى ولحد ثاني زعل عليك فأنصرفت
 من المجلس ثلثا يومس المجال للجدل فلما زار السير كرى المدرسة قال للسبكي
 أفندى كم رأس مال مدرسة البنات عهدة من المعارف عند الشيخ بابكر قال
 لا رأس مال لنا عنده التفت لي وقال كيف سيركم في أشغال مدرسة البنات
 قلت بوفرنا من المبيوعت كونا رأس المال البالغ الآن أربعة وعشرين جنيتها في
 ثلاث سنوات التفت للسبكي قائلاً ما دام ما عندنا عهدة مالية عند الشيخ بابكر
 ما لنا حق في التفتيش عليه سلمه دفاتره قلت لا أستلم هذه الدفاتر واني أسأل
 معاذلك هل مرتبي الذي أقبسه على مدرسة الأولاد أم فيه جزء على مدرسة
 البنات قال كله على مدرسة الأولاد قلت إذا اد الكيبرات من بنساتي تعلمن
 وسيعلمن الخواصن بمنزلي وأنا عزمت على تنازلي من تحمل مسؤولية مدرسة
 البنات . سكت قليلاً ثم قال لم انت زعلان قلت لا ولكن تبيان من التفتيش على
 مدرسة البنات من المأمير قال لي انت مجبور على تحملك مدرسة البنات لأنك
 انت الذي اقترحتها وقمتها قلت اذا تحمل لي خمسين في المائة من الأيراد نظير

أتماني وتجعلها مستقلة من المأمير تماما فأخذ ورقة وكتب كما طلبت وسلمني إياها فلما رأى السبكي أفندي ذلك أمسك دفتر مصروفات التلاميذ وحسب المتأخرات لكل الفرق فكافأ ثمان جنيهات وكسرا فقال لي هذه المتأخرات تلزمك قلت له أنا الذي وضعت المصروفات على تلاميذ كتاب رفاة دون جميع الكتاتيب لأساعد بها المعلمين وأنا تنازلت عن تحصيلها منذ اليوم ثم أخذ دفتر المصروفات وقدمه لسعادة السير كرى وقال له هذه المتأخرات تخصها على حساب الشيخ بابكر بدرى من مرتبه فالتفت السير كرى عنه وقال رافعا رأسه (نو نو نو) فلما لم يجد السبكي أفندي قبولا التفت على وجعل الموضوع هزافا فقبلته منه كعكر في تلك الساعة جاء ساعي البوستة بتلغراف مكتوب فيه (أخوك يوسف بدرى خطر لحضر حالا) فارتعشت يدي وأصفر وجهي فتناول السبكي أفندي التلغراف من يدي وقرأه على السير كرى بترجمته ففى الحال قال السير كرى اليوم أول أبريل يمكن كذبة اليوم ثم سألتى هل عندك خبر بمرضه قلت لا فطلبوا ساعي البوستة وسأله السبكي أفندي من أعطاك هذا التلغراف قال حسن أفندي يسرى نائب المأمور والقاضى الشيخ عبد الله هاشم واتضح أن التلغراف غير مختوم وكان امضاؤه باسم عبد النور ابراهيم صديق يوسف جلد وجاره بالدكان فانتكشت عنى القصة والحمد لله ماذا يريد يسرى أفندي يتروى وازرعاجى غفر الله له .

السبب في تفتيش المستر جرينود على دفاتر المدرسة أنه كان مواظبا على لعب الكرة مع التلاميذ وكان من أهتمامهم للعبة ولد اسمه ابراهيم فزع فلما عرفه المفتش قال لي يوما بعد انتهاء اللعبة ابراهيم فزع أخته تأتي ليلا بمتزلى فقلت لا أخت له ولكنها خادمتهم فقال هي تشبه تماما فقلت له منكرا عليه أنت تعمل هذا قال لي أنت لا تعمل هذا قلت لا أعمل ولا أحب من يعمل ولما رأيته لم أقتنع بأنها خادمتي فقلت له أحضرها لك الآن هنا أم غدا بالمكتب أم بالسوق وفى الحال مشيت للشيخ عبد الله غافر الشكرية وحكيت له هذه الحادثة فوثب مغضبا ومشى وأنا معه لنزل المأمور رغم غلاعه الكبير فدخل حتى خرج المأمور فقال له الشيخ عبد الله « انت أكبرى » ترسل الضابطات للمفتش باسم الحرات قال المأمور يا شيخ عبد الله أنا معرض ؟ قال الشيخ عبد الله لا شك أما أنت أو

جبايتك وأنت مستول عنهم ورجع لمنزله فأخبر شكرى المفتش وحققوها علينا .

لما رأى شكرى أفندى أنه فضل في كل مساعيه لضررى أو خضوعى له جاء يوما مع المستر جرينود وأدخله فصل الأولاد الصغار وكانوا حقا مستعدين فأمرنى المستر جرينود بطرد بعضهم من الفصل فقلت له نحن اليوم في شهر مايو وفى ١٥ يونيو سننقل المدرسة فتركهم ليوم خمسة عشر يونه يذهبون لأهلهم وعند فتح المدرسة يتأخر بعضهم فنفضله لنياب خمسة عشر يوما كالتفانون فصم على رفت بعضهم الآن قلت له هل ممكن نطردهم كلهم قال لا أنا ما قلت كذا فقلت له ما حجتنا على آباء من نطردهم اذا قال ولى أمر الولد أنا مزارع وولدى بالغ الثمانية من عمره وأتم قبلتموه أولا سكت قليلا ثم قال لى ساكتب للمعارف أطلب الاذن بفصل بعضهم قلت هذا جميل وانصرف فنقلت الأولاد في غرفة واسعة فحضر في يوم للمدرسة ومعه شكرى أفندى موجود أولئك الأولاد في غرفتهم الواسعة وغيرهم في غرفتهم الضيقة ولما لم يظهر لجنابه ازدحام قال لى الأولاد أهضمتهم قبل تصديق المعارف قلت لم أهضمتهم ولكنى وضعتهم في غرفة واسعة فقط فقال شكرى أفندى بدون شك قصوا التتاليه وقلت له اقرأ لهم أسماءهم في ذلك الجول قراها فلم ينقصوا الا ولدان كانا غائبين فخرج شكرى وشكر جناب المفتش تصرفوا انصرف. ومن مكاييد شكرى التى لا تنتج أن كان له في المدرسة بتان الكبرى فردوس والصغرى زكية ولحمد أفندى نور مأمور الدندر بتان بالمدرسة الكبرى نسات والصغرى هية فأرسل نور أفندى قماشا لصديقه فخورى أفندى عبد الشهيد وكيل البوستة وقتئذ برقاعة طالبا منه أن تفصل العبيدة والدة فخورى أفندى القماش لبنتيه نعمات وهية فأرسل فخورى خدامه طالبا نعمات وهية من المدرسة فلم تسمح المعلمة بهما فأرجع فخورى الخدام قائلا ان جدة البنتين معى بالمنزل عرفت ارسالهما قائلا اذا أرادت جدتهما ترسلهما لك فترسلهما من بيتها لا من المدرسة فلما سمع شكرى أفندى بأن بنتى الأمور طلبتا لمنزل فخورى أفندى الذى كان بينه وبين شكرى حزازة بسبب تهمة سرقة قود من فخورى ضد شكرى أراد أن يكيد لفخورى فنسب طلب البنتين وجمله لبنتيه

فردوس وزكية باشتراك لفظة الأمور وقد كنت ذهبت لمديني فلما حضرت بمنزلي دعاني الدكتور يوسف مبارك للعداء معه فدخلت ووجدت معه شكري أفندي الذي فاجأني بقوله مدرسة بناتك خربت قلت لماذا قال أن بعض الناس بالبلاد أخذوا بعض البنات ليختوهن قلت حصل هذا فعلا قال نعم قلت ننت من قال بنتاي فردوس وزكية قلت من أخذهما قال فضوري عبد الشهيد قلت هذا كلام كذب فضوري أشرف من أن يعمل هذا ونسألك لا ينكر عليهن ذلك لأنك اعترفت رسميا أن والدك غير مستقيمة لا تستحق عليك ثقة ثم التفت إليه الدكتور يوسف مبارك قائلا له خضيت الرجل الله يغيبك بنتك فردوس إذا أردت أن أدخل أصبى هذا هل يمكن يدخل فيها وبعد الفدا مباشرة ذهبت لفضوري سألت عن المسألة فحكاهما لي على صحتها كما تقدم وفي صباح اليوم التالي كتبت سؤالاً رسمياً لفضوري قائلا له بلغني أنك طلبت بنتي اليوزباشي شكري أفندي لمزلك فما السبب الذي خول لك أن تطلب تلميذتين من المدرسة لمزلك فكتب لي فضوري الرد على سؤالي بما تقدم فأرسلته لشكري أفندي قائلا له هذا جواب فضوري على بلاغك لي بالأمس هل أنت مقتنع به حضرتك أم لك تعليق عليه لأرجعه له كتب عليه بخطه أنه مقتنع به فأمرت المعلمة باستلام الاكولات من بنتيه وقصصتهما من المدرسة فأخبر شكري المفتش جرنود الذي أمرني برد البنتين للمدرسة فاعتذرت له بعدم الامكان لأن والدهما يريد تفجيع سبعة مدرسة البنات وهي الوحيلة في السودان والتي تحرت مصلحة المعارف وكل البلاد عن حسن سمعتها لتكون نموذجا حسنا يقتدى بها ووعده بأن أترجم البلاغ وما تم فيه فعلا ترجمه فضوري أفندي ولقنت جناب المفتش بتصرفي ولم يرجع بنتيه للمدرسة وبعد شهر وجد ولده متهما بفاحشة وفصل أيضا من المدرسة وحينما جاء السبكي أفندي لتفتيش المدرسة قال له شكري بلمستك يا السبكي أما سمعت بأبكر بدرى قال إي في المدرسة ولدين فعلا بضعهما فجعل السبكي أفندي يقول له هو ده كلام يقال يا شكري فكذب به هذه العبارة ولم يأمرني بإرجاع الولد ولا البنتين للمدرسة ولو أمرني ما فعلت وبعد مدة طلب الأمور عبد الله منصور وأبو ثرة الدفينة وعلى جابر وحلفهم الطلاق بضربونتي فعلا شرعوا في ضربي كما تقدم ثم بعد مدة أراد أن يسجن امرأة وجدها مع الخوالة تمسكتين بمنزله وألقى عليها القبض ليلا فلما حضرت

بالمكتب طلبني والقاضي عبد الله هاشم والدكتور يوسف مبارك وقال لناحصلت فضيحة لمدينة رفاعة بوجودنا امرأة من هنا من عائلة طيبة مع الخواجة خمستينو ينزله ووضعها بالسجن فقلت له في الحال (مع اي لم أسمع بالحادثة والله) اذا كانت هذه المرأة فلاة بنت فلان فهي لا قيمة لها ولا فضيحة للبلد بسببها فقال مندهشا ولم ذلك فقلت لأنها مجنونة قال غير مجنونة قلت أطلبها من السجن الآن لتقابلنا فطلبها فلما دخلت علينا قالت سلام عليكم أتم طيونا وجلست على كرسي ضحك القاضي والدكتور وأقروا أنها مجنونة ورغم ذلك أراد استمرارها بالسجن لأمر يعلمه أو يريد لها كانت وسيمة وشابة فلما لحظت منه ذلك خرجت مسرعا وأرسلت الى محمد العربي ابن خالة أبيها وأخبرته بأن يدعيها زوجته فتحمل ذلك مهما كلفه حتى الموت وساعد القاضي بأن سجل لها عقدا مقدما على تاريخ ليلة القبض عليها وفي الحال رجعت للمأمور بمكتبه وجلست حتى طلب من يأخذها للسجن فقلت له أن زوجها لا يوافق على سجنها فقال لا زوج لها ووافقته هي على عدم الزواج فقلت له وهل للمجنون حجة وفي الحال رفع زوجها المصانعي قضية الطاعة فحكم القاضي بنقلها لمنزله بحلة خارج رفاعة فبدأت تمتنع فأحضرت لها حبلا من قضة قيمته مائتين وثمانين قرشا وسلمته إياها على حسابي الخاص وقبل أن تسافر حضر والدها ودخل على المأمور بمكتبه منكسا رأسه ولم يعلم بما رتبناه لها فقال له المأمور انت رجل بيد وابنتك زانية وكلام آخر بنىء فرد عليه الدكتور مبارك قائلا يا شكري أفندي أفرض أن هذه البنت ابنتك فردوس وانت چالئ مكان والدها المأمور بها وهو مكانك أفترضى أن يطاطبك كما خاطبته فأمرق المأمور ثم خرج لمكتب المستر جرينود ورجع فوجدنا أخذناها وسفرناها والحكم الشرعي بيد زوجها فغضب ولكنه سكوت ومن حولته انه أمر دات ليلة بالاتفاق مع الخواجة سليم رزق السورى أن يشربا خمرة بخيمة المولد في ليلة الأخيرة وكان الشيخ أبو شامة عبد المحمود عاملا قصائيا ثائبا عن قاضي رفاعة في أجارته فلما علمت ذلك حضرت بخيمة المركز وفي أثناء المحادثات ذكرت حادثة السيدة زبيب بنت جعش وطلاقها من زيد بن حارفة وزواج النبي صلى الله عليه وسلم بها فقال الحاكي نظرنا النبي صلى الله عليه وسلم فأعجبته فقال شكري أصلى اذا كنت أنا وواحد يصبص لزوجتي أضربه رصاصا فأتجرت أنا في الحال

قلت له من هو الذي تضره رسامة يا كلب أظن في رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتوه في مجلسنا والقصاصي الثرمي أمامك (أبو شامة) بهذا يا ملعون فاتفخري وقام من المجلس وقلوا زجاج الخمرة من خلف الخيمة ولم يعد تلك الليلة للمولد وحوادثه كثيرة نكتفي منها بهذا اليسير .

« الموائد والمقائد عند الخاصة والعامة »

في زيارة السير كرى للمدرسة كما قلنا كانت السكة الحديد وصلت سنار فسألني امام السبكي أفتدعى قائلا الناس مبسوطون في الجزيرة بمد السكة الحديد لسنار ؟ قلت العامة مبسوطون ولكن الخاصة غير مبسوطين قال أنا فاهم العكس لأن الخاصة الحكومة أرجعت لأولى المكانة منهم شرفهم ماليا كان أم اداريا أو ادبيا وأما العامة ينضبون لأجل تحرير الرقيق قلت الأمر الذي ينضب الخاصة الرقيق بالنسبة لهذا الأمر لا قيمة له قال لي بشغف ما هو هذا الأمر قلت أنا يا بكر يفرى كنت في المهديّة من كبار التجار وأصبحت بهذا الانقلاب فقيرا ومساعدتك المستر كرى وجدت مالهيتي جنيهن ففصلتهما أربع جنيهات وفي مستها جعلتها ست جنيهات فالطبيعة تأمرني بمحبتك والشرمة تمناني عن حبك فأنا تميلان بين الطبيعة والشرمة فلما ترجم السبكي له هذا القول غضب جدا وقال لي بصوت جهوري مزوج بالغضب لأي سبب تتكلم بهذا الكلام قلت سعادتك سألتني وقلت لك ما أعتقد وأي رجل في سنى هذه تسأله هذا السؤال ولم يبيح بهذا الجواب فشك وأنا لا أرى سببا لأن أوافق لك فضحك وقال لي لا تقل هذا الكلام لكل واحد وحده وحفظه في عقلك ففقط ثم سألتني عن قسم العرفاء يرفاعة الذين ستم دراستهم ويتندى تعيينهم في أول أكتوبر سنة ١٩٠٩ هل عينت لهم أمكة قلت هذا من اختصاص ادارة المعارف ومفتشها لأنهم يعرفون الأماكن المحتاجة وفعلوا عينوا في تلك السنة الا عبيد الرحيم النقيه يوسف نعمة النبي جاءني والده بمنزلي وطلب مني أن أعينه يرفاعة ليساعده بمرتبه فرغما عن كونه شيعي الذي درست عليه الدروس الدينية في منرى ورغما من كوني أجله كل الاجلال كان ردى عليه والله يا مولاي اذا كانت المرافقة تعمل برأى في عبد الرحيم أشير عليها بأن لا تعينه في كل السودان لأنه خال من العلم والأخلاق فسكت قليلا وقال لي نصيحة حارة

وأنا أقبلها منك لأنتع لى منه وودعنى أما العرفاء فهم المشايخ حسن عبد
النور • الفاضل دفع السيد • محبوب مجيد صالح (الفوت) على تاصف
أبو من • ادريس الحبر • حسن أمين •

وكنث أدرسهم ما سميت قانون العائلة للأولاد •

١ - احترام الوالدين لدرجة لا حد لها وتهديس أمرهم ووصعهم بعد
الخالق جل وعلا لقوله تعالى : وقضى ربك الغ - والشفقة عليهم والرحمة
•

٢ - علم اللعب مع أولاد الشوارع •

٣ - استعمال اللعب الباح في مكان خاص لأولاد العائلة وأولاد
أصدقائها •

٤ - الحرص على الدروس والطاعة أمر المدرسين واحترامهم ومذاكرة
الدروس والقيام كل يوم في الصباح بعد الحمام •

٥ - عدم الخروج من المنزل أو محل الإقامة إلا بلذن من والدته أو من
يقوم مقامها مع ذكر الغرض الذي يخرج لأجله وميعاد الرجوع الذي يحدده
أو يحد له •

٦ - إذا جمعتك ظروف بأحد الكبار أو أرباب المناصب فلا تتكلم معه
بأكثر من الكلام عن المدرسة والدروس والطقس والأحوال الميومية وتجنب
بحذر كثرة الكلام •

٧ - لا تحكى عن داخلية منزلك وما تسمعه من حديث العائلات
والخدامين ومن أولاد البيت وأخواتك وعن أكلتك وشرابك ونوع معيشتك
وعما يخص بالياسة والرجال •

٨ - لا تحكى ولا تتكلم في الأحوال التي لها صلة بأعمال الناس الكبار
والشخصيات البارزة في البلد والحكومة •

٩ - عليك بالمواظبة على الصلوات الخمسة والطهارة ونظافة الثياب
والبدن •

١٠ - لا تنطق بلسانك بسب أحد ولا تمل الفواش وبذئ القول •

١١ - لا تقسم الخدامين ولا تسب أحدا بما فيه فضلا عما ليس فيه •

١٢. - كن صبورا على المكاره وشجعنا وأميناً

بعد أن أتم السير كرى تفتيش المدرسة أخذني معه لبيت المفتش وقال لى
أن الشريف يوسف الهندي يعمل ضد الحكومة قتل له ما سبب هذه التهمة
قلت انه يحضر آبارا في البطانة قتل له أنا عالم بهذه الآبار وسببها أن رجلا
يدعى ولد أمى فاجمه من الفادنية في حلة أم شديدة كتب له الشريف يطلب منه
أن يبيع له حصانه المشهور فرفض الرجل فما كان من الشريف الا أن يزوره في
منزله ويطلب منه الحصان فصار في طريقه كلما حضره البيات أو المقييل في حلة
أو فريق يطلبون منه أن يتسدى لهم حفر بئر ليسهل الله بركته أمرها ويكثر
ماؤها فيأخذ الشريف الناس وينثر بها الأرض هزفت في محل يختاره لهم فإذا
تم حفرها سموها بئر الشريف يوسف قال لى هو يتدخل في القضايا قلت
صحيحا انى رأيت منه هذا اليوم خطابا عند الأمور يقول له فيه الجماعة
المتخاصمون في الخدامة فلانة هم من جماعتنا أرجو تحويل القضية لى لأصلحهم
وان لم أصلحهم أردتهم لحضرتك فإذا كان المفتش يقبل ومسانته فأعلن لا لوم
عليه فقال لى هو لائى سبب يعمل ذلك قلت يعمل ليكون محترما عند الحكومة
والرعية مثل السيد على الميرغنى فقال لى أنت لا تعرف شيئا أرسل لى الشيخ
عبد الله أبان فذهبت للشيخ عبد الله وحكيت له ما دار بيننا وقلت له أظن
سماعة المدير يريد سؤالك عن الشريف يوسف فأمل أن تذكر البسيطة فاطمة
الزهرء وتخلصها في ابنها وما أوصيته به الا لعلنى انه يحمل عليه وعلى العباس
الشيخ العبيد وولد الشيخ عوض العبيد وكثيرا ما يقول الحكومة هذه اذا كانت
تضم (الفاجر) أهل الدين ما لهم ولاسياسة تلظهم فيها وفارقتى للمدير وفى
تلك السنة قبض على الشريف وسجن ولم يسمح له بمضادة الخرطوم أو يرى
الى أن توفى بها ولكنه أسعد فيها أكثر مما كان يأمل في الفناء وازدياد العقيدة
والاتصال بالحكومة اتصالا كاملا الى سنة ١٩٢٦ حيث أخذ لقب سير الشيخ
على التوم ناظر عموم الكباشيش وكان يأملها لنفسه فانحلت ثقته وخاب أمسه
فظهرت حقيقة . في آخر هذه السنة وقع بينى وبين شكرى أفندى حركة
شقاق في السوق فشتنى وشتته فاجتمع أعيان رفاة بمنزل أبشرا الدفينة
وأرسلوا لى فقالوا لى نحن مستعدون لنقدم شهادتنا لك في أى قضية ترفعها
على الأمور قتل للكيفور أبو ثرا ومحمود الكى وموسى يعقوب فليششهدوا

بما سمعوا وما رأوا فقال لي موسى يعقوب: أنت مجنون تشهد لك على حاكم
 البلد ، ولكن الأمور حينما سمع جماعتهم وقولهم لي لم يد حركة ورضي بما
 حصل له كان بمرکز رفاعة مدرسة رفاعة فقط ففكرت في أن أرغب أهل الهلالية
 في فتح مدرسة بما قابلت مع الشيخ التلي سعيد المعادنة بخصوصها فتارة
 يدي ربة وغالبا يدي قهرا فلما رأيت منه هذا المد والجزر فكرت في أن
 أستعمل معه معاملتي لأستأذي الفقيه يوسف فنة وثور ياسين فصرت كلما
 حصر رفاعة وكان كثير الحضور لها أزوره بمنزله وأودعه بهدية بسيطة وبعد
 مدة صار يظهر لي موافقته ولكنه يستنذر بالأرباب عمر العبدلاني الذي قابله
 بمنزله وحينما رأيت انراضه الشاذ قلعت له رأسين سسكر وستة أرطال بن
 ووعده بأرسال ثوب دبلان لكسوته فحصل وصوله ثوب الدبلان شرطاً لرضائه
 وباستلامه هذا الثوب صار داعية لفتح المدرسة وأظهر الشيخ التلي كامل
 رضائه فأشرت عليه أن يطلب من مدير المعارف ولو يستعين عليه بصديقه
 سلاطين بإشفاق في سنة ١٩١١ فتحت المدرسة بالهلالية بناها المعلم الروبي .
 كانت العادة أن يبقى زوج البنت مع أهلها مهنين عليه حتى تضع مرة أو مرات
 حسب تأثير حماه على زوجها ورغبتها في بقاء ابنتها وصهرها معها فأول امرأة
 تزوجت بمنزلي أختي لأبي حسب سيدها زوجها الشيخ محبوب الذي عين في
 أكتوبر سنة ١٩٠٩ مدرسا بالمناقل بمرتب مائتين وخمسين قرشا فتركها بمنزلي
 ولما رجع في آخر مارس سنة ١٩١٠ في أجازة الاسبوع الذي يفصل عادة بين
 مارس وأبريل كمطلة مدرسية لكل المعارف أمرته بأخذ زوجته للمناقل
 فاعترضت والدتها فلما منها أن والذي يؤيدها على وهددت صهرها الذي طلب
 مني أن يترك لها جنيتين شهريا فوسل لي والده الذي كان عمره يربو على
 الثمانين سنة وأنكر على طلب جنيتين شهريا فصمت على ذلك فطلب مني قل
 أختي لهم بمنزلهم وهبتها لهم بنية أنها تبعد من والدتها تسهلا لأخذها للمناقل
 وصمت على أخذها لأقاوم هذه العادة الكريهة حتى إذا ابتدأت بتاني في
 التزويج يرحل مع أزواجهن بسهولة . وفي وقت مبكر نوعا حتى ابتدأ مبانة
 الزفاف في بيتنا فلما قرب انتهاء الاسبوع طلبت أختي وأمرتها بالسفر مع زوجها
 فأخبرت والدتها وأنها منغدة أمرى بالسفر مع زوجها للمناقل فهاجت والدتها
 وقالت لي أمام والذي أنا لا أترك بنتي وهي صغيرة ترحل مع زوجها قلت

ما دامت بنتك صنفية، لماذا زوجتها وكيف تمنعها وهي رافضة ذلك قالت اذا قامت أمسكها وأبكي بأعلى صوتي قلت أدخلك في غرفتك بالمسيد وأقفلها عليك وكلما جاء أحد يسأل عن سبب صياحك أقول له أصبحت ذاهبة العقل ضحكك والدي في تلك الساعة قامت البنت مع زوجها للحصاحصة ولكن وجدوا القطار سيقم بالقيام الى مدني فرجعوا قلما علت البنت بثبث أمها بمنعها قالت لها لا تتعبي والله يا بكر ان قال لي اطلعي السماء أتخذ أمره ونحن الآن رجعنا من الحصاحصة لقيام القطار قبل وصولنا له وغدا نسافر فرضخت أمها حيثئذ وصعبتها للنقل وتركت معها أختها الكبيرة ورجعت والدتها لبيتها من هذه الحادثة عينت بمنزلي غرفة لزواج البنات يتزوج فيها الرجل وينقل زوجته في الحال منها ليخفيها لغيره فأطلق عليها اسم « قيرة قيرة » وهي مكان للمبة بهذا الاسم لا يلبث فيها أحد أكثر من دقائق فيقلب ويحتلها غيره .

سمعت والدي حكى هذه القصة وهي أن رجلا عالما يدعى الفقيه منصور كان يصلي بهم فسألهم مرة هذا السؤال وهو هل الأرض خلقها الله أو وجدها مخلوقة فأجاب كل من معه في الجامع اذا كان ما وجدها الله على أي شيء كان يقف هي موجودة قبله فقال سبأني الفقيه منصور عن رأيي قال قلت له أنا أظن ما في شيء سبق وجود الله لما سمعت هذه الحكاية من والدي زرفت عيني بالدموع وخرجت من الفسرة في الحال لأفرغ عبرتي حتى لا يراني باكيا فيسألني عن سبب بكائي اذا صدقته السبب أهنته وادأ غيره كدبت وعزمت عزما أكيدا أعلم والدي العقائد الدينية التي هي شرط الاسلام والايمان ولكن اعترضتني هذه الصعوبة وهي كيف يجوز لي أن أضع نفسي لدرجة المعلم وأزل بوالدي لدرجة التليذ ولكنها ذلت بفكرة أنني أعلم زوجته بحضوره فيسبح ما أقول فيفسه دون أن يكون المقصود بالدرس وفعلنا شرعت في تدريس زوجته المعنية صورة بالدرس فلذا لم نهم يقول لي أدمسها (أتركها ولا تنب معها) أنا فهمت ولم أزل حتى عرف والدتي كل العقائد والطهارة وفرائض المبادات والحمد لله .

في هذه السنة توفيت المعلمة ست أبوها التي كنا نعتمد عليها في ادارة مدرسة البنات وظلقتها معلمة وطنية تسمى هانم وكانت ضعيفة الاراحة والادارة

وبالبحث المتواصل أرشدنا إلى المعلنة زهرة بنت القباني زوجة محمد الأمين عبد العظيم وكانت حسنة الإدارة ولكنها تحتاج إلى تمرين في الصناعة فأرسلناها إلى المدرسة الانجليزية بالخرطوم رئاسة المس يولي ورجعت بكفاءة كاملة ولا يزال تعليم العلوم بواسطتي شخصيا وبمساعدة التلميذات الكيبرات في الفصول الصغيرة .

« مدرسة ابتدائي لرفاعة »

٩١

كانت مدرسة رفاعة تمتد تلامذتها بالدروس فيما عدا الانجليزي بمقرر السنة الثالثة وبما أنهم لما يلمحون بالابتدائيات يبدأون مع غيرهم من أولى ابتدائي فكرت في أن أطلب من السير كوي عطينا معلما يدرس الانجليزي فيوفر على أولادنا سنتين من أعمارهم على الأقل عرضت على سماعته طلبى بمكتبه بالخرطوم قال لى هل النيل يجرى جنوبا قلت لا قال اذا جرى النيل جنوبا أرسل لك معلما انجليزيا لرفاعة فاقبعت ثم طلبت منه أن يعطينا جنهتان شهريا مرتب معلم يحفظ القرآن بالمدرسة لأن حفظ القرآن يساعد الولد في العربي الفصح ويمنه لأن يكون قاضيا شرعيا ومعلما بارعا في العربي فقال لى أنا ما عندي في ميزانيتي مرتب لحفظ القرآن كم ولدا ليعلمهم هذا المعلم قلت عشرون قال أنا أعطيهم جامع المدرسة يقرعون فيه وأحضر لهم المصاحف وكل الأدوات وآباؤهم يدفع كل واحد منهم خمسة قروش شهريا للمعلم فأخبرت سكان رفاعة بذلك ودعوتهم لتنفيذه وعينت أحمد ولدى من ضمنهم فعال الحول ولم يتم عدد من قيدهم بنوتى عشرة أولاد فتأكدت أن الناس يرغبون في التعليم المدني للمادة وتركزت الموضوع مقتنما بفشلى . في هذه السنة انتدب المستر كوث مقتنما لرفاعة أياما قليلة وكان لى عبد يدعى عبد الله وكان في عشرة من والدته وأولاده وزوجته وإخواته وقد عصبهم على فشكوتهم للمستر كوث فطلبه هلده وأخرجه معى وبعد يومين طلبنى قال لى أمت مسرور مما عملته بخصوص عبد الله ووالدته ؟ قلت مسرور جدا قال لى لكننى ما نمت هاتين في هاتين الليلتين قلت لماذا قال لى اذا قال لك والدك أو أبى أحد تجمه أو أحد تضاهه غير لى آية من القرآن هل تبعه الى طلبه قلت كلا قال لى ان العرية

عندما مثل ذلك ولذلك أنا تميت جدا منذ ضيى قلت له أنا أريح ضميرك بأنى أعتقها له تعالى شكرنى وقال اليلة أنا مستريح الضمير وطلبت عبدالله وأخبرته بصفته وأمه .

في هذا العام جئنا بقطار ومعنا برفقتنا أحمد أفندى خليل الذى كان مافور للكاملين فجاء المستر مكيميل فيما بعد (الكرتير الادارى وكان مفتش للكاملين) جاء يحمل عصا خرتيت وطلب من أحمد خليل يوصلها بواسطة من يعرفه للمدير بدنى معرفته لأنى لا أعرف أحدا من راكبي القطار فقال أحمد خليل وأنا أيضا لا أعرف أحدا فلما قربنا من المعلق الذى هو محطة نزولهما الاثنين جاء المستر مكيميل مرة ثانية بالعصا وكرر طلبه لأحمد خليل الذى كرر رده الأول بصعاف ولما رأيته فى المستر مكيميل من اضطرار التزمت لجنابه بتوصيلها للمدير فسالني عن اسمي فلما أخبرته شكرني وسلمني العصا حكيت هذه الحكاية لما يترتب عليها فى سنة ١٩٢٣ .

أزرع جبلا ولو فى غير موضعه ما خاب قط جميل أينما زرع
ان الجبيل وان طال الزمان به فليس يحصده الا الذى زرع

في هذه السنة أراد السبكي أفندى أن يبنى مدرسة الكاملين بالقشرة وكان برفاعة رجل مصرى يدعى المصرى شقيق الغزالى أفندى مترجم المركز طلب منى أن أوسط له عند السبكي ليعهده بالطوب الأحمر بواقع الألف جنيه مصرى فاعتبرنى السبكي كضامن أو مسئول له ولما توجه مصرى للكاملين وحرق الطوب وبدلوا فى الشغل به ظهر أن بالطوب حجارة بوضعه فى الماء يقش ينكسر فأجبر الأسطى الروبى السبكي أفندى الذى سحب لى ظرفا من اليهود بأن أقوم للكاملين حالا وأسلم المعلم الروبى الطوب الصالح لبناء كالمشروط قما وسعنى الا القيام فلما وصلت كنت غاضبا لا سيما الحر مشدد فوضعت المعلم قبل أن أحييه فكان رده على أهلايا موبى الأخلاق فمسط فى ردى وخزيت أمامه ونزل وسلم على وأنا خجل منه وتذكرت الحكمة أحذر مما تمتد منه . وبعد هنية شرعت فيما همنا مما فلم نعتد لشيء فى باقى اليوم ولكنى فى سحر الند اهتديت لأن فصل أمحواضا ونفمن فيها الطوب فما ينكسر فعلى المصرى وما يسلم منه يستلمه المعلم الروبى يمشى به السمل وينقل المصرى

الى مكان آخر بعد اختياره بخرية حرق قليل حتى تتم المهلة وكذلك فعلنا واستلم بهذه الطريقة ٧٥٪ من المهلة وأنا أخذت درسا قاسيا من المعلم الرومي لا اسماء ما حيت • قل في هذه السنة المستر جرنود وخطه المستر كرابين الذي تعرفه رفاعه منذ سنة ١٩٥٣ حينما كانت مديرة الجزيرة مرتزها أريجى ولم يكن بها سوى أربع من الانجليز وهم بلوت بك المدير ديكنسون بك نائب المدير المستر مكون المفتش الأول مستر كرابين المفتش الثاني ولذا يطلق عليه المفتش الصغير • كذلك قل شكرى وخطه أحمد أفندي خليل فارتاحت المدرسة مدة الستين أحد عشر وأنتى عشر لا يوجد بتاريخها - انزعجا ولا شكوى

سنة ١٩١١ م في هذه السنة فكرت حكومة السودان في تجربة الرى بالجزيرة حضر سماعة ديكنسون المدير برفاعة وتصادف وجود الشيخ عبد الباقي حمد النيل برفاعة تزوج بنت المرحوم الطيب العربي فتقابلا بصطية رفاعه وطلب المدير من الشيخ عبد الباقي أن يتدىء هذه التجربة بواسطة وابور يوضع بطيبة ومتى صحت التجربة يبدأ الرى فصلا بوابور كبير بطيبة فرعش الشيخ عد التلقى وضع الوابور حالا ومالا بطيبة فطلب المدير الشيخ عبد الله أبو سن يحسن للشيخ عبد الباقي وهو يرفض بشدة وابتدا المدير يظهر عليه الغضب رغم اناته فأخذنا الشيخ عبد الباقي خارج المكتب وهسدناه بقوة الحكومة وان المدير أخبرك من باب المجاملة فقط وما زلنا به حتى أدخلناه على المدير موافقا ففى سنة ١٩١٩ مرت على طيبة لتفتيش مدرستها فوجدت الابل ترعى فى اللوبيا كانها فى البطانة وحالة الحلة مظها للنعمة سكانا ومساكن قتلت للشيخ عبد الباقي اذا رأت الحكومة تحويل المشروع من طيبة ماذا يكون ذرايك قال لى « والله تبعه مكان ما تحوله » ذكرته بتوقفه فقال نحن عارفين عبدلهم هذا ما كنا نظن أنهم يهبول طيتنا ويحولوا منه ويجعلونه ملكا للانجليز •

راجت اشاعة بمدينة رفاعه بعد مساعدتهم لمنع السير كرى بقوله اذا سار سيل جنوبا يكون فصل انجليزى برفاعة يأتى أنا لا أريد الانجليزى لرفاعة لخوفى النقل من مدرستها وتعين ناظر يتقن الانجليزى ولاسمهم هذا المنع من السير كرى مباشرة اقترحت عليهم عمل عرضة لمساعدته فركد منه الطلب من

المجموعة بالبلد كلها وتعدنا له في نفس الطلب بترقية ضريبة التعليم من نصف قرش الى قرشين على الأرحب للعشور وهذا المبلغ كاف لمرتب المعلم الانجليزي وبمجرد حضور سعادته لرفاة رفقنا له هذا الطلب ممضى من العملة والأعيان بكل المراكز بمجرد ما وصله طلبني منزل المتر كراين وقال لي ألم أقبل بالخرطوم وكرر العبارة بلطفها قلت نعم قال ولماذا قلمتم هذا الطلب وهو يحطك قلت هو يخط العملة ابراهيم عبد الله قال هو يرأيك قلت نعم يرأي لأن الناس اتهموني اني لا أحب ادخال الانجليزي لرفاة خوفا من هلى منها فأردت أن يسمعوا ذلك من سعادتك مشافهة فيبرأوني من التهمة أو أن سعادتك تجيب لهم طلبهم فنريح الزمن لأولادنا فكللها له فائدة فأمر بجمع الأعيان برفاة بمكتب المفتش خصوصا من لهم أولاد بالمدرسة ووجه الكلام للشيخ عبد الله قائلا أن مثل رفاة لا يمكن أن يفتح فيها فصل للانجليزي لأنها بلدة زراعية وسماية بجائهم وأولادهم لا يحتاجون للانجليزي ومن يستطيع منهم أن يعلم ولده الانجليزي فليرسه للكلية أو لمديني وأمرني أن أشرح لهم كلامه فشرحته لهم فمستكوا ولم يتكلم منهم أحد ثم قال للشيخ عبد الله اجعلوا هذه الضريبة لمدرسة البنات فقال له الشيخ عبد الله مدرسة البنات ابى أكرها فضحك السير كرى وقال لعبد الله أنت تكره مدرسة البنات جذا قال نعم أكرها قال السير كرى أنا مسرور جذا بكرهيتك لمدرسة البنات ثم قال أنا جنى كان يكرها وأنا اليوم أحبها فولد ولدتك سيحبها جذا ولكن فحمت من كلامه أنه مسرور لأن مدرسة البنات مع كراهية الشيخ عبد الله لها هي متقدمة فليطش عليها وعلى مستقبلها ثم تفرق الناس ورجعنا للمدرسة وقال لي هم اقتنعوا قلت نعم قال الشيخ عبد الله فهم كلامي الأخير قلت هو فهمه على ظاهره وأنا فحمت غرض سعادتك منه وحكيت له فهمي فضحك وارتاح لفهمي وضربني على كتفي قائلا تمام تمام .

في هذه السنة زار السير الدن غورست نائب الملك بمصر مدرسة رفاة وبصحبته السير كرى فلما ودعا أبدي سروره من نشاط التلامذة وأهياهم لمعلوماتهم وحتم كلامه بأن قال لي أهنتك بمدرسة البنات التي مستكون أما المدارس البنات بالسودان وكب في تحريره سنة ١٩١١ نبذة عن زيارته للمدرسة .

رفاعة للبنين والبنات وأنه قد « مرجعا من الممرتين خصوصا من فافرها
الشيخ بابكر المشهور (بهذه العبارة)

سجل بناء مدرسة وقاعة :

في هذه السنة جدد بناء للمدرسة بالطوب الأحمر والموقع الحرة بواسطة
متعهدين يونانيين وذهب الى السير كرى أفاض للمدرسة القديمة كلها أي ما هدم
منها فبعت بعضه وأعطيت محمد لطفى قوى الذى نقل مدرسا برفاعة البعض
وبنيت منازل الموجودة الآن ما يلى الشارع البحرى بالقشرة والسقوف
والأبواب والشبابيك وفي هذه السنة اشترت المساحة الغربية التى بنيت فيها
المنزل الصغير غرب الكبير ومنزل سعيد والقضاء الذى بينهما بمساعدة المستر
كرياين . في تقرير هذه السنة كتب السير كرى غنى مطولا ذكر فيه شيئا عن
تاريخ حياتى فى المهديّة وجهادى وأسرى .

سنة ١٩١٢ كانت سنة هادئة لأن للفتش المستر كرياين الذى لا يشتغل
رسميا الا فى مكتبه ولا يتشغل بما لا يصله رسميا من الحوادث والأمر
أحمد أفندى خليل العاقل التزيه ولكنهم رغم محاربتهم تصادما ببعضهما
خصوصا حينما أراد أحمد خليل أن يساعد حسن أفندى يسرى نائب الأمور
حينما أراد المستر كرياين محاكمته ولم ينجح أحمد خليل فى سعيه فحسبوا
يسرى أفندى بتخفيفه من يوزباشى الى ملازم أول ونقل من رفاعة للجيش
وفى النصف الثانى من سنة ١٩١٢ نقل المستر كرياين نائب مدير الأبيض ونقل
أحمد خليل فضلف المستر كرياين ليتش وخلف أحمد خليل كامل هديب .

فى هذه السنة تزوج ابراهيم مالك آمنه بنتى وكانت مخطوبة للطفى ولا
أدرى ما الذى به ابراهيم مالك طلب الزواج بها مع انه عارف خطبة لطفى
وساكت عليها فنجأة طلبها من والدى الذى طلبنى وقال لى ابراهيم مالك يريد
الزواج بآمنه فقلت يا والدى وخطبة لطفى ماذا نصنع فيها قال لى والدى بعبارة
مازحة لا تقبل المراجعة « لطفا شن » ما دام طلبها ود مالك فسكت وماوسعنى
الا أن أتد رأيه وفعلاتم ذلك والحمد لله .

في هذه السنة شعرت بتطور شديد في بدني وفي يوم ما درست حصتي متواليتين لا أذكر سببهما فلما دخلت المكتب ارتمت على التريزة بصدرى وصرت كالمغنى عليه فلما وعيت نفسي قلت أترك العمل في التدريس وأرجع للتجارة ثم جال بظلمى أن هذا جبن ويخل على البلاد وتذكرت الزهد وراحته فجرى على لساني هذان البيتان :

فوالله لولا أن طفلا يرضع وقبله مقطوم وقبله يافع
ولولا بنات فوق عشر يلذن بي لما كنت مالا للملذات أجبع

اهتممت لهذا التطور فوصف لى رجل بطة أبى جلغه فأحضرته ولما كشف على قال لى هذه مبادئ مرض السل قطعت له أنا أعلم منك بمبادئ مرض السل وفي الحال كتبت لجنا ب المستر سمسون بما حصل لى من تطور لم أعوده فخطبني برقىا بحضورى للخرطوم بأسرع فرصة فلما وصلت الخرطوم أخذنى السير كرى لمعمل ويلكم حيث كشف على رئيس المعمل المستر بلفسور وقال للسير كرى أن قلبه قوى كقلب الصبي ولم تظهر عليه علامات المرض مطلقا وأعطاني شربة ريت خروج فلما رجعت في ثاني يوم أعطاني المستر سمسون كتابا للاستبالية الملكية لرئيسها الدكتور خيرستورسن فلما وصلتها وجدت الشيخ محمد مصطفى المرناني قاضي القضاة آنذاك جالسا على كنية في دهليز الاستبالية كما يجلس عامة الناس وييده زجاجة أخبرني أن فيها بول زوجته المريضة يريد عرضه لفحصه وبعد أن أخبرته بما جئت المستشفى من أجله طلب منى أن أطلعها على خطاب المستر سمسون لرئيس المستشفى فقرأه وقال لى أن المعارف توصى عليك توصية جميلة جدا فطلعت أنه يقرأ الانجليزية وبمسند مقابلتى للدكتور خيرستورسن قال بعد الكشف أنك شديد ولم يكن في جميع جسمك عصور مريض ولكنك بالغ في التطور تتطلب راحة كاملة وأعطاني دواء في زجاجة وأظنه مقوما .

متابعنا مع الأمير :

سنة ١٩١٣ من الاتفاق العجيب انه بعد جيلر أقندى رسمتم لم يسوالى

مأمورين صدقان للمدرسة ولكن صار على التناوب من يتعاقبان عندئذ ثم
 صديق الى أن بارحت رفاعة منتقلا الى الخرطوم فقد حل هديب عندنا للمدرسة
 ومتبعا لعمالها خصوصا الناظر الذي بنا يدافع عن نفسه كما سيأتي كنت
 كعادتي آخذ الفقرة الأولى من التلايمذ بعد لعب الكرة لمنزلي وبعد صلاة
 المغرب فينتدى المذاكرة لغاية الساعة ٩ مساء ولا أتركها لأى سبب عاثر يؤدى
 بعد ذلك من مأثم ومنهم أو مطلق زيارة فلما جاء اليوزباشى كامل هديب مأمورا
 أرسل لى بعد الغروب لأتبعه بمنزله وشرع يحكى لى تاريخ حياته الجندى فكونه
 ناشئا ومرييا فى جنديته منذ خروجه من المدرسة الحربية تحت ادارة الرجل
 العظيم عبد الرحيم فهمى ولذلك صار بحالته الطاهرة من الكفاءة عقلا وادارة
 وبعد أن كرر لى هذا أربع ليالى متوالية وحال يبنى وبين مذاكرة التلايمذ
 قلت يا حضرة المأمور قد حفظت تاريخك فاسمه منى أقرؤ عليك صحيحا
 فنضب وقال لا أدعوك بعدها لمنزلى قلت قد فعلت حسنا الى فمضى على
 ورآها نهانة منى ولا ذنب لى . اتفق معه اليوزباشى محمد أفندى كامل نائب
 المأمور فأول ما فعلاه أخبرا جناب المستر ليتش أنى مختلص مال مدرسة البنات
 فحضر جنابه للمدرسة وطلب دفاتر مدرسة البنات فسلمت له دفتر اليومية
 المسودة المكتوب فيه بقلم الرصاص وقلم الحبر وفيه شطب ما أرجع من
 البيعات بعد قيده مبينا فأعتقد المستر أن هذا الدفتر هو الأصلى النظيف ولم
 يعتقد أنه جاء ليتش علينا فسلمنى إياه وذهب لمكتبه معتقدا أن ما قيل هو
 حق فكتب للمعارف بما رأى وأكد فى تحريره تلاعبى مستدلا بهذا الدفتر
 المشطب أخبرنى الشيخ أحمد الأمين للفتش العربى أن المستر كرى سأل
 فتبكر أن الشيخ بابكر يمكن يأخذ من إيراد البنات عشر جنيهات فى الشهر
 خلسة قال لى فقلت له كل الإيراد لا يزيد عن خمس جنيهات فى الشهر فقال
 لى اكبوا لجناب الفتش اتعموه بنزاهة الشيخ بابكر بصرى وإن مثل هذه التهم
 سبق مرات عملت ضده من المأمور ولم يثبت من هذا شيء وهو مصرح له منى
 بأن يأخذ نصف الإيراد نظير ادارته لمدرسة البنات فجاءنى المستر ليتش
 بالمدرسة وحكى لى ما جاءه وأنه شكالى فسلمت له نص الدفتر والدفتر
 النظيف فضحك وقال لو رأيت هذا ما شكوتك . فقلت لو علمت أنك
 جئت للفتش لعرضه لجنابك فقال لأأتىكم الا زائرا وبعد أيام سافرت

المعروف مع التلاميذ فمر محمد كامل النائب على منزلنا فوجد أولادنا
 الخصوصيين يقولون طويلا لمنزل أخى سعيد فاعتقد أنى أخدم التلاميذ في
 خصوصياتى وكتب تقريرا لجناب المستر ليتش بأنه رأى بعينه وأنه سأل الأولاد
 فقالوا أمرنا الناظر وأن المنزل منزلى فحول لى المستر ليتش بعد حضورى من
 الخرطوم فكبت بتغييرى فى ذلك التاريخ عن رفاعة وأن المنزل ليس
 منزلى وأن الأولاد ليس فيهم تلميذ غريب فلما فهم ردى حوله للأمر الذى
 خجل هو وصاحبه أمام هذه الحقيقة الناصعة وما صار المفتش يسمع لها كلاما
 لا فى شخصى ولا فى المدرسة . فى هذه السنة ابتداءً من الغلال يرتفع فمرة
 صدقة صحت المفتش من لعب الكرة فمررتا على الأصبطل ووجدنا هديب أفندى
 بالأصبطل يشرف على عليقة البهائم فجاء أحد الخفراء يحمل عليقة حصان فى
 جردل فنظرها المفتش وقال للخير كل يوم المليقة هكذا ؟ فقال له : نعم فنظر
 المفتش الى المأمور الذى اصفر لونه وظهر عليه الارتباك ففى الحال أمر المستر
 ليتش بأن تعرض عليه المليقة قبل عرضها على البهائم فظن المأمور أننى الذى
 أخبرته عنه المفتش وحرمة من الفائدة وقضته فصار يماكنسى فى خصوصياتى
 فمن ذلك أبى مقاول جابر السودانى البناء يبنى عندى فأقطع عنى أياما فمررت
 على المأمور وهو جالس فى ظل الجامع فقال لى : لأى سبب وقفت من البناء
 فقلت : الأسطى جابر أقطع منا . فأرسل خيرا فى الحال يحضر جابرا فجمعت
 لاهتمامه وأمرنى بالجلوس . أرسلت لكرسى من منزلى وجلست فلما جاء جابر
 قال لى : هذا خصمك قلت نعم ما دمت حضرتك المأمور وانصرفت وعلمت هذه
 نتيجة اهتمامه . فكر المأمور فى أن يعمل اكتابا عاما بالمركز تبني بما جمع منه
 مائدة للجامع واكتب حضرته بخمس جنيهات فجمع مالا كثيرا حصراه عند
 صراف المركز ولم يفرط له فى شئ منه وتضافا فى أن يكون الرسم بالمديرية
 والمهندسون الاغريق الذين بنوا المدرسة وفعلوا حصل ذلك وكنت أشد محافظة
 على صرف كل الاكتاب فى المائدة وتبيض الجامع نظمت عليه فى مكتبه يوما
 فرأيت عنده ورقة كبيرة مكتوبا فيها هذه العبارة (أششت هذه المائدة وتم
 بناؤه على يد) فى سطرين وبمحلها (حضرة) فى سطر مكبرة جدا وبمسحتها
 اليوز ناشا أحمد كامل هديب مأمور رفاعة والتاريخ فى سطرين فرضها لى
 لأحد رأيى فقلت له احفظ كل هذه الموت لنفسك وضع (أهالى البلد) بدل

مأمور ورعاية لأن اليونانيات بالمركز غالبا يكون مأمورا وبذلك تكون حفظت
 حق التأسيس وأرضيت البلد فوافقني وكان رسم المأذنة بعد أساسها يكون
 البارز ستة عشر مترا . اني سافرت للدويم كمادتي سنوا من سنة ١٩٠٥
 ليوسف أحى لأراجع حساباته فبعد قيامي منحت له الفرصة فأقصصها ثلاثة
 أمتار في بروزها وكتب الحجر ووضع في الجزء المربع منها كما رأيته ولم يذكر
 أهل البلد قلما رجعت مررت على المأذنة قبل أن أدخل منزلي الذي لم يكن بينه
 وبين الجامع الا الشارع قلما وجدت الصبر على حاله كتبت للشيخ عبد الله
 بالطنضب ما أهاجه وفيه قلما وجدت موافقته على خلع الحجر بواسطة الحكومة
 جعلت أدعو الناس الكبار برعاية الى قراءة الحجر ومن يقول منهم تنتظر الشيخ
 عبد الله أعرض عليه رده لي فباح أكثرهم برأيه بعد ذلك عن كتابة هذا الحجر
 فطلب القاضي الشيخ محمد محمود الأزهرى التقى الورع وسأله هل مثل هذه
 الكتابة مسموعة شرعا قال نعم ان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا . حضر
 الشيخ عبد الله وأيد شكوتي فكتب المفتش للمدير فحضر بنفسه وطلب مني
 صورة الكتابة على ورقة وبيان موضعها من المأذنة فعملت له ذلك يرسم فأرسل
 شكوانا وفتوة القاضي والرسم للسكرتير القضائي وقاضى القضاة قلما طالت
 مدة الرد أخذ المأمور يتهم علينا جئت مرة الساعة ٧ صباحا فوجدته جالسا
 بمن معه في ظل المأذنة قلما سلمت عليهم كان رد سلامي قوله : (ان الحجر
 ربا يحميه) قلت اذا شاء ولكنه لا يشاء أن يحمي ما يخالف شرعه وسئري
 فربما تصديقه وقبل أن يحضر الرد من قاضى القضاة لاجتماعنا وقررنا أن نطلب
 من المدير واحدة من ثلاثة أما أن يخلع المأمور الحجر بسببه واما أن يدفع باقى
 ثمن المأذنة بعد خصم الخمس جنيهاً تبرعه واما أن نلغى له الخمس جنيهاً
 ونخلع الحجر فطالبه المدير باحدى الثلاثه فاختار أن يخلع هو الحجر فمسخ منه
 الكل ما عدا التاريخ والسطر الأول ولكن الكاف من اسم كامل كان ظاهرا
 قصار الشيخ عبد الله يقول له كاف كامل ما اتمسح قلما أتم مسحه قلت أنا
 والله ان قلع الحجر بالمره خير له من هذا التشويه الملفت قطع الحجر كله عندما
 بلغه كلامي . كان في النصف من شعبان أمر المأمور بعمل احتفال للمأذنة وتليت
 فيه الخطب والقصائد وكنت جالسا بجانبه تخطي كنية ومعنا حمى أبو سن وعبد
 المجيد على مله التلميذان بالحرية فطلب منى هديب أفندي أن تقوم وأشرت

للتلميذين ألا يدعاه يقوم وبدلت في الخطبة بعد حمد الله ان قلت نشكر حضرة
 المأمور على اقتراحه بصل هذه المأذنة واشترائه الذي لم نحقق من دفعه بعد
 أما ما تأخذ على حضرته وتنبه له أن طول المأذنة بالشروط يكون البارز منه
 ستة عشر مترا وقد قص ثلاثة أمتار أكثر هذا النقص في الجزء المربع منها
 وحضرته المسئول الأول لأنه مبائر بنساء كهندس والمتهمسون
 المسئول الثاني فقام وقال لي اجلس فأملك به التلميذان فقلت واللجنة ترجو
 من حضرته تقديم الصواب ايرادا ومنصرفا لتتشره على المشتركين فلما رأي
 مستمرا قام وأخطى مجلسه ورجع لمنزله فكتبه الناس لمحاسنته ثم بعد أيام
 ظهر حرب البلقان أعني اكتاب السودانين لمساعدة السلطان التركي حاليا
 فجمعنا جلود الضحايا من كل المركز بناديب عيوا لذلك وبعث برقاعة لتجار
 الجلود فبلغ المبلغ أكثر من مائة جنبها فبلغ المدير هذا الخبر فجاء لرفاعة ونصح
 لأعضاء اللجنة بعدم تحويل هذا المبلغ لاسطنبول لأنه في رأيه لا يوصل لأجل
 قصدنا وسعاده يستحسن أن يصرف في مشروع تنتفع منه رفاعة المدينة ولكننا
 صممنا على تحويله وقمنا شرعنا في عمل التحويل فأراد المأمور أن يحول باسمه
 فرفضت وحولناه باسم الشيخ عبد الله أبي سن وجاء الرد باسمه فغضب
 حضرته جدا وقال لي كل المراكز حولت أعانتها باسم مأمورها فقلت يجوز أن
 يكون ما عندهم معروف بينهم كالشيخ عبد الله أبي سن .

تحتفل بمرور عشرة أعوام لانشاء المدرسة

في هذه السنة علمنا احتفالا بالمدرسة لمرور عشر سنوات على فتحها
 احتفالا حضره كثير من أعيان القبائل ومن حضره مساعدة المستر وتر الذي
 كان قاضيا مدنيا حين ذاك وكانت الرواية رواية المقعد الذي يقول ان صحت
 التجارة المرأة والعمارة الخ وسعادة ويتر رسم لنا رأس العمارة على خيش
 حشواته بنا فالتقى شيخ لطفى في هذه الحفلة قصيدة مدحتني بها ودعا لأولادي
 فيها بالنجاح في آخرها وألقى فيها الشيخ حسن الأزهرى قصيدة
 قصيرة عينية ولكنها في غاية البلاغة فكنت أرتفع حينما كان يلقيها بصوته

الموقع الذى يظهر منه الاخلاص فى انشاءه واتساده وهما القصيدة : -

سقا الله بالأقطار أرض رفاعة	وبارك فى خيراتها ثم أينما
سقاها فأرواها فأبت زرعها	فأحيا به السودان والناس أجمعاً
بمدرسة لم أنس فضل رئيسها	على كما لم ينس ذو الذب شافها
أبو بكر البدرى من حاز همسة	قوم مقام البدر أو يجلبها معا
سمى للعلا حتى ترفع فوقه	كما النجم من فوق السحاب ترمها
رعى الله أسناننا ورجسنا	عينوه وكان لنا يا قوم مرأى ومسمعا

فى هذه السنة جاء جناب المستر بومن مفتشاً بالمحارف وزار رفاعة تفحصته
لمدرسة البنات وكان لى بها ست بنات فكان كلاً رأى بنتاً نبيهة يسألنى بنت
من هذه أقول لجنابه بنتى حتى مر عليهن كلهن فقال لماذا بناتك أحسن من باقى
التلميذات قلت لأنهن يتعلمن فى البيت من اخواتهن الكبيرات فقال لى كم بنتا
هناك قلت أحد عشر بنتا كبراهن متزوجة . كان المستر بومن رجلاً لطيفاً دقيق
التفتيش فى غير عطف يرشد المعلم ويضبطه دون جبروت .

فى يناير وصل أول طيار بطائرة فى السودان يدعى المسير بوربخر نساوى
صلحيته لها من رفاعة لأنظرها فلما رجعت أخبرت الناس أكثرهم لم يؤمنوا بما
قلته لهم حتى تواتر الخبر فأعجبوا بفضل المعلم .

فى هذه السنة زار المستر بودال مصاحباً سعادة مدير اسكوتلاندا وهو
الذى يمد أن رأى تدرسى كتب فى دفتر الزمارة بعد ابتلاء سروره فى المدرسة
مائة قال عني ان هذا الرجل خلق ليكون مدرسا فلما رآها السير كرى وطلب
منى كتاب السير ونجت الذى أهدى لى معه الساعة ضمها السير كرى على
بعضها وقال لى أن هاتين الشهادتين تفتحان لك مجالا واسما .

فى مرة أراد السير كرى مبارحة رفاعة الزمنى السبكي أفندي بأن أحضر
لهم الجمال وتأتيه برجالها فى منزله الساعة ٤ صباحا فلما لم تمعه الى الساعة ٥
ركب حمارا وجاء لمنزلى وسألنى وبدورى سألت عبيد الله الذى تأولنى رد
الطيب فأرسلته للطيب فقال له الجمال سارت لمنزل المفتش قبل الميعاد ولم
يجى فى بالناتيت مفتش المركز كما فهمه الجمال برزت الشمس فجاءنى
السبكي مضطربا واتهرنى فقلت الباب فى وجهه وحملت فنادانى مرة أخرى

فخرجت عليه وقالت له تفتنى أجري من نهرتك هذه أتم المصريون لا يعرفون
السودانيين فقال لى ماذا تصنع الآن قلت أعطنى الحمار وجاء فى بالى أن الجماله
بكونون فى رعية جمالهم وانتظار من يدعوهم للحمل والسفر فوجدتهم فى
جوف جبد آلاه فجئت بهم للسبكي الذى قال لى اذا سألك المدير قل له أخرجها
الطيب السواكى قلت له لا أقول ذلك وأحرم الرجل معيته بلا مسب قلما
هابلت المدير قال من الغلطان قلت عيد الله الفرائش قال لى أجلبه ثمان جلدات فى
آخر هذه السنه قل كامل أفندي حديد لأبى دليج وبخلفه الرجل المتواضع
الكلمه السيد أفندي نور الدين مصباح فوجدنا منه فرصة الراحة من كيد
الأمير .

المجاعة وعيش الهند :

تمكنت المجاعة بدخول سنة ١٩١٤ فمن حوادثها أن مسيد نور الدين
مصباحا اجتهد فى تحصيل أموال الحكومة بأن قام بنفسه للتحصيل وعين فى
كل ربع من أرباع المركز مندوبا للتحصيل ولكن حالة الأهالى لبسنة المجاعة لم
تساعدهم على دفع الضرائب فحضر مساعدة المتر ايلس المدير يرفاعه وعاتب
الأمور فى تأخير تحصيل الضرائب فأخبره بما عمله من الجهد ولكن حالة
الأهالى هى التى حالت دون التحصيل فأمر المدير للمستر ليتش الرؤوف فلما
وصل حلة يانت التى تبعد من رفاعه نحو ثلاثة أميال ووجد أن أكثر الأولاد
راقبون فى ظلال بيوتهم وأن الرجال بحالة تحرك شفقة من يرأهم رجس الى
رفاعه واشترى أكياسا من اللقيث وثورا من البقر أخذها معه لأولئك البائسين
وأقام معهم حتى أشبعهم ولعب أطفالهم وهكذا كلما حل بقرية ورأى حالها
كحالك صنع مع أهلها ما صنع بأهل يانت وكتب قررا للمدير طلب منه تأجيل
دفع الأموال لستى ١٣ - ١٤ حتى تنفرج الحالة الطاهرة وفملا ترك التحصيل
واهتمت الحكومة بتموين السودان الذى اشتد به الجوع فجلبت الغلال من
الهند ولولا غلال الهند لمات من السودان ما لا يقل عن عشرين فى المائة على
الأقل جوعا فليحفظ السودانيون هذه الحسنة ويروها السلف للخلف ربقائل
يقول انها عملت ذلك حرصا علينا لمنفعتنا منا أقول فلى هذا المبدأ يضاعفه

شكرنا لأن مصر والحيش كان اللال قليلا بهما فمن من السودافين يفكر في جلب اللال من الهند ولو فكر السودافيون وعرفوا وجود اللال بالهندورخص نمته فكيف يوصلونه للسودان •

كنت اشترت من الطيب السواكى ستة وثلاثون أردبا كبيرا أى الأردب عشرون كيلة بسعر الأردب مائة وعشرين قرشا ودفعت له الثمن كاملا واستلمت منه نصف أردب لكى يتعقد البيع شرعا والباقي ليعاد شهرين وفعلا اشترى الطيب بدوره اللال بالمفازة بسعر ستين قرشا ولكن الحكومة احتكرت الجبال لنفل مهماتها بين مدنى ورفاعة للقصارف والقلايات وارفع سعرالأردبجنيهات فقال لى والدى ان الطيب السواكى رجل طيب ومحمول وسمر اللال تعالى وهو بلا شك يسدده لك ولكن سداحه يخرّب بيتك امش استلم منه هودك كما دفعته له ونحن ربنا يعيشنا من فضله وعيش الهد يصرف للمستخمين ونحن نأكل العيش بأى ادام وماهيتك أى مرتبك كاف لمؤقتنا من اللال الهسدى شهريا فطحا أدعن لأمر والدى الذى أحبه وأحترمه وأحفظ له حسنى أبوته وتأثيره لنا بأن تعلم في وقت هو محتاج لمساعدتنا جزاء الله خيرا عاء سميت للطيب السواكى وأخبرته بما قال والدى فقال والله أن والدك لصالح أنا مايتى لى من مال إلا البتر وقد طلبتها من كركوج ووصلت ويوم غد السوق الكبير واهى عارم أن أيعها وأوفيك مطلوبك تماما ثم فعض وأحضر لى ضعف ما دفعته ناقصا ثمن نصف الأردب الذى استلمته وذهبت لوالدى وسلمته هذه النقود يحفظها للادام وفي اليوممة الآتية مباشرة ورد جواب من شقيقى يوسف يدري بأمرى فيه بأن أعمل له مصاريف والدى وزوجته وأولاده في السنة ليرسل لى بعضها الذى يلزمه شرعا مساعدته لى في هذه السنة الجدية وأن أتخلي عن نفقه بنات أخواتنا وأرسل كل منهن الى من توجب عليه نفقتها من اهلن وأن أقصر مرتبى على أولادى ونصف نفقة والدى فكتب له رد كتابه بخصوص نفقة والدى سنويا هانا أرسل لك الحصاب مفصلا فزولا على ارادتك لأنى عارف انك أكثر منى مالا وكنت أظن أن سكوتك عن طلبك الذى لك فيه الحق مدة أربع وثلاثين مئة مضت انك قد أترتني بالثواب عند الله والدعوة الصالحة من والدينا والثناء في الناس فالآن وقد أردت أن تشترك معى في هذه

الفضائل فلا أحول منك وبينها يا شقيقى روا أبو صديق أما البنت فلا تشك
 حضرتك أن رزقهن على الله والآن يوصله لهن بواسطة وبمناوكة لهن نبر
 بذلك أخواتنا ولنا أجر المناوكة ومباشرة تربيتهم بالتعليم المدرسى فإذا
 فصلناهن من كفاتنا لهن فلا شك أن الله تعالى يحول رزقهن لهن يكفلهن ويكون
 نصيبنا العرمان من تلك الفوائد فلذا كنت مصمما على التخلي عنهم مع هذه
 النتيجة فتجديني إنشاء الله فاعلا بما تأمرني به فبعد أسبوعين جاءني كتابه الثاني
 مبللا بدموعه كما قال لي فيه وبه قال والله يا أبكر كلما ندحي أنا وصلنا مكانا
 في القل نعتقد أننا قد سلويناك أو غننا أننا تفوقنا عليك فحينما هُتِرَ من معك في
 أمر يحتاج فيه استخدام القول نجد أننا أطفالا بالنسبة لك أنى والله وحقق
 على ما منعتني في مساهمة ثقة والذى معك الا البخل والاعتماد عليك فحسب
 اما وانك أولت الأمر بهذا التأويل الحسن فقد تركته لك أما البنات فاحتفظ بهن
 وفقك الله بما قد دمه من ثواب وما تأخره مع التأريخ آمين . وقد شعنت لكم
 ستة وثلاثين جولا عللا بكل جوال خمس عشر كيلة لتستعينوا بهما على
 مؤتكم وثق أنى قرأت كتابك هذا أكثر من عشرة مرات وما تراه من البلب على
 كتابي هذا طو من تساقط دموى عليه سرورا بأن لي أح مثلك يقوم أود
 أخلاقى كماقوم سبب ارزاقى أباك الله وأحبك الله والسلام عليكم وبلغه والذى
 وهن معكم . بعد عشرين يوما وصلت الستة وثلاثين جوالا حولناها بمنزلنا
 وأمر والذى أن نستمر في مبيتنا كأن لم تأت وأأن نبيعها ونشتري بشمها
 طينا ولا أنس قوله لى ان هذه سنة إنشاء الطين فاضطرت أن أقول له يا أبت
 ان هذه سنة كسب الثواب ومناوكة البضطاء فضحك وقال لي رايك خير من
 رأيى وهذه من ثمرات العلم فيك وهو أن عدم العلم منى لأن أخا محمد
 الخليفة كان بليدا بيننا فلما قرء العلم بالدم صرعا قطع الحبيج عنده .

شرعت في توسيع البئر التى بمنزلى وجعلت أجرة العامل قلعا من الغلال
 لليوم بدلا من قرشين فأقبل العمال وخصوصا الذين لا يستطيعون مزاحمة
 غيرهم كالنساء والعجزة من الرجال ومن جاء للعمل امرأة تدعى عبايم من
 سكان حلة المرق شرق أبى حراز عندها ولدان صغيران توأمان وبنت تدعى
 مكة عمرها نحو عشر سنوات كانت عبايم هذه عندما جاءت أول يوم لخدمة

اليومية بطالة نعمة ظاهرة على لصها وشعرها ودهنها وبعد أسبوع لم تتأخر فيه يوم واحد من الخدمة تغيرت هيئتها لحالة البؤساء الا في حالة نشاطها كانت وحالاً تستلم قذح الفلال مساء لا تنهب الا بعد أن تدعو لى بالصحة والتوفيق فسألتها يوماً عن حالتها ومن يأكل لها القذح يومياً فضحكت وقالت لى عندي ولدان وبنت قلت أين أبوهن قالت هرب منا يظنه قلت هل يهرب الرجل من والاده في مثل هذه السنة الجيدة قالت لى ما سمعت حكاية الرجل الذى قال لزوجه في سنة الجوع قلت أحكيها لى قالت عملت المرأة المدينة ووضعتها في المواقين قدمت له نصيبه وهو الأكثر فقال وهذا لمن قالت للأولاد قال لها والله الأولاد ان أكلوا يكون وان لم يأكلوا يكون ضعيها فوق حتى ثم قال لها وهذا الماعون لمن قالت لأمى قال والله أمك ان أكلت تنمنا في البلد وان لم تأكل تنمنا صبيه في قمسى نصيبته ثم قال وهذا لمن قالت للخدمة قال والله للخدمة ان أكلت تشرد وان لم تأكل تشرد نصيبه في قمسى ثم قال وهذا لمن وهو الأخير قالت لى أأنا قال لها أنت يا أم عصيات ولله ان أكلت ما تسمى وأن لم تأكل لا تسمى صبيه في قمسى ثم حمل الأكل وأكله فضحكت وقلت لها جئني بأولئك واسكني بهم في هذه العرفة فباع بهم وأجرنا بنتها مئة بشرين قرشاً شهرياً ومعيشتها وكسوتها لتحمل يوسف بدرى الذى كان عمره سنة ونصف وبعدما أكملت بئر للنزل تحولت على حفر بئر متره بجرف قريب في الحلة هذه البئر التي وجدناها رملة وبعد أن أوصلناها الماء وضربناها بالطوب المشوى والخزيرة قدر متر كامل انهارت على من بها من العمال ولولا الخشب الذى كنا عملناه وحشواه بالقصب ليمتص الرملة الانهيار لما اتوا كلهم ولكنا أسرعنا في جمع عدد كاف لقرع التراب وأمرت البطشرين أن يصيحوا بأسمائهم ثلاثاً يصرخون أحداً بالفاس في رأسه أو في عصبه آخر فكانوا اذا قربوا من أحدهم يصيح بأعلى صوته فيجتهد في فتح ثغرة له يتنفس ثم يخرجوه وكان أحدهم على موسى رجله التوت في عود مال اليه عوداً آخر فكان هو آخرهم خروجاً وأمتعهم • تحولت عمائم بنشاطها لما رأتنا تستأجر الحمير لنقل الطوب قالت عندي ولد كبير في بلدنا فسلطني جنبها أتممه بما اخبرته من ايجارى اليوم فأخبرتني له حصاراً ينقل به الطوب ويبقى لنا زاملا في الخرف نحمل عليه الأكل والماء للبلاد قلت أعطيك إياه لله فطفت لا قبله الا سلفة على الخدمة

أعطيتها إياه فاشتريت الحمار وركبت عليه وبعد ثلاثة أيام جاءت بولدها الذي
 حطنا الجنيه من أجرة قله من الطوب والمقرب الخريف سمحت الحكومة
 باستلاف الغلال الهندي للساكين بضمانة مكتولة الدفع فطلبت منى عمائم أن
 أضمنها في جوالين قيمتهما مائتان وأربسون قرشا فضمنتها عند الرجل الكريم
 السيد نور الدين مصباح فأخذتهما وبارحتنا بأولاده وبعد حصاد المزارع صدر
 أمر بمسامحة مستلغى الغلال من صنفاء الحال فحضرت عمائم وأخبرتني أن
 زرعهم لم ينتج أكثر من مؤوتهم لسنة واحدة فأخبرت للأمور بعالها فشطب
 اسمها ضمن الصنفاء هذه عنائم الأمانة الوعية الصائرة المديرة ليت كل النساء
 عمائم وقليل ما هن .

هذه السنة وفي شدة المجاعة وبعد مجيء العيش الهندي لترح السيد
 نور الدين مصباح الأمور على أعيان مدينة رقاعة تشكيل لجنة تعمل اكتسابا
 من المحسنين لشترى الغلال من المركز يصدق لساكين المدينة ومن يأوون اليمن
 الخارج في كل جمعة للشخص نصف ربع مصرى وفعلا عمل بهذه الفكرة التي
 يشكر ويؤجر عليها من الله والناس كما سهل حضرته وجود الغلال الذي يلزم
 لهذه اللجة مهما كانت عدته من الجوالات وبذلك اجتمع برقاعة مساكين كثر
 منها ومن الخارج واشترعوا أن يكون الطفل بالغاً أربع سنوات وأن كل من
 أراد الصرف له أو لأولاده يحضر ويحضرهم بالجامع واستمرت هذه الحالة
 الممودة حتى دخل الحريف وتفرقوا للزراعة باستلافهم المضمون أكياسا
 للغلال . ومما أذكره أن رجلا رآني أن كل ليل أحضر في الدويان الفاتح على
 الشارع فجاء هذا الرجل مرة والتصق مع عمود البرلدة وبمجرد ما وضع
 العشاء أمامي قفز ولخطف لفة من الكسرة (الخبز) بشراهة الجامع فأمرته
 بالجلوس وتركته له العشاء يأكل مطمئا وبعد ما شبع سأته عن اسمه وبلده
 فقال اسمه ولكن نسيته أما بلده فقرية أبي عشر فأمرته أن يأتيني كل ليلة
 فيتمنى معي ويبيت في الجامع وبعد أيام جئت من المدرسة نحو الساعة ٣
 هوجئت امرأة ومعها ولدان وإبتان في ظل منزل الجنيد أفندي عبد الله فسألتهما
 عن بلدها فقالت بلدى قرية أبي عشر فأمرتها بأن تصحبني فنهضت نهضة
 المضطر الذي برقت له فرصة فأدخلتها بيتي وأمرت لها بطعام فلما أمسيت جاءني

الرجل كمادته وبعد العشاء سألته أله أولاد قال نعم ولدان وبستان وأهم قلت ما اسمهم قال فلانة وما اسم الولدين قال فلان وفلان تركته واستأذنته بسخولي منزلي لأني أريد قضاء حاجة وسأخرج إليه سألت الضيفة عن اسمها واسم ولديها فإذا هم كما ذكرهم لي خرجت للرجل وقلت له مبشرا بأن زوجة وأولاده في بيتي وستراهم عندا فأتزعج وظهر عليه الارتباك وودعني ليبيانه بالجامع ولكنه رجع إلي غير رجة فلما حكيت لزوجته صباح تلك الليلة قالت لي لن يعود لك مرة ثانية ولا يعود اليينا الا بعد (أن تتعبد الوالتي) أي يحصل الغضب وتسهل الميمنة قلت لماذا قالت لأله (انزل) أذهب الجوع رشده ففى الحال ألحقها وأولادها بمساكن الصرف وأسكتها براكوبة ظليلة ففى هذه السنة تبرع بالمأمور بعشرين جنيا عن نفسه وعشر جنهيات عن أمه وزوجته وكان أكثر الناس اكتابا المستخدمون الوطنيون ومن أكثرهم اشتراكا لأله في مرتبة الشيخ محمد لطفي عبد الله وكان من أنشط الناس خدمة في هذه اللجنة المشكورة أعضاؤها في ابريل في هذه السنة اعتزل خدمة السودان الرجل العظيم المير كرى مؤسس التعليم في السودان على أحسن أساس وحسره السودان أكبر خسارة في أهم مصالحه ألا وهى التعليم كما واله في فبراير من هذه السنة اعتزل الخدمة في السودان الرجل العظيم ديكسون باشا الذى كان مديرا للنييل الأزرق من سنة ١٩٠٣ الى سنة ١٩١٤ وفقد خسرت مديريته أى سكانها الذين أذاقهم طعم الديمقراطية بمعناها الحقيقي في وقت لم يكتولوا يأمونها وفي أكتوبر سنة ١٩١٤ قل الشيخ لطفي لكسلا وخلفه الشيخ حسن طه السيد .

سنة ١٩١٥ في هذه السنة قل السيد أفندى نور الدين مصباح بمسودوه وهودونا في زمنه وخلفه محمد أفندى توفيق عوني بمتابعيه ومثلفياته ولما استلم عوني أفندى المركز كت ضمن المودعين للسيد أفندى مصباح فلما توسطنا الشارع لقيتنا المرأة المسماة طيبة حاملة قلتها فأنزلتها من رأسها وحطبت للسيد أفندى بقولها حيليك يا العاقل الما بشتم حيليك يا العادل الما تنظم حيليك يا الما بحت بمالك في وكت الجوع حيليك يا الما غيرت هدومك بالليل ودخلت البيوت تزوج حيليك بل للمظالم رفيق حتى أبكته وأبكت الناس لأنهم متأكون كل ما قالته حقا .

استلم عوني المركز وأراد أن يضع له كل واحد في مكتبه وفي بيته وفي السوق وفي الشوارع بأهه الأمور وبخلاف ذلك قليل المأبى كان لا يصوم رمضان عفا الله عنه فدخل عليه أحد الأعراب في مكتبه فقال له يا حضرة الأمور واحد شتمنى شتما كما قال له ماذا قال لك قال الأعرابي قال لي يا فاطر رمضان فقال الأمور : هذا غير شتم هانا فاطر رمضان قال الأعرابي أنت ماك نصرالى يا حضرة الأمور فالتفت للشيخ عبد الله والقاضي قائلا هلكنى ابن الكلب ثم التفت للأعرابي وقال له أخرج من هنا .

أول ما قمه على طلب منى أن يزور مدرسة البنات فقلت له لم يسبق لأمور قط أن طلب هذا الطلب وانه لعمير الاجابة فحق على وزاد على أن تشي مرض السحائي فأرسلت الحكومة طيبا مصريا يدعى الدكتور محمد أفندي البكرى نزل مع الأمور بمنزله وفي يوم ما توى بالسحائي الشيخ طه ولد عبد الصادق خليفة الصادق وهو رجل مستقد دينيا وكانت أوامر الدكتور تقضى بأن من توى بالسحائي يعمل أربعة أشخاص يدفن في مكان عينه في خراب مدينة رفاعة القديمة ويجلسون في محرابه أيضا بالقرب من قبور موتى السحائي سبعة أيام ثم يسلمون بمطهر ويرجمون لمنزالهم وإذا كنت متصلا بالمستر تش مقتش المركز ليلا لا عليه درس العربى حكيت له ما يلقاه الناس من صعوبة في هذه التعليمات وطلبت منه أن يستخير من الدكتور أتكى المفتش الطبى بمدنى إذا كان يمكن التاء هذه التعليمات أو تخفيفها ولما أصبح الشيخ طه ميتا في الكر تينة اجتمع أعيان المدينة عند بيت الأمور لمقابل الدكتور فدخل عليه الشيخ عبد الله فطلبنا منه أن تصلى عليه وتدفنه في مكان واسع لأن قبره سيصير مقبرة واسعة كعادة البلاد فقال لنا أن مكروب السحائي ينتشر الى سبعائة متر فقلت له توضع الجنائز وبعد غسلها وكفنها بواسطة من يعجزون عادة في هذه المسافة ونحن نصلى عليها وتدفن في مكان واسع أو في المقابر المعتادة فمن مكانا في مزرعة فاعترضه صاحب المزرعة ولما خرج الأمور من منزله وكنا خرجنا قبله ووجد الناس مجتمعين عند بابه شرع يوبخهم ويشتمهم فقلت له يا حضرة الأمور هؤلاء الذين أمامك هم صفوة رعيته فالتفت الى مضربا وقال هم في نظرى كالدباب لأنهم يمكن بينهم من يعمل مكروب السحائي فيعبدني به فقلت أنت ضابط مستعد للموت بحكم وظيفتك فلا يجوز

أن تصرح بمثل هذا الكلام ولا بهذه البذاءة مع ضيوفك الجالسين في بابك وبدا من أن تواسيهم في مصابيحهم لا يجوز لك يا حصرة المأمور وأنت عربي الجنس مسلم الدين مثل هذا فسكت وانصرف وتركنا مكاننا فتوجهنا للمنزل المفقش أسأله إذا كان جاءه خبر بالتخفيف أو بالعفو لهذا التصف فوجدت سمادة المدير فلما علم المدير ما جئت له وكبا جوادين وتوجها للطبيب الذي وجداه يازع صاحب المزرعة ليكرهه على دفن جنازة الشيخ طه بمزرعته ولو تنزع ملكيته لها للصالح العام ولكن يوسف بابكر صاحب المزرعة لم يعرف معنى النزع ولا سمع به فسأل المدير الدكتور محمد البكري الذي شرح له قاعدته لأمولت السحائي فما كان من المدير إلا أن قال للدكتور البكري : والله ان كانت التلميحات كما تقول فإن الدكتور اتكى لا يعرف الطب فارتاع الدكتور البكري وشحب وجهه وقال بصوت الموتور : العنوا يا سمادة المدير فإن الدكتور اتكى طبيب ماهر . فقال له المدير : هو يدفن موتى السحائي في القبور الاعتيادية فقال اذا نرح للناس مثله فأعطانا المدير عربة الحملة التابعة للمركز رحلنا بها الجنارة الى المقابر الاعتيادية ودفناه حيث قبته الآن ومارجما من المقابر الا الساعة ٢ رحمه الله . ومن ذلك اليوم ارتفع عن الناس عنت الدكتور البكري وبعد أيام كتب لى الشيخ حسن طه السيد من الفصل ورقة بخطه الجميل يذكر لى فيها انه غير مطيق الاستمرار فى الدرس فأمرته بالحضور لى مرأيت عليه أثر الاعياء وكنت قد رأيت فى المنام فى تلك الليلة ان شيئا كالقنبلة مار فى الجو على رؤوس المنازل ففرقع بعد أن سقط فرقة دائرية جدا وكان سقوطه على جهة منزل الشيخ حسن طه السيد وفى ذلك الصباح حكى انه فى نحو نصف الليل أحس بلمعة فى رجله حادة أيقظته من النوم ووجد رجله ثقيلة فى حملها فلما رأيت حالته بالمكتب قلت له اذهب الى أهلك وفى الاصرار ذهبت اليه فوجدته ومعه الشيخ محمد عبد النور وفى الغروب ظهر هلال شعبان فأخرجناه متوكئا علينا فنظر الهلال وأدخلناه بيته وكان رحمه الله كثير الاستسمال للقرور ملين خوفا من اصابته بالسحائي فلم تفيده شيئا وفى تلك الليلة خمسة عشر ابريل جاءنى الشيخ محمد عبد النور وأخبرنى بوفاته فحزنت وذهبت للمسترت لثنى فى مروره وأخبرته بوفاته فذهب معى فى الحال الى منزله فلما رأى والدته وعريانة الجسد غير لزار بين ركبتيها وسرتها وهى

ترتفع وتنخفض في قطة واحدة لا تتجاوزها وعيناها لا تلحمان فقال : من هذه ؟ قلت هي والدته . ففى الحال جرت دموعه وأخرج منديله يمسحها ثم قال لى حين تريدون جهازه أعطوني خبر لأحضر دفن الجنائز وفلا وصل معنا المقابر وظل واقفا حتى صلينا عليه وفرغنا من دفنه ورجع معنا نحن للمدرسة وهو للمكتب . هذا المستر تش وهذه مجاملته لرعاياه وفى الحال عملت له مرئية أكملت بيت المظلم الذى أرسلته للشيخ لطفى بكسلا بموته وهو :

من شاء أن ينظر الكلى بمساها فلينظر اليوم أم الشيخ حسن طه
فتوليت تربية أخويه السيد وعثمان بناء على وصية أبيه لى عند مفرو
للاشر الذى لم يرجع منه . فى هذه السنة جاء لرفاهه عمر أفندى الأمين نائب
مأمور وحضرته من الدفعة الأولى لهذه الوظيفة وهو متخرج من كلية عردون
الثانوية بمهه مدرس الانجليزى وعملأ قضى فيها زمنا كان من الثمانين وفى هذه
السنة قتل الشيخ محمد الطيب قاضيا لرفاعة من كوستى لما سمعت بنقله
حزنت جدا لأن عمه الشيخ عبد الله أتعبى مع حيدر أفندى رستم وهلد
المعلمين البدوى المبارك والمرضى كريم الدين بأنى نوت ضرورهم فأوجد بينى
وبينهم سوء الفهم . فلما سمعت بنقل الشيخ محمد الطيب قلت اذا كان
الشيخ عبد الله الذى أعرفه من صرص وكنا نجاراً بالدويم عاملنى بهذه المعاملة
وأضعف علاقتنا مع عائلة هاشمى فلذا ولد المفتى بقضى على البقية ولكن قد
زال حزنى حينما وصلنى خطابه المصحوب بكشف به أدواته المنزلية يخبرنى أنه
شحنها بالسكة الحديد باسمى وأمرنى بأن أقابلها بنفسى فى الحسناحيصا
وأصمها فى مكان خال بمنزلى وأنه يقسم لى بالله لو ضاع ولد المرحاكه يفرمنى
إياه فاطمأنت لحسن ظنه ورفع الكلفة لهذا الحد وفلا حفظتها فى غرفه وطوبقتها
عليها والكشف معها بخطه وسافرت الى أم درمان لأذهب ليوسف أخى بالدويم
فلما سمع بوجودى فى أم درمان وعرفنى انه سيقوم غدا بأولاده لرفاعة وكنت
أعلم أن بيت القاضى ساكن به نائب المأمور والشيخ محمد الطيب يحتاج
لنزل ولا يعرف أحدا برفاعة يقوم له بهذه المهمة عدلت عن مسفرى للدويم
ورجعت معه وأزلته بأحد مازلى وسلمته أدواته بالكشف وصار لى نعم
الصديق حتى توفاه الله رحمه أرجم الراحين يرحمته الواسعة التى وسعت
كل شئ .

من حوادث الأمور عوني اني طلبت مائة وستين قرشا لتصلح بئر المدرسة التي سقط من نصف دائرتها قدر متر ونصف فبنيت ما سقط وجلبت من أمور انحصارها بلاط أسمت على هيئة الطوب مما بنى به المراكز عملت به عمودين للبكرة فجاء عوني أفندي ووقف بالجهة المبنية جديدة ونظر مقابلته المكان الذي لم يسقط فاعتقد اننا لم نبن البئر وحدث أن الوصولات وسلته للحصم فنحن سرقنا ما جعلناه قيمة بناء فأخير المفتش بذلك فسألني فأكدت له بناء البئر فقام معي للمدرسة ونظر للبناء وكان الأمور معنا فلما رأى البناء قال هذا يستحق المبلغ الذي صرف عليه فقلت للمفتش مفتش الأشغال موجود بالمركز أظله بقدر البناء فلما جاء مفتش الأشغال قال انه يكلف أربع جيئات موحم عوني أفندي وسيأتي باقي حوادثه في سنة ١٩١٦ •

في هذه السنة تزوج ابراهيم بشرى بالسارة بنتي وبالسبة لا بذله والدم من لوازم الزواج المبالغ فيها نهت على أمها ألا تطالبهم بشيء قط في عوائد النساء لا للام ولا لغيرها وما يلزم سليبي مه فاني مستعد لدفعه لك ولما أراد يوسف السفر أخبرني بأنه دفع لحفصي خمسة عشر جنيتها نظير عوائد النساء على يد زوجته الرسالة ولم تحبرني بها فلما سألتها اعترفت وكانت تقول أن يوسف لا يحبرني فتناقشنا حتى حصل الطلاق الأخير بيننا دون غرضي وكتمت عنها لأجد رخصة في أي مذهب وسأهت لسنكات ولم أخبر سوى والدي مخافة أن أموت فترث ولما لم أجد رخصة فشررت خبره فكانت الثالثة • في هذه السنة روت الشيخ علي قاصف أبو سن من نظارة مدرسة المفارة متهما في حادثة زنا فلما أحبرني المسر سمعن بالسبب وان الشيخ قاصف جرى من أهل المرأة قلت له أصدق كل قولة ولكني لا يمكن أن أصدق انه يجري زنا حتى أقعته انه لا يجري وان الأمير صد كل ظفر يحفظ كرامته معهم ثم قلت له ان حكومة الانجليز سياستها أن تفتح البيوت المشهورة في السودان والشيخ علي جده لأبيه الشيخ العسار دلو أبو سن وجده لأمه الشيخ علي أبو سن ظفر الشكرية الى أن توفي فعليك الرسول تروء لوطيته فصحك وقال لي بعينه معك فقلت حيا وكرامة فعينه بكتاب رفاعة • في هذه السنة أحرمت كل مستخفي حكومة السودان الذي يسحقون علاوات من منحها لهم ولكنها عرضت لهم بعد انتهاء الحرب مع ضم ٣٠ / ١٩١٦ رواتبهم من علاوة الحرب التي كانت ٤٠ / وكنت منهم •

في هذه السنة سافر المستر لتش بالأجازة ولحسن معاملته للناس ومعاملته
لهم قام معه أعيان رفاة لوداعه للحصاحيا وحينما دخل القطار قلت له هذين
البيتين مكتوبين في ورقة بخط كبير فأخذهما مني وهما : -
يا ليتنى سافر بالأجازة هاتين وليسق في كنف الاله اياك
هذا مدى الأشباح ترجع عنده أما القلوب فانها متصاحبات
فلما رجعت من الأجازة قال لي بيتاك كانا لي أعظم شاهد عند أهلي بأنني
سائر في السودان سيرا حسنا . من مجاملته انه أول بريطاني دعى لولية فأجاب
دعوته أنا لزواج ابراهيم بدرى وأكل معنا يده وقال هذه أول مرة أكل بيدي
فلما رجعت من الأجازة أتى للعروس بصدية صنفوق به كل أدوات الخياطة
والتطريز والتتق .

سنة ١٩١٦ أنا وعوني في احتفال عيد جلالة ملك انجلترا جمعنا الأعيان
من كل قرى مركزى رفاة والمسلمية ومستطفي المركزين وكان عوني أفندى
ينتظر أن يكون صدر للجلس ولكننا وضعنا في مكانه الذي يأمل الجلوس فيه
قاصى الحصاحيا لأنه ضيف ديني فلما دخل عوني أفندى قال للشيخ حسن
أحمد أين كرسي جلوسى فقال له حضرتك صاحب المنزل وهؤلاء ضيوفك فلا
بأس أن تظل واقفا تستقبل ضيوفك فيرم ثنية الطول وتخرج من المدرسة
لنزله واعتبرها امانة قصد بها وديرتها له مع أنها من الصدف ولم يكن لي علم
بها الا بعد انتهاء الاحتفال فحقها كعادته فلما جاء وقت المولد وضعنا خيمة
المدرسة في مكانها الاعتيادى فطلب خفراء المركز ورمال خارج الميدان وسلم
مكانها لأحد مشايخ الطرق فقابلته وأخبرتني أن هذا مكان خيمة المدرسة منذ
ثمان سنوات لم يتغير فحضرتك ترجعها له فرفض وقال أنا رئيس المولد أنصرف
فيه كما أشاء فاضطرت الى أن أكلم المستر باردسلى رغم أن جنباه جاء من أول
هذه السنة فدخل الميدان وسأل من وجدتهم به من مشايخ الطرق فكلمهم شهدوا
بأن هذا مكان المدرسة فأمر الشيخ بأن يرجع لمكانه وأمرنا بنصب خيمتنا
مكانها فاستاء عوني أفندى وهجر المولد وبعد يومين التقيت به في خارج الميدان
بالقرب من منزلي ومعهم الخواجة سليم رزق السورى التاجر فسألني لماذا
أرجعت خيمتك قلت بأمر للفتش فأشار الى بعضاء وقال لي أنا والله أكبر
رأسك واقتلك وقرب منى فوقه رزق بيننا فقلت له أنت تضرني وأنا والله

لا أرفع يدي ولكني أؤكد لك أنك حينما تضرعني ترمي في مسكاتك واثق
لا تصل بيتك ولو جرت بكل قوتك قال لي من يعني قلت أنظر الى هؤلاء
التلاميذ والى ذلك الطوب فكل تلميذ يرميك بطوبة فقال أجيب البوليس قلت
لا يصلك البوليس وأنت صحيح فله سليم وقاده ومضينا فلما لقي عمر الأمين
قائب الأمور قال له أنا عاوز أضرب بابكر بدمي أجابه لا لا والله يا حضرة
للمأمور تصرب الشيخ بابكر ان جرت ما تصل بيتك ثم قابل الشيخ محمد
الطيب وقال له أنا سأضرب بابكر بدمي قال له كل شيء قوله يمكنك أن تفعله
الا هذا قال ولم قال والله حينما تضرع لا تصل الى بيتك ولو جرت قال هل
اجتمعتم معه افت وعمر الأمين قال والله لم أره منذ يومين قال الأمور هذا
عجيب وكيف اتفقتم في هذا الجواب قال له القاضى الحقيقة لا تخفى على أحد
فمن ذلك الحين تنازل عن ضربي وشرع يكيد لي في نواصي أخرى وصار
يقضى للشيخ عبد الله بعض وساطاته مما جعل الشيخ عبد الله كثير المكث معه في
مكتبه ففي يوم كنت ألعب في الكرة فوقعت على ركبتى فحصل لي منها ألم وفي
الحال يلقى أن عسى عبد الله أخذ شرية أصعبه فقلت للشيخ حسن أحمد نصله
من المدرسة ثم أتيت البيت لأعمل مكملة لرجلي وأتأم مبكرا فلما وصلنا
الشيخ عبد الله وجدنا معه عوني وغيره فجلست على كرسي ووضعت رجلي
المألومة على كرسي فنضب عوني واعتبرها إهانة له وقام من المجلس وخسرج
معه عوض الكريم فلما رجع منه عوض الكريم أخبر والده أن الأمور قال اني
ما جئت لبيتكم لأحقر فما كان من الشيخ عبد الله الذي اضجر وقال لي قم من
بيتي أمام الناس فقلت ما السبب فقال احقرت الأمور بوضع رجلك على كرسي
أمامه فقال الشيخ حسن أحمد ان عسى فلان وقع في الكرة ورجله مألومة والله
يعتبرك كوالده فادا أمد رجله أمامك فهل للأمور أن يرى نفسه أولى بالاحترام
منك فتجول حالا وقال الأمور ما غبي أكان ما غبي طالب الناس باحترامه في
رفاعة أكثر منى - حينما زار البرنس أوف ولفر السودان أبرق لكل المراكز
بالسودان تلغرافا دوريا يبلغ الرجعية تحيته ويستنفر من الزيادة شخصيا فاجتمع
الناس في الضجئية لسماع البرقية الكريمة ووضع الأمور كرسي جناب المفتش
في وسط المجتمعين ليجلس حضرته عليه فجلت متأخرا وجدت هذا الكرسي
خاليا فجلست عليه دون قصد فلما حضر الأمور وجدني جالسا عليه تأكد أن لو

أمرني بالقيام منه ليجلس هو عليه لا يمكن أن أقوم أمام الجالسين الناظرين لي فأحضر وجهه ومضى للقاضي محمد معصود الأزهرى الرجل التقى طلب منه أن يطلبني عنده لأخلى الكرسي ويجلس حضرت عليه وقال له هلكنى ابن الكلب فرفض القاضي طلبه فظل واقفا حتى قرئ التلغراف وكب رده وأمضى وقع عليه من جميع الجالسين وكب رد آخر ليرسل للنسخ يرسم البرنس أوف ويلز قصد المأمور أن يرسل هذا التلغراف يرسمه فكتبت أول المترصين ورأيت أن يرسل بتوقيع الشيخ عبد الله أبو من فلما عارضنى قلت له الشيخ عبد الله أبو من صديق السرदार آیا آفت فلا يمكن أن يصرف عنك إلا اسمك في كتف الضباط ثم ضم القاضي وركز غيره أصواتهم لى وفعل أرسل بتوقيع الشيخ عبد الله وانى والله لا أقصد الا وضع الأمر في موضعه ولكنه غضب حصره وبعد أيام دخل مكتب نائب المأمور فوجدني معه فطلب سعيد النصية شيخ الفخر وأمره أن يعزنى ويخرجنى من المكتب فقال له سعيد لا يمكن هذا موقف كبير ومحترم بالبلد فلا يمكننى أن أجزم قلت لعزنى أفندى اسمكنى حضرتك وأنا أتبعك كأمرك ولويت في خيلدى انه اذا طامأ لميسكنى أملا يلى من شبه الطويل وأنزعه من مكاته وأتظر ما يترتب على ذلك من الجزء ولكنه خرج وتركى فشكلانى لعزى عبد الله الذى جلس مع القاضي بالحكمة وطلبنى فقال لى « ها ود بلى الحكومة تجلسك على كرمى المأمور كلما جا مأمور آفت تخاصمه وتقاتمه » وكان كلامه بغضب فقلت له آفت والدنى اذا قلت لى صالح المأمور أنا لا أستطيع أخالفك فأصالحه فقال لى « لا لا تصالحه » بصوت منخفض وإشارة باليد فضحك القاضي وقال للشيخ عبد الله مكرا عليه : ما المناسبة بين قولك أولا وجوابك هذا ؟ فقال الشيخ عبد الله أحسن بخاصمه لأنه كلما عصر عليه يلحن لنا أنظر يا قارئ الى هذا النحاء العظيم • زرت الشيخ عبد الله مرة ليلافوجدت معه مالك والخضر اميد وعبد الله ومتصور ولدى محمد منصور يدعوهم للتخلف من ضرر المأمور بسائلته والدعاية له والاحياد الأعزى فقلت له يا عزى عبد الله هؤلاء من أخص أولادك ومن أغناهم ومثل هذا الكلام منك يفت في عضد كرامتهم فما هى قبية ضرر المأمور لهم حتى يتقادوا له ببثل هذا الخضوع المشين قال لى يصرم فى العشور قلت لا يظلمهم بأكر من ثلاثين أردبا فى التقدير عشورها

ثلاثة أرباب والأردب جنيه ولحد فصاح الخضر الرجل الكريم المتلاف ينفق
الثلث جيهاب في ليلة لضيوفه يخضع سنة تقاديا من دفعها قسبلك لى عسى
عبد الله انت دائما تنقص من هية المأمير انا يخبر المدير قلت لقت خبره وأنا
أخبره بما رأيته في هذا المجلس لما انصرف الجماعة قال لى لا تكلم المدير وأنا
لا أكلمه وانصرفت ولكنه خبر سحادة المدير بعلامة اتى سافرت مرة لمسدنى في
عرض ولما كان المدير يزورنا كثيرا في المدرسة وبيننا مناقشة في علم الفلك لأنه
يعرف الكثير فيه عزمنا أن أزوره في مكتبه ولكنى أجهل غرفته وطريقها فلما
صعدت السلم رأيت بابين متقابلين فلستهما طريقا فلما توسلت العرفة نهض
المدير واقفا وقال بصوت عال يدل على الغضب قال لى « دا مش طريق » قلت
بهذه ادا كان ليس طريقا لماذا فتحتم البابين وخرجت من الباب غير الذى دخلت
به وكتبت له ورقة طلبت مقابله فطلبى فدخلت عليه وجدت محمد أفندى
حلى الأمور لا يزال واقفا امامه كما كان عند مرورى فاجلسنى على كرسي
وقال لى : شعرت بأنى غاضب عليك قلت لم أشعر قال حينما قلت لك هذا
ليس طريق قلت ولماذا تنقص على قال لأنك تحقر الأمور قلت الأمور الموجودة
لا احترمها ولا أحقره قال بينهما درجة قلت : مع ان الحكومة حصلت له
واجبات على الناس فمن زاده عليها فقد أحترمه قال ولماذا لا تحترمه قلت : لأنى
لا أشعر له بواجبة من أسباب الاحترام لأنى لا أحبه ولست آملا فيه ولا خائفا
منه قال ولماذا لا تخطف منه قلت لأن الحكومة سلبت تفوضه فغضب (أو تغاضب
لوجود حلى الأمور) وقال الحكومة سلبت تفوضه ؟ قلت : نعم هل يستطيع أن
يشترى لجام بقل أو يبيع خفيرا ويرفت خفيرا بدون ادن المفتش فسكت قليلا
ثم قال لى ألك حاجة قلت فقط فصلت زيارتك قال : العصر تجي فتشرب معى
الشاي قلت حاضر وأتشرف ولما كان محمد أفندى حلى حسن صديقنا أنا
ويوسف أخى انتظرتة في مكتبه حتى جاءنى وبعد التحية قال لى اليوم مثلت لى
شجاعة السودانى أحسن تشيل لو كنت مكافك والمدير وقف وخطبني كما
خطبك مهما تنسجت أرجع مسرعا ولكنك رددت عليه بلا مبالاة ثم أنك
خدمتنا خدمة طيلة بقولك له الحكومة سلبت تفوذ الأمور ثم دعانى أفندى
معه فلما حضر الأكل قال لى أتهز هذه الفرضة باقرادة وأسألك لماذا يكره
السودانيون المصريين قلت : كل محكوم يكره حاكمه أستم تكرهون الانجليز

في بلدكم ولكني أنا الذي أسألك لماذا يكره المصري السودانية قال لي لا يكرهونهم ولكنهم يحترقونهم فقط قتلت وهل هناك مسوغ لهذا الاحتقار ؟ قال لماذا ؟ قلت لا يجوز للمحتر أن يحترق قال لي المصري محترقت رأيت أحمد باشا التينى وهو لواء وافق تعظيما لبكباشى انجليزى فى المحطة العمومية فأمسك من الأكل وأمسكت فقال لي كل قتلت وأنت كل قتلت : لا تس لي . قلت وأنا أيضا فرفع الطعام وبعد شربنا القهوة خرج مودعا لي بعد أن قال لي يا أخى أنا كما تعلم لي أصدقاء كثير في السودان وأرجوك أن تكلم عنى هذه المصادفة ونعتبرها مسقة عاقل وخصوصا « يحترقونهم » قلت لك على ألا أذكر اسمك بما حدث في السودان ويجب على أن أحكيها لكل من يفهم قيمتها منسوبة لمصري جليل وفارقت ولكن اليوم في هذا التاريخ بعد سبع وعشرين سنة لا تضره شئ . زرت سعادة المدير وبعد شربنا الشاي سألتني عن الأمور وسيره في البلد قتلت والله يا سعادة المدير انه رجل ثريه في يده وفرجه ولكنه فاسق في لسانه وإن له قسما هو صاحبها غير قادر عليها وضيورها عليه أكثر من ضررها على غيره وسبب النزاع انه واضع نفسه في مركز أكبر من وظيفته وأراد أن يكره الناس على الاعتراف له بهذا المركز مكانة ومعاملة في المكتب والخارج فما استطاع الناس وخصوصا من يرى لنفسه كرامة أن يقوموا له بهذا الواجب ولم يمكنه أن يتناول عنه فاستمر النزاع ففكرني لتصيحني وأعطاني كتابا هدية من مكتبته الحافلة بأنواع الكتب وفيها رأيت كتابا باللغة الجشمية مكتوبا في غورق من جلد غزال مديونا أيضا صلبا وودعته وعلمت أن هذا من أثر كلام والدنا الشيخ عبد الله رحمه الله ولما وصلت رفاعة وعرضت نتيجة مقابلاتي للمدير وهديته لي أعطت عقيدة للأمور في الشيخ عبد الله وأصابه طلع من كثرة تواجده معه بمكتبته فغضب المفتش انه غير قادر على شطه بالمكتب لمواظبة الشيخ عبد الله الذي يسبقه على المكتب ويقى معه كل ساعات المكتب ويتداخله في كل قضية وإدارة فكذب المفتش الستر باردسلى للشيخ عبد الله كتابا شديد الهيبة يقول له فيه أكون متمسبا لو اضطمت من زيارتك لمكتب للأمور التي بالنت فيها فأقطع الشيخ عبد الله من المكتب واقطع عوني من بيت الشيخ عبد الله في يوم با كتب لي عوني في موضوع بالبحر ناظر كتاب رفاعة فورسلياني هذا الكتاب بمسربة التفت ولم يكن عنى حبر ولا ورقة

فكتبت له على ورقته بقلم رصاص مأمور رقاعة فلما وصلته الرد على نص الورقة كتب بقلمه في الأول حضرة وفي الآخر المعترم وعرض الكتابين على المفتش الذي طلبني وقال لي لماذا تكتب للأمور بما لا يليق مع انه كتب لك بما يليق قلت اطلبه أمامك وليختلف بشرفه في المصحف لئذ كلمتي « حضرة » أولا وكلمة « المعترم » آخرًا كاتتا مكتوبتين من الأول فحضر ونكل عن اليمين ولكنه طلب التحقيق رسميا فرفضت أن أقف معه أمام المفتش الذي كتب لمدير المعارف والمدير النيل الأزرق فحضر المستر بودال لرقاعة وطلب مني أن أقف أمام المفتش في القضية فرفضت وقلت أنا أقبل أبلغ جزاء منك أو من المستر باردسلي وأرفض بتاتا أن أقف في هذه القضية قال لي ولماذا تخاف من الوقوف مع الأمور فإن المفتش لا يظلمك قلت لست خائفا من الظلم ولكنني خجل من أن أخرج من المدرسة للقضية التي تدل على هضم في (الخلق) خلقى وارجع للمدرسة من المحكمة والمعلمون والتلاميذ يعرفون هذا النقص في أخلاقي فكيف أدمو أحدا منهم الى حسن الاخلاق وأنكر على من يفلط خلقيا منهم بعد ذلك وعلى كل حال سعادتك وكيل المعارف فشكروا معكمة أنت والمستر باردسلي وافترضوا اني عطلان ووقعوا حكمهم وأعلناني به وأقنعه ولما عرف غرضي واقنني ومشيت معه للحصاحيصا كأمره فلقى المستر جكسن نائب المدير فقص عليه القصة فقال المستر جكسن حينما يرجع سعادة المستر بكى من السوق أنا أخبره وسنعمل فيها عملا يوافق الشيخ بأبكر فلما وصلا مدني جاء خبر للمستر باردسلي أن يضع لي أسئلة بمنزلي وأجيب عليها حتى استوفت وأجوبتي أرسلها لمساعدة مدير النيل الأزرق الذي حفظها .

في النصف الأخير من هذه السنة قل عوني أفندي لستجة فجاءني صديقي الشيخ محمد الطيب القاضي وطلب مني أن أكتب لاحتفال بمسبل لعوني بمناسبة قلته فقلت له يا شيخ محمد أنت صديقي ويمز على أن تطلب مني طلبا لا أوافقك عليه فيه أن الانجليز وسكان رقاعة يعلمون ما بيننا من الحصام وأمس كانت لنا قضية فلما يروني في احتفاله أكل وأكتب يستصنون من ذلك اعذرني فتركتني ولكنه ملط على عني الشيخ عبد الله دخلت للمحكمة يوما وجلت عني الشيخ عبد الله مع القاضي فقال لي عني الشيخ ها ود بلري سلمني خمسين قرشا لاحتفال عوني ما وسعني الا دفعها قال للشيخ حسن

أحمد أذبح ثلاثين قرشا فدفعها وخرجنا استعملت فكرى في أن أسافر ثلاثا
أحضر يوم الاحتمال الذى سيعمل لمونى عند سفره الذى يكرهنى عمى عبد
الله للتواجد بهنك ولكن أعمالى الرسمية لا تسمح لى بالنسياب عن رفاة
استعملت فكرى في أن أسعى للنمو الاحتمال فذهبت للمستر باردملى للدرس
وبعد الدرس قلت له هل بلغك الاحتمال الذى سيعمل لمونى عند سفره قال
وأنت معهم قلت نعم ولكنى مكره قال من أكرهك قلت عمى عبد الله وهو
رئيس الاحتمال فصحك ثم لما أصبحنا قلت لعمى عبد الله أنت رئيس الاحتمال
هل في نيتك أن تدعو المفتش أو لا تدعوه قال سأدعوه بلا شك قلت هو لا يمكن
أن يأتي لاحتمال لا علم له به فالأحسن أن تمشى له الآن وتجبره به فإذا لم
يوافق عليه ترك الاحتمال قام فى الحال ودخل على المفتش وأخبره فقال له
يا شيخ عبد الله أنت ترأس احتفال لمونى أفندى الذى هو السبب فى الكتاب
الذى أرسلته لك بالاقطاع عن مكتبه قال هو المصيب قال نعم فرفض الشيخ
عبد الله عمله وجاءنى فى المدرسة وقال لى كيف فعل فى النقود التى جئناها
للإحتفال قلت قدود الناس الغريباء ردها لهم وهودنا نحن تصرف فيها كما شئت
فسكرنى وبطل الاحتمال وبعد أيام كتب المستر باردملى كتابا لمونى أفندى
حدد له يوما يتمشى معه فأخذ عونى يمرض كتاب باردملى على الناس ويقول
هذا خير من احتفالهم لأنه شهادة برضاء المفتش عنى قبل اليوم المحدد وبعد
الدرس قلت للمفتش ان جماعة لجنة احتفال عونى آخذون عليك وقال لاى
سبب قلت لأنك منعهم الاحتمال وأنت دعوتهم للعشاء وحضرته ينشر كتابك بين
الناس ويقول عشاء المفتش أحسن من احتفالنا ففى الحال كتب ورقة قال فيها
وصلتى أخبار تمنى من الاجتماع بأصدقائى ولذلك آسف على لنمو دعوتى
لك بالعشاء واستودعك مسافر ولم يصعبه أحد عدا حضر ومحمد أفندى
الضوء . فى أول هذه السنة قل المستر ليتش بعد ثلاث سنوات وكرم قضاها
برفاة كان فيها مثال المدل والشقة قولا وضلا .

متابعنا مع المفتش

خلقه المستر باردملى فى يوم ١٧ يناير من كل سنة تعمل بكتاب رفاة
الاعاب لميد مرور جلالة الملك جورجى الخامس بالسودان حيث يجتمع أعيان

مركز رفاة والمسندية وتلاميذ كل المدارس الأولية هما يرفاعة وفي ١٧/١/١٩١٦ لم توجد ملونات للزينة دخل جناب المستر باردسلى وجسدى مشعولا بصبح شاش أبيض بألوان الزينة ويداي مشعولتان ووسختان فلم أصفاه ولم أدع التلاميذ للطاير لتيحتة قرأى هذا دنبا ودخل مكتب الباشر ودعاني للشول بين يديه فلما دخلت عليه قلت السلام عليكم لم يرد على بل عيس وقال لى أين سلام المفتش فخطبته بأسلوب الحكيم قائلا أنا قلت السلام عليكم وهي أحسن تعية اسلامية فتهرنى قائلا تبارك سعيد فقلت لا أعرف تبارك سعيد فقال ما رأيته داخلنا قلت يا جناب المفتش أنا مشغول اليوم بعيد جلالة الملك هل تترك ما نحن فيه لغيره فسكت وانصرفت وبمسد اتصمى للصبح مشيت لميدان الألعاب لتمرين التلاميذ فوضعت موانع المدرسة التى متخذة من شجر السمر يترن عليها التلاميذ وفى يوم الاحتيال يلعبون على الموانع الجميلة التى تكرم جنابه وطلبها من كلية غردون فلما وجسدى وضعت موانع السمر بغير دقة قال لى كل سودائى لا يعرف الزاوية القائمة قلت صحيحا أكثرهم لا يعرفونها ولكنى يا جناب المفتش أعرفها من طرقها الثلاثة ولكن هذا الوضع معرض كثيرا للسقوط الذى رآه كثير الحصول وجنابه لا يضحك منه ثم اتقلنا الى تمرين الجرى واتقنا على أن يجرى الأولاد خمسا خمسا فأخذه من كل دفعة ثلاث ثلاث ثم تصفيهم فتأخذ السابقين منهم فتنت عملية الخماس وانتهى اليوم فلما أصبحنا للتصعية وهو يوم الزينة نفسه فجاء جنابه فى الضحى وقال الأولاد يجررون رباعى فقلت رباعى فعبس لى وقال نعم أنا ما قلت ثلاثى ولا خماسى فرميت الشرط الذى كنت ماسكا رأسه وجنابه ماسكا رأسه فأسرع الشيخ حسن أحمد ورفعه وأمسكه وابتعت عنهم وكان كشف الألعاب بيد جنابه فلما وصل الى لعبة (لا أذكرها) واحتاج فيها لرأى ندهنى باسمى المجرد فلم يؤلمنى وسألتى عن اللعبة فاتهزت القرصه وقلت له يا جناب المفتش انك لم تعفر ألعاب رفاة قبل الآن ولا يمكن للولد أن يتقل فى بضع ساعة عما تمرن عليه أياما فالأحسن أن تجلس مع الجالسين وتركنا هذا اليوم نتقد ما تمرنا عليه وتحصى غلطائنا فى مفكرتك لتصلحها فى العام المقبل فعمل بهذا وتركنا فلما جاء وقت العصر واجتمع المععودون لم أباشرهم كالعادة حتى جاء جنابه بالميدان فجلست بين الشريف بركات وقاضى شرعى

الحاصيصا وكنت عينت كل لعبة وما يلزمها لها المعلم فلما جاء دور لعبة رمي
 الرصاص الذي رزن أثنين من مركز دائرة أمر جنابه بأن يرش على محيطها
 الجير أولا ثم على كل جزء طمس طول اللعب وكان الشيخ عبد اللطيف قد نسي
 احضار الجير وكانت هذه اللعبة التي أحفظها وأراد أن يتدنى هو بالرمي أولا
 ولم يجد الجير غضب وجاءني بين الناس وقال لي يا بابكر هذا شغل زى الوقت
 فلم أبتس بهذه العبارة الجارحة أمام الناس وقمت بهدوء معه حتى وصلنا
 مركز اللعبة الذي عينه جنابه لها قلت ماذا حصل قال أين الجير قلت على الفور
 كل رعاة لم يوجد فيها جير لا عند الدباغين ولا عند مبيضي البيوت فقال
 يا فلان اجلس أمام المحيط وكلما وطئه رجل أحد اللاعبين وطمس الخط وضعه
 يمينك ثم قلت له المب يا جناب المفتش فدخل المحيط ووضع رجله في المركز
 ورجله الثانية على خط المحيط ورمى الرصاصة وفي الحال أصلح التلاميذ
 ما محي من الخط المحيط وبذلك استمر اللعب وكان بين اللاعبين عبيد الله
 شوقي الأمد فاطر كتاب الهلالية فكاف رميته أبعد من رمية المفتش فغضب
 جنابه وانتهى اليوم على خير والحمد لله زار جنابه للمدرسة يوما فوجدني
 أدرسهم الجغرافيا السياسية فسمعتي أقول لهم أن الحكومة عاقلة ومن عقلها
 رفعت الانجليزية وأمرته أن يساوى بين الرعية ومن عقلها جعلت المال على المال
 ومن عقلها لا تؤخذ أحدا بجرمة غيره مهما كانت علاقته به الخ . فظهر على
 وجهه الغضب ولكنه لم يتكلم في الفصل فلما خرجنا طلبني بمنزله وقال لي
 انت تقول للتلاميذ الحكومة عاقلة وكررها لي منتقدا فقلت نعم فقال لماذا
 لا تقول لهم الحكومة عادلة قلت لكنها ليست عادلة فغضب وقال مثل حكومة
 الدراويش فقلت له انت الذي ذممتها بمقارنتك لها على حكومة الدراويش
 ثم قلت لجنابه تريدونها تكون عادلة لنا أو لكم قال لكم قلت نعم عقلها خير لنا من
 عدلها قال ولم قلت لأن العقل يستمر ويستمر ولكن العدل بالحق يقضى بأن
 تكون الرواتب في كل الحكومة ولحقة قال وأهل المسؤولية الكبرى قلت
 يكفيهم التسرع بالنموذ يأمرؤن فتتخذ أوامرهم قال وهل سبق مثل ذلك قلت نعم
 في زمن سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا عمر بن عبد العزيز ولم يستمر كاصله
 بينهما ولا بعدهما قال كيف كان عمل سيدنا (بهذه اللفظة) عمر بن الخطاب
 قلت له كان مرتبه مرتب الجندي وكل المرتبات مساوية لمرتبه وفي يوم من الأيام

حاتمته ابنته السليمة حفصة إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وقالت له
 أمير المؤمنين سيوفك ووظيفتك يقضيان عليك أن تريد مرتبك فقال لها جاءك
 العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب (وذكرت ثالثاً أنا نسيت اسمه)
 فقالوا لك كلمي أمير المؤمنين بما قلت لي قالت نعم فضحك وقال لها هم يريدون
 أن أزيد مرتبي فأريد مرتباتهم فخيرهم أنه ما دام عمر حياً يستوى الأمير
 والعبد في المرتب قال وماذا كان يصع عمر بن العزيز قلت أول ما أسندت
 إليه الخلافة كانت زوجته فاطمة بنت عبد الملك ابنة عمه فقال لها إن ما عندك
 من الحلوى والجواهر هو للمسلمين أما أن تجردني منه ليست المال وأما أن أطلقك
 فلا يكون بيني وبينك من العلاقة إلا بقدر ما بيني وبين المسلمين بطلاقا تجردت
 من كل ما تملكه لبيت المال ثم إن له بمنزله سرلين ومكتبه سرلين لذا أراد
 عملاً لبيت المال أضاء مصباح بيت المال وإذا عمل لبيت أضاء مصباح بيته ثم
 إذا وضع بين يديه أو مر عليه بما له راحة طيبة من الثنائيم سد آفته لئلا يشتم
 رائحته فقيل يا أمير المؤمنين إن رائحته لا تنقصه . قال ولكني أمتع بها ،
 قال جنابه . لما سمع هذا قال هذا زهد عظيم . قلت لا إن الزهد في الأول يشمل
 في أب زوجته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب طلبت من زوجها عمر بن الخطاب
 أن يشتري لها حلواً تأكله بعد الغداء لأنها اشتتهه فقال لها هل كل نساء
 المسلمين يأكلن حلواً بعد الغداء فسكت ، وبعد أيام جاءت بعد الغداء بحلو
 فقال لها من أين لك هذا . فقالت اقتصدت من وظيفتنا اليومية ما اشتريته به
 فقال كم اقتصدت في اليوم ؟ قالت كذا . فأمر في الحال بتخفيض ما اقتصدته
 من مرتبها اليومية لبيت مال المسلمين . هذا هو الزهد لأنه تنازل ما يصل لها
 زجراً لشهوتها وهو معها . ففجأ جنابه مما سمع وأخبرها قلت له لو كنت
 جنابك من الحكومة أن تساويني في كل شيء ما سأخ لك أن تساوى بين الشيخ
 عبد الله عوض الكريم وهو فاطر الشكرية وبين المرأة قبورة وهي أضعف إنسان
 في رفاة ، قال ولم قلت كنت تصص بألم المسلوقة فتميل مع الشيخ عبد الله
 لتمييزه بحسب مسؤوليته .

في سنة ١٩١٧ جاءني جنابه مرة بمنزلي ليلاً وأخبرني أن جيش الحلفاء
 أنحنى كثيراً أمام جيش الألمان حتى كاد أن يصل بحر المانش قلت اقتصدت عن
 بعضه . قال لا . قلت هذا جميل جداً قال وكيف ذلك . قلت القاعدة الهندسية

الخط كلما انضى طال وما دام ان الجيش لم ينفصل فلا شك أنه قد جاءته زيادة سدت فراغ الافضاء ، وبعد أيام جاءني وأخبرني أن جيشا أمريكيا انضم الى جيش الحلفاء بأوروبا وكان يخبرني بكل أخبار العرب لما تأكد من إخلاصى واندفاعى روحيا في محبة نصرة الحلفاء حتى ظهر كتاب (هناك) الذى كان العرض منه العناية فلما تناولنى نسخة منه قلت يسأله أمام الجميع أين طبع هذا فتناوله مسمى مضيا ولم يردده لى . قلت اشتد على الناس وصار يضربهم ، فقلت له يوما لنى أخاف أن أراك تضرب أحدا ، فقال لى أنا لا أضرب مثلك . فقلت لى لك تضرب مثلى وترك ضرب السنهاء . قال ولم . قلت أخاف أن تضرب أحدهم فيضربك فتعتبر الحكومة بلدا لا يعرف قيمة الانجليز فتؤدب البلد تأديبا يضرب بمصلحتنا وسعنا . فقال سأترك الضرب . ولكنه جاءني يوما بعصاه في المدرسة فأمرت الفراش أن يسلك الحصان . فأخبرني انه اليوم قد ضرب صباح الخير شيخ المدينة فلم يتحرك من أمامه ولما كثر عليه الضرب نظرتي نظرة أذكرتني نصيحتك لى فتركته وجئتك لأخبرك انى أقمت على الانجيل لا أضرب أحدا وإذا ضربته أدفع خمس جنيهات للصليب الأحمر . ومن ذلك الوقت لم يضرب أحدا برقعة ولكنه استمر يأمر بالتزول كل من يمر عليه راكبا . ففى مرة لقي محمد عبد المجيد آتيا من الزرع وهو صائم مارا بالسوق . فقال جنابه لمحمد أزل فقال له محمد يا أخى بلاش دوشة أنت شبعان ريان مستريح وأمرنى وأنا صائم متعب بالتزول فضحك المقتش وتركه مع انه قابل أحمد باره وعمره فوق الثمانين في مكان لا أحد به غيرها فأمره بالتزول فقال له أحمد باره أريد أن أزل لك وتزول أنت فتركبني أم تريد أن أقطع كل هذه المسافة ماشيا على قدمي فضحك المقتش وقال له اذا تيمنتى بعد ذلك فأرفع عكازك على كتفك وقل أنا أحمد باره فقال حاضر واغترقا هو قاصدا الصحاحيا فلقى في الطريق الشيخ الصديق الأزهرى فلما لم ينزل له أرجحه لرقعة ماشيا قائلا حمباريه مع انه كان يعرفه شخصيا ، وجاءني في المدرسة وقال لى من الذين لا يجب عليهم التزول المقتش فملحت له كبار الناس وعدت له من ضمنهم أمام الجامع فقال لى هذا صغير منه ، قلت ولكن كبيرة منزله فلو رأته جنابك يوم الجمعة على منبره يوبخ البالمين بارتكاب المعاصي ويأمرهم بتركها وفيهم الشيخ يوسف

نعمه العالم والشيخ أحمد تور ياسين المعتقد والشيخ عبد الله أبو من لمرقت منرثته وسموها ، فأخبرني أنه جاء به من قريب مشرع الصحاحيصا ماشيا على رجليه فكيف يترصاه ، قلت أعلمه هدية هود وبما أنك عضو في لجنة الجامع أقترح على اللجنة تعطيه علاوة فضل ذلك . -

خرج جنابه مرة يفتش على لجان العشور فوجد لجنة العمدة محمد فنجري جالسين يقتسمون هود الرشاوى التي أخذوها من الحلال : فلم يشعروا الا والمفتش خرج عليهم راكباً جملة فما وسعهم الا أن يتفرقوا ويتركوا الهود في مكانها فاستلمها وأحضر العمدة وجماعته فوضعهم في السجن (وكان سألني قبل ذلك عن الناس الذين أكلوا هود الجراد كما سيأتي بيانها فقلت ليس هذا من شغلي) . - ولا كنت أعلم ان العمدة محمد فنجري ترصاه ولكنه غفله جئت لجنابه فقلت له العمدة محمد فنجري مظلوم في سجنه فقال لي هذا ليس شغلك . قلت نعم ، ولكن بصيحة أحملها لجنابك عنه وأنت صاحب الأمر فيه بعد سماعها قال ماهي قلت محمد فنجري هذا كان عنيا جدا قبل أن يكون عمدة ، عنده النعم والبق والجبال والحمر والحيل كلما يأتي سوق رعاة من التراجمة (اسم حلتة) يأتي راكباً راملة غير التي يركبها السوق الماضي والآن صار يأتي السوق ولجلا العمودية هي التي أقرته في ضسايافها للرؤساء وسداد ما قصر من مالها بينما غيره صاروا أغنياء بعد فقرهم حين تمبدوا ولكنه أوى وغفله . فقال لي ما رأيك فيه قلت تمزله من العمودية ونظلمه من السجن فطلبه في الحال وأخبره بقولى وعزله من العمودية .

كرر الجراد وخصوصا العتاب بمرکز رعاة فقررت الحكومة مبلغا وزعته على العمدة لمقاومته ومن ضمنهم الشيخ ابراهيم عبد الله عمدة رعاة وكان الباشكاتب وقتئذ قبضى اسمه وكان في المهديه يدعى عمر فاتهمه المفتش كما بلغه انه أكل الكثير من مال الجراد وطلب من العمدة الاعتراف بأنه اشترك معه في سرقة هود الجراد فرفض العمدة رغم تطمين المفتش له بأنه لا يعاقبه ورغم انه وسط اليه الشيخ عبد الله عمه ووالد زوجته فرفض فطلبني المفتش وسألني المفتش عن من أكل مال الجراد فقلت له ليس هذا شغلي قال شغل من ؟ قلت شغل عوض الكرم وكيل ناظر الشكرية فغضب وقال لي انت شغلك ايه فقلت شغلي تسألني عن التلامنة ومعلوماتهم

وصحتهم وحضورهم وتهدئتهم أما لو اشتغلت بالأخبار لجنايتك يعتبرنى ولاية
أمورهم جاسوسا عليهم فتضيق عقيدتهم في وتسقط قيمة المدرسة في نظرهم .
فمسكت جنابه وتركنى بعدها من أى سؤال من هذا النوع . حضر عبد الحميد
أفندى عبد الله بك حمزه مساحا لرعاية المدينة كسوية لمنازلها ووضع أوقادا
لبعض البجيران قدام أحدهما ووضع الوددين اللذين بينهما وأدخلهما فى أرض
جاره فأخذ مها جانبا وسع له داره فاشتكى المعبون للمفتش فأحضر عبد الحميد
وقال له وضع الحدود بينهما كالخريطة فظهر الغلط فنضب المفتش وأراد أن
يسجن الرجل ولكنه أنكر تحويل الوددين فلما رأى عبد الحميد الخطر تحمل
المسئولية قال للمفتش الغلط منى وخلص الرجل من سجن مصمون . هذا
عبد الحميد الذى يمدى غيره بنفسه ، هكذا تكون النفوس العالية . أخذنى
جباب المستر بارسللى يوما معه للحصايعيا ليرسم عرف مدرسة الحصايعيا
الأولية فجعل سمة الفرقة عشرة أمتار فى ثمانية أمتار فقلت لجنابه هذه مساحة
يصب سقمها وثباتها للأمطار لسمتها لأنها تبنى من الجالوص وكان معنا
اسماعيل أفندى مراد مأمور الحصايعيا ماسكا الشاكوش ليُدفع الأوتاد
فالتفت لى جنابه وقال لى الأولاد يرحلون فى المستقبل . فقلت هذه تسع
ستين ولدا على الأقل والمعلم لا يعلم أكثر من أربعين تلميذ فنعصا من كل طول
متر فقلت لم تزل كبيرة ووقف المأمور من حق الود فقال له المفتش اضرب
(يلحن أبوك) فما كان من المأمور إلا انه أخذ يضرب بشدة فبنيت تسع طولا
فى سبع عرضا وفى مستها سقطت وغيرت بالمدرسة الجديدة .

سافر جنابه مع الشيخ عروى الكريم أبى من لشترى جمال للجيش
ومكثا فيها مدة طويلة ولما رجعا جثه بشوق لأسلم عليه فقبض بكل أصابعه
ومد الى أصبعه الخضر (الصغير) فقط وهو ملتفت عنى لجماعة آخرين كما
حصل لى مرة من مختار فانكششت يدى وقطعت سرورى به وأليت على نفسى
ألا أبسط يدى لمصافحته حتى يسقط يده أولا وذلك لما تمسودته من آداب
المفتشين قبله وغيرهم من البرطانيين واستمرت على هذه الحالة حتى رأيته
يوما آتيا من المكتب ووراءه الولد حيلوانى يعمل شنطة الأوراق لجنابه وكنت
راكبا حمارا واقفا مظلتى وكنت ملتفتا الى الوراء ولو استمرت لمررت أمامه
وكان المكان قاطع شوارع فلما رأتى ملتفتا لا أراه نهض وقال يا حيلوانى

امسك الحمار للاستاذ فاضطرت للنزول وبسط لى يده فصاقتة ثم انه خلع البرنيطة من رأسه وقال لى الشمس غير حارة يريدنى أضمر شمسيتى فقلت لحبايه انت شاب وأنا شائب • وقف معى قليلا وبأرحنى فمن ذلك اليوم صار حنابه كلما لقينى يسبط لى يده وبعد أيام زار رفاة المستر يودال وزاره بمكتبه فخرج المستر باردسلى ليودع المستر يودال فلما مد له يده ليصافحه رأيت المستر باردسلى قد مد ليودال اصبعه الخنصر فقط فصاقتة به واقتربا ولم يتأثر المستر يودال • فعلمت انه لا يقصد الامستخفاف بى • كان حنابه مفتشا للحصاحيصا ورقفاة • فى بعض توابعه بالحصاحيصا جاءه خصمان من العلويين وكان معهما من أهلها من دخل معهما المكتب كمادة الأهالى يصحبون الخصمين من باب المجاملة فلما أمرهم بالخروج خرج البعض وبقي البعض ولم يخرج ورأى أن هذا استخفافا به وأن فى استخفاف حنابه استخفاف سلطة الحكومة فشا عن ذلك أن طلب من الحكومة حملة تأديب جاءت فعلا وجاست خلال العلويين ورجعت الخرطوم • وحنابه هو الذى ابتدا تنفيذ توزيع أطيان الشيخ عبد الله أبى سن على مزارعيه فيها •

طلب الشيخ عبد الله أبو سن من سعادة المستر أيلس المدير بقاها يده حتى يموت ثم تعمل الحكومة فيها ما تشاء • فى حكاية طويلة جاء الشيخ عبد الله الى المستر باردسلى مفتش المركز لما بلغه انه يريد توزيع سنيه بالحديه وقال له « انت أبا ردىلى ده ما دام حيت عينك فى طينى كلامك ما بسمعه وأشكيك للمدير ان وافقك كلامه ما بسمعه وأشكيه للسردار وان وافقكم حتى هو كلامه ما بسمعه وان بع فن طتى بصل الى لندن وأشكيك فى المجلس ا نوافقكم بمرف الظلم بادى ورنويرجج وألبسيها (أى الذى سأعلمه) بسيا »

فشكا المستر باردسلى الى مدير المديرية المستر أيلس فحضر سعادته لرفاعة حكى للشيخ عبد الله ماحدث بين المفتش والشيخ فقال الشيخ عبد الله لسعادة المدير (عمى عبد الله ما بقول كنهه وان قال يعمل • لمت آمستر أيلس عمى عبد الله ان شكنا للسردار بتصل المفتش قبال ما تدعكك ات • عمى عبد الله عميره قدير شته خلوه يموت وبعدين الدارين سوها)

وبقيت في حوزته حتى نفذ ذلك لما صار في حيازة ابنه ابراهيم بواسطة
المستر هكسويرث . في هذه السيرة عينا التلميذات زنب الأسطى سليمان
معلمة وتقيسة المدني وعائشة بدرى وزنب مالك والدتها التميم عبد الرحمن
كراقبه على البنات لموت المعلمة رهرة القباني .

انشاء الخلاوى النظامية

زارنى مسعادة المستر كروفوت في فبراير هذه السنة فاقترحت على
سعادته عمل خلوات للبادية لتعليم اولادهم بواسطة قضاةهم ان وجعلوا أو
بأمثالهم من قضاة السودان الذين يعرفونهم وألفهم ويتقلون معهم فلما
وصل الخرطوم خاطبني وطلب منى أن أبيع له أسبوع ثمانية قريات من قرى
رفاعة الكثيرة ليضع فيها الخلوات المقترحة لأهل البادية فكتبت له ما طلب
فأرسل اقتراحى لسعادة مدير مديرية النيل الأزرق وفي أوائل مارس حضر لى
برفاعة ومعه السيدة الفاضلة المتواضعة العالمة قريته فمررنا بالمركز مدة ثمانية
عشر يوما بدأنا بدلون قصدي لها بطوة فقيها لها الشيخ عبد الله حامد العالم
ولما توجهنا منها لحلة الشريف يركلت قلت لسعادته هل تعرف الشريف يركلات ؟
قال أسمع به . قلت هو رجل طيب محطس للحكومة ولكن فيه عادة صعبة
فله ما هى قلت لأنه يميد الله تعالى ليلا وينام في الضحى وتلاميذه لا يجهرون
على إيقافه من النوم وإذا رأوا ذلك ضرورة لعظم الزائر كسعادتك وأيقظوه
يتحتم وينبى ثم يخرج . قال سعادته وكانت الشمس حارة فمن وقف كل هذه
اللمدة قلت لا محى نخل الحلوة وتجلس وتأبى الماء والجينة ثم يحضر السيد
وهو رجل لطيف أيس قال لا بأس مادمتا فستريح ، فلما وصلنا صحبة
العساكر حتى دخل وجلس وأنا صحبت السيدة التى رأت الحزاز مزهرا
فصارت تعقب من زهره وتضع في شنتها فلما دخلنا وجلت الشريف يركلات
جالسا على يرش وسعادة المدير على عتريه ولم يصرف أنه الشريف فقلت
الشريف يركلات وقمت وسلمت عليه فقام المدير مسرعا ووصله في مكانه وحياه
أحسن تحية ثم التفت الى وقال لى ما قلت ان الشريف يتأخر نصف ساعة أو
أكثر قال الشريف يركلات نعم عادتي أناخير لكن حينما بلغنى من أيقظى أن

الزائر سعادة مدير المعارف أسرع على خلاص عادتى لأن سعادتك ناشر العلم
 فى بلادنا فمكثت فوق العنق وفوق الأنظار وسر المدير وأجلسه بينه وبين
 مدام كروفوت . ثم ودعاه وركبا قاصدين أيا حراز وكان عرض المدير أبا حراز
 الشرقى ليرى قبر الشيخ أبى عائشة ، ولما وصلا مفرق الطريقين لقيى من
 أخبرنى أن أحد أولاد يونس فى غيبوبة وشتم فى الانجليز بأعلى صوته ، فلما
 ملت بالمدير لأبى حراز العربى حيث رقدنا هناك واعتمد سعادته خلوة الشيخ
 عبد الباقي لكثرة حيرانها ومسافرتنا حيث مررنا على قبر أبى عائشة فى الطريق
 وواصلنا حملتنا فى مجرى النهر حيث قضينا ليلة جميلة وفى الصباح متعنا
 أبصارنا وملأت سعادة السيدة حقيقتها من أنواع الزهور التى كتبت لها أسماء
 أشجارها بأنواعها وأعجبتها كثيرا شجرة سدر عليها أربعة أنواع من أشجار
 أخرى اندراب وعرديب وديكو وحراز مما يسمى « بالقلمى » فكثرت اسم
 « القلمى » معناه الشجرة القائمة على فرع شجرة غير نوعها وليس لها فى الأرض
 جذع ولا عرق وهى تنبت مما يأكله الطير ويضع بذوره على فرع الشجرة غير
 نوعها فى وقت يبه الحرف . ثم قمنا وصحبنا عثمان الشايقى والعجب من حلة
 أبى الحسن فلما وصلنا سوق الحنينة تقدم سرج جمل للمدير ونزل ليصلحه
 له العجب وأنا والسيدة قلما هى راكبة جملا وأنا راكب حمارا . ففى أثناء
 سيرنا إذا حمار العجب وراءنا يجر سرجه فلما سمع جمل السيدة صوت السرج
 على الأرض هب جاريا رابعا فنزلت من حملى وجرت خلفها وأقبلت لها
 امسكى الزمام والجمل يزع فاذا مالت فهو عنقه أقول تزع مع وادأ مالت
 للوراء أقول تزع على ذنبه وأنا جار خلفها أكرر لها امسكى الزمام ثم حضرني
 رثنى فأملت حمار العجب عن طريقنا فجرى حيث وجهته وأطمان جمل السيدة
 فركته ونزلت فقلت لها أما كنت تسمحين قولى لك امسكى الزمام قالت ولكن
 مأسكه يبدى اليسرى الرمن ويبدى اليمنى رأس السرج الخلفى فاذا أطلقت
 الرمن ينزل هو واللجام فيعثر فيه الجمل واذا أطلقت رأس السرج وأنا مستتة
 عليه أسقط فصجبت لوعيا وحسن تصرفها . ثم وصلنا المدير والعجب فقال
 سعادته للعجب هذه إذا كان من تساتكم تسقط فأجابه والله كان
 راجل كان يسقط فلما رماني الجمل فى حرق حلقا
 تذكرت هذه الحادثة وقلت أنا الرجل الذى يمتيه العجب فلما وصلنا حلة الشيخ

عبد الاء وجدناه يكنس في الغرفة التي أعدها لنزول المدير بنفسه فشكره المدير واستعظم هذا الأمر من رجل في سنه ومركزه فقرر لحظة عبد الاء خلوة فقيها إبراهيم الناسخ الشهير بكتابة المصاحف وغيرها ثم برحلتها لحظة أبي جلفة وقرر سعادته خلوة فقيها إبراهيم أحمد المجود على الشريف محمد الأيمن الهندي ورجنا نحو الساعة ٩ صباحا في حر قائف قاصدين حلة تبسول فلما قابلنا ود الحبير ورأيت أن الحر مشدد وتبول بمعدة احتلت على سعادة المدير ليبرد جسمه أن يقبل في ود الخير خوفا عليه أو على السيدة من ضربة الشمس ، قلت لسعادته في هذه الحلة رجل عمره يتوف على الثمانين وهو عالم نجد عنه من تاريخ السودان شيئا كثيرا متسا أرى ألا تضيع هذه الفرصة فشكرني ، وملنا فدخلنا على الفقيه محمود الخير وقلت له سعادة مدير المعارف وزوجته معي بالباب وهو يحب مقابلة فقال لي في دهشة بلذا نضيفهما فقلت له بماه آبري وجبته وتجييه في أمثله التارضية فنزل من سريره وجلس على مقبولة الصلاة وأذنهما بالدخول فجلسا معا على العتريه فالتفت لي الفقيه وقال لي ما قلت معه امرأته أين هي وظنها دخلت على نساءه ففهمت السيدة انكاره لباسها الذي أظنه لم يره من قبل ، فقلت قبعتها من رأسها فانتشر شعرها وبدأت تلك أزرار صغرها لتظهر له ثديها فيأمرها بقسوله لا تمكس صدرك أنت امرأة ، امرأة فسأل الفقيه محمود المدير بقوله أنت مدير المعارف والأمدريس المدارس فأجابه المدير هل هناك فرق بينهما قال الفقيه نعم مدير المدارس يحضر لها المال والرجال ومدير المعارف يعرف كل ما يدرس في المدارس فصحك المدير وقال أنا مدير المدارس • فأخذ المدير يسأله ويحييه لجابة العلماء المحققين وكل سؤال لا يحق إجابته يعترف له بجهله حتى شربنا الماء والعجينة وأبردنا أجسامنا وودعناه وخرجنا منه فلقينا على الباب الخارجي عبد الله محمد الخير مدعى كل العلوم يتفوق فطلب من سعادة المدير التصديق وقادني للخلوة فوجدت بها لوحا مكتوبا به في التجويد البيت التالي :

والأخذ بالتجويد حتم لازم من لم يجد القرآن « فهو » آثم
قلت فهو زائدة فقال لي أنت لا تعرف الجزية فلما تناقشنا قال سعادة المدير الحمد لله اليوم وجدت من يجهل الشيخ يابكر بدرى قلت لسعادته أنا أحكمك ينأ • قال سعادته أنا لا أعرف هذا العلم ، قلت نعم ولكنك تعرف

ميزانه فكُتبت في الأرض مستعملن مستعملن مستعملن وشكلتها وكُتبت تحتها
والأخذ بالتجريد حتم لازم وقابلت الحركة بالحركة والسكون بالسكون حتى
عرف سيادته الميزان فكُتبت تحته ثائية مَنْ لَمْ يَسْجُدْ • ويد القرآن •
إِني ثم قلت لمبد الله أين هم « فهو » في هذه الاستعمالات فقال أنا حافظها
من صبرى كذا وهو غلط فضحك سعادة المدير وقال له أنت لا تستحق خلوة
نظامية وركبتنا ووصلنا تبول بعد الساعة ١٢ في حر شديد فوجدنا مكانها غير
مستعدين لنزولنا مع اني أعرفهم ولى فيهم زبائن وقسمنا كنت تلجر يرفاعة
فقادوة لنزل شيخ الحلة وهي غرفة صغيرة لا تليق للجماعة فقلت لهم أين بيت
الجميل جباره قنادنا الشيخ له فوجدت به التقيه أحمد محمد السيد السلام
المستحضر فلما رأنا ارتجف وكان وقت صلاة الجمعة فقلت له أدخل لنا البيت
قبداً يمتد ففضطت عليه فأخذ كتبه منه ولم تره بعد فأنزلنا مسعادة المدير
ونزلت بقطعة مظلمة لا تسمع السرير السفري ولم يدعى أحد من أصحابي حتى
الأمين عباس الى النزول بمنزله لأني في نظرهم كافر بصحتي للكافرين •
توضأت وسميت للجامع صليت ورجعت ولم يروني منهم أحد وبعد برهة
جاءني العمدة محمد البشير عمدة ود الفضل فأحضر للمدير ماء وجبة ودعاني
أفندي معه بمنزله فاعتذرت له ، وفي الساعة خمسة مساء دعاني سعادة المدير
وبعد شرب الشاي معهما قال لي باتزعاج جمائنا لا يجلسون عليقة ولا قصبا
فأخبرت الشيخ بذلك فقال لي لا أعرف انما يبيع غلالا ولا قصبا ، وأنا
أناقته وأحذره عليقة فعمله هذا واذا بمحمد ولد التقيه أحمد حمد السيد
يحضر من سوق الحلاوين بول وهو حامل كيتين من الفلال ثم مسند رأس
بيته وهو يرمى القصب محزوما حتى قلنا يكفى مكررة حتى نزل فلنغصا له
العشرين قرشا التي كنا أعطيناها شيخ الحلة فطف بالطلاق أن لا يأخذ منها
قرشا فشكلناه ، وكانت حلة تبول ضمن المقرر لها الخطوات فأحرما سعادة
المدير وقرر الخطوة لحلة ولد الفضل (نسيت اسم قضيها) ثم رحلنا لحلة
الحضور فوجدنا خلوتها بحالة أذكرتي قراءتا القديسة حتى وأني دخلتها
نسيت تسمى ومن ممي من كثرة الحيران العائدين وقراءتهم الواضحة وجلوسهم
في الخطوة مزحجين الكبار منهم على هيئة دائرة وأكثرين ألواحهم على جدران
الخطوة المستدير قومن وراهم ماسكون ألواحهم لو سندوها لالتصقت بظهور

من أمامهم وهكذا ، غير دائرة صغيرة وسطهم وقفنا فيها نحن الثلاثة والفقير
 ابت لرشدى وصدق المدير باعتمادها ، ولما صلى المغرب جاء المدير وجلس على
 به عبدالله شيخهم فأخذ المدير لوحين بهنئ لخطهما الجميل المتشابه، وهم يحرمون
 على نار القرآن أى حولها حتى الساعة ٨:٣٠ حيث ذهب للعشاء. بارحنا صباحا
 للهلالية حيث فعينا يومنا مع الشيخ التاي سعيد بمنزله ولوجود المدرسة لم
 تزلهم خلوة ثم أوصلتها إلى المدينة حيث سافر المدير بالقطار محطة أبي عشر
 للخرطوم . وصلنى خبر من البنات اللاتي يدرسن بمدرسة الخرطوم رئاسة
 المس يولى انها طالبتهن بحفظ دروس من الانجيل سافرت في الحال للخرطوم
 طالبا ابطاله فوضعتي المستر كروفوت والسيدة قرنته يسهما وحسبذا الى تعليم
 البنات الانجيل فلم أوافقهما فأخر ما قاله سعادته أما تعتقد أن الانجيل كتاب
 منزل قلت أعتقد ذلك وأعتقد أيضا أن القرآن كتاب منزل فليحفظوهن من
 القرآن فقاما وذهباً فأصبحت وقابلت المستر سمسون نائب مدير المعارف فلما
 فابله أنكر عليهما وعلى المدرسة تحفيظ الانجيل لبنات مسلمات وبدأ في
 الحال يكتب للمس يولى بتركه ، في أثناء كتابته جاء ظراف قرأه ووضعه ثم
 كتب قليلا وقرأ التلغراف ووضعه وفي الثالثة قلت لجناحه هذا التلغراف مهم
 جدا قال نعم ان شقيقتي قتل في الميدان الغربي قلت يجب أن تكون متسلية بأنه
 أدى واجبا عظيما قال نعم وانى لست جازعا عليه ولكن عايط له وأتم الكتاب
 وسلمى اياه . ويرجوعى لرفاعة علمت أن السير يرئارد باشا السكرتير المالي
 ند قتل ولده الوحيد فكتبت له في التعزية هذين البيتين :

يرئارد باشا له في ابنه خلف ذكرى القييد متى ما شاء يفخر
 من مات بالسيف مظلوما له شرف فكيف من مات للمظلوم ينتصر

وفي نفس الوقت سمعت بأن محمد الحسن دياب وصديق فريد وعبد
 الكريم محمد وحزمة نتحن حسين حلقوا للمصحف على انهم يستغفون من
 مصلحة المعارف ما لم يساووهم بلخوانهم في المصالح الأخرى . حضرت
 للخرطوم لحاقبة سعادة المستر كروفوت الذي تعجب من مجيئى الخرطوم دون
 عنه ومات لسعادته قد علمت بأن أولادك المدرسين الأربعة الأوائل قد حلقوا

بأن يستمعوا فجت أندخل في أمرهم فقال لي إن لم يرضوا بما قلت لهم
نفسى عنهم فقلت لسعادته إذا استنيتهم عنهم وانفصلوا وأرادوا أن يفتحوا
مدرسة ابتدائية بأم درمان يعلمون فيها تسمحوا لهم بذلك قال لا نسمع
لهم قلت هل من العدل على انك تعلمنى حرفة وتعلمنى استعمالها لأعيش منها
قال لسعادته ومن يكن الناظر قلت في السنة الأولى أحصلهم
ويزاويون ثم في الخامسة وهكذا ثم قلت له يا سيادة المدير
هؤلاء المعلمون هم أولادك الذين علمتهم أطفالا وقد صرفت رئيسهم الأكبر
الذى تعلق عليه آمالهم فهل يجوز بأبوتك أن تمالكهم فهدأت ثورته وقال
سعادته أنه قد اتفق مع السكرتير القضاى أن نجعل علاوة عمال المصلحين
من سبعة الى ثمانية قسمة وهكذا . قلت انى سمعت أن اخوانهم أخذوا ثمانية
ونصف فتناول سفرا ضخما وفتح وأطال تفتيشه وأنا صامت ثم وضعه في مكانه
وقال لي سمعته ثمانية ونصف فشكرته ، وقبل أن أخرج قال لي هم صغار .
قلت هم واخوانهم المهنيين وغيرهم يخرجون من المدرسة ويلطونها في سن
واحدة الا الشواد قتل صحيح وخرجت . ولا أذكر هل اجتمعت بهم أم صاينى
القطار وسافرت . في هذا العام زار مدرسة رفاة المستردطوب بصحة المستر
كزوفوت كان دائر اللحية الثابتة وكان لونه يميل الى اللون المصرى الا في
طحته أدنيه فقلت لسعادة المدير انه يشبه المصرين فقال لي أسكت لا تسمعه
ذلك فيعصب وصحبناهم للحصاحيصا أنا والشيخ محمد الطيب هاشم فلما
دخلنا العربية بالقطار أمسكنى يدي وقال لي كلاما لا أذكره بالحرف معناه
ستكون كبيرا بمصاحبة المعارف .

كان نعم الدين رحمة الله في هذه السنة ناظرا لمدرسة المناقل واختلف مع
مأمورها فقرر عليه السبكي أفندى حرمان علاوة وتنزله للمدرس ولغو أجازته
يقضيها بإدارة المعارف شغلا في عمل دقائق . جئت الى الخرطوم وأخذت معى
الشيخ محمد أحمد فضل ناظر كتاب الخرطوم ووزرنا السبكي أفندى في منزله
فوجدنا معه ثمانية من المصرين أذكر منهم سلحة أفندى والبكباشى صبرى .
فبعد التحية قلت له أنا جئت أسترحمك للشيخ نجم الدين فغضب . وقال لي
باحتراد أنت تشخ له لأجل أنه على شاكلتك في مشاكلة المأمير تهيجت ووقفت
وقلت له أنا لست راض عن مشاغبتى مع المأمير ولكم هم الذين يملئوننى

وأنا لا أتحمّل وحصرتك مدبت للتحقيق في مشاغبتى مع المأمير فهل استطعت أن أرفع على جزاء ولو كتب راضيا عن مشاغبتى للمأمير لكنت أثرتها في عشرة من النظار خرجوا من رفاة ولكنني كنت أوصيهم أن لا يقتلوا بي في مشاغبة المأمير بعد هذا الكلام جاءت القهوة فرفعت شرابها ومضيت في الحال للكلية قابلت المستر سمسون الذي أعطاه أجارته وعلاوته وقال تنقله مع أحمد والديه بإبكر بدرى ومحمد أحمد فضل فلما علمت ذلك طلبت نجم الدين وحده ودأت أنصح له ههه عصاه الفيلطة ورفع كفه عن مكينه وقال لى والله السكى أما أن أشق رأسه بمصاى أو أشق بطنه يسكىنى فأخبرته بعكم المستر سمسون فلم يرجع للمكتب ولخثار الخرطوم لقربه من أهله .

زيارة الشيخ حسن على أب حاج

في شهر سبتمبر سنة ١٩١٧ بلغنى أن صديقى والمحسن لى فى أسرى بالقطر المصرى الشيخ حسن على أب حاج بلعنى أنه فى ضائقة مالية رهن لها نصيبه من الطين الذى يزرعه مؤونة عامه . فأمرت الشيخ محمد عبد النور بتحويل ٧ جنيه له بدراو يترك منها لأولاده ٥ جنيه ويحضر لى برفاة وبعد مدة طالت حتى رأينا من حضوره لنا ففى يوم ما كنا زونا الحصاصيا لعراء الشيخ عبد الرحمن الفقيه الأميم الضرورى فى وفاة والدته وكنا جمعية كبيرة بمنزله طلب منى الشيخ محمد عمر عبود أن أحكى لهم حكاية أسرى وخصوصا ما يختص منها بأقامتى بدراو فشرعت فى الحكاية وفى أثناء ذكرى انصان حسن على أب حاج لى دخل علينا التلميذ عثمان طه السيد وقال لى أن بالباب رجلا عربيا يريد مقاتلتك فخرجت له ولم أميز شخصيته لكآية حاله فقلت له بمد النحية من تريد قال أريد الشيخ بإبكر بدرى قلت أنا بإبكر بدرى فبسم لى عرفت ثمره الذى لم يتعب فقلت الشيخ حسن مظهر سرورى قال نعم فأخذته فى صدرى وفطخت به على الجماعة الدين أحدثهم عه وقلت لهم هذا هو الرجل الشيخ حسن على أب حاج فقاموا كلهم لجلالا وسرورا واعجابا لهده المصادفه وأتممت لهم الحديث بحصره وبعد وصولنا مساء لرفاعة وأصبحنا رأيته وبه سعال شديد يتنخم نفثاته بها فوع من المدة فصالته عن السب فسال انه يعص فى جبهه التسال بألم فأحضرت له طبيبا وطنيا اختصاصيا فى ذات الجنب فأمر بسقيه لبن البقر من ضرعه فصينت له البقرة المسماه حرورا فان لبنها غزير

وحلوا الطعام وبعد يومين أدخلته على والدي وزوجتي وبناتي وأمرته بالفخول في المنزل متى شاء واعتذرت له بشغلي الرسمي في المدرسة وأحضرت له حمادتي يتفصح بها عصرًا أو صباحًا متى شاء فكان إذا ذهب للسوق ليشتري شيئًا يخصه عادة فيريد دفع ثمنه لصاحبه يقول له البائع أنت سيد الشيخ بإكر تكون سيدنا كلنا ولم يأخذ منه ثمنًا لمتاع اشتراه حتى يجعل من الناس كما أحبرني بذلك وبعد أن شفى تمامًا ودخلنا في العطلة الصيفية عمل له سبكان رفاعة أكتايا برئاسة عمنا الشيخ عبد الله عوض الكريم أبي سن وبنت له ثلثتي وبنتها بـ ٣٥ جيه صارت بالاكتاب ٥٢ جيه حول منها لأولاده بدر أو ٣٠ جيه وقت به للتدويم لأخي يوسف بدرى الذى بالغ في إكرامه حتى صار ينسل له يديه بنفسه فقال الشيخ حسن يوما ليوسف بدرى لا تغسل يدي بك والأولاد موجودون فكان رد يوسف عليه نحن يا شيخ حسن لا نفترف لأحد غيرك من الجيل ما نفترف به لك فكل ما نصله لك جزء قليل مما قلدنا إياه بارك الله فيك وعندما أراد السفر قال لى يوسف كم تريد أن تعطيه قلت أنا أعطيته ٣٥ جيه حول منها ٣٠ جيه لأولاده قال لى ما عنده بنت أنا لا أزيد على ما دفعته له ولكن أعمل له أكتايا^١ من أصدقائي فجمع له بمبلغه ٦٠ جيه حولها باسمه لدر أو وسلمه الوليسه وودعنا مسافرا للأبيض ليقابل سعد على قصر الله ابن خالته السمسار بالأبيض فبعد وداعى له طلبت منه إرساله ولدا أو ولدين من أولاده لأعلمهما له ولكنه حينما وصل در أو عاد عليه المرض وتوفي لرحمة مولاه فكانت ولده الكبير مصطفى حسن ليرسل لى أحد اخوانه الصغار لكنه رد بمسدم موافقة والدته على طلبى • هذا الرجل أحسن الى بلا معرفة ولا أمل بل كان احسانه لله واشتياغا لرغبته في الخير وأنا علمت له هديدا لبعض ما عمله معى فهو أفضل منى رحمه الله رحمة واسعة راجع في جزء المهديّة ترى احسانه على •

اشراكي في أعمال المصلحة بالحرطوم

سنة ١٩١٨ هـ قل عوفى أفندى وخلفه اليوزباشا صالح أفندى زكى وجاء دور راحتي وراحة المرمومة • كانت امرأة برقاعة من الموضعية بحسب رؤية

(١) سمعت من والدي ان ضمن المكتبين كان الشيخ ابو شامة عبد المحمود مفتى السودان الاسبق فحل من المحكمة رأسا حيث كان عاملا قضائيا يحمل مرتبة الشهري كله وهو يضع جنيهاً ذهب واعطاهم للوالد ليكون اكتتابه //

ادعتها جعلت للشيخ سلمان الولي الموضي المتقون بطلا الجور بيانا جعلته كالقبر وغرقت به رايات عند رأس القبر ورجليه وكعامة المسامة اعتقده رجال ونساء قبيلة الموضية صاروا يزورونه لكل مناسبة كزواج أو ختان أو عيد أو وضوع يأتونه بدلوكة (طيلة ندوى وغوغاه جماعته من فخر رجال وزغردة نساء) فاتفق أن يبيت المفتش الذي بنى جديدا جعل البيان في دخله فجاءني المستر باردسلي أول مفتش سكن هذا البيت وطلب مني أن أحول هذا البيان لمكان آخر دون أن أثير غضب هذه القبيلة لموضوع ديني (على قاعدة السياسة الانجليزية في احترام العقائد والموائد التي ترضى السذج من الأهالي أما المتقون يرون العرض من هذه السياسة بقاء لسكان الأقطار على سذاجتهم لأنهم في هذه الحالة يسهل قيادهم وتوجيههم) فلما طلب مني هذا قلت أضع لي ثلاثة جنيهات فدفعها لي حالا فطلبت المرأة وقلت لها ان المفتش كافر لا يضره لهابة الشيخ وأنت تعلمين أن أهلك يزعمونه في نومه وفي كتابته في قضاياهم وفي وقت أكله وقد بلغني انه عزم على قلع الرايات ومسح القبر وكما قلت لك لا يضره ذلك فأنصح لك أن تهولي لجماعتك اني رأيت الشيخ سلمان الليلة وقال لي اقليني من مكاني لأنه صار نجسا بجوار المفتش وادكر لي لهم المكان الذي تريدن تحويل البيان له وأنا آجيء لك منه بثلاثة جنيهات فقبلت وحولت البيان وأخذت الجنيهات واستراح المفتش ومن بعده .

في هذه السنة طلبنا فقهاء الخطوات النظامية للتمرين بعد أن أعطيناهم فرصة ابتدأوا فيها ووجهناهم في مرورنا عليهم سنة ١٩١٧ مرافهم على التجويد والاصاب والانشاء البسيط . . . لقد قاسينا الأمرين في تمرينهم لصعوبة قيادتهم وقيل أفكارهم وتقيدهم بالألوف واعتقادهم اننا أردنا صرفهم عن تعاليم القرآن لولا أن أحصلنا المعلومات الدينية الضرورية من عقائد وعبادات . جاء المستر يودال لتفتيش المدرسة وأجبرني انه ومعه كثير من الانجليز مقتنعين بمقدم نجاح هذه التجربة ولكنه اعترف أخيرا بنجاحها . في هذه السنة زار مدارس النيل الأزرق لتفتيش عبد العظيم بك محمد وكتب عن كتاب الهلالية كتابة لم ترض فإظهارها الشيخ عبد الله الأسد الذي ناقص نص التقرير وكتب للمعارف هذه المناقضة فاتدبتني المعارف لأقف على الحقيقة وأخبرها فلما وصلت

الهلالية وصورة التفرير بين يدي صرفت عبد الله الأسد عن الفصل الذي أردت أن أسأله عما قاله الناظر عنه بعد أسئلة فنية توجه أفكار التلايد لاستحضار أجوبتها لأشغلهم عن غرضي ولأطلع على قوتهم في الصواب فأجابهم بقولي تلاميذ رفاة يحفظون مسائل المفتش الذي يمتحنهم بها لمدة سنة فهل منكم من يحفظ مسائل جناب المفتش عبد الطيم بك رفعوا أصابعهم قال المسئول بالتمعين انه قال لنا كم بيضة قرش قلنا ثمان بيضات فقال اذ أعطيتكم خمسة قروش كم بيضة تحضرها قال فلان أربعين بيضة فأعطاه الخمسة قروش وقال له اجر جيء بها أربعين فخرج فلان وجاء بها . ثم قال ما ثمن زوج الحمام قلنا قرشان . قال فلان لدا أعطيتك عشرين قرشا كم زوجا تحضرها قال فلان أحضر عشرة أزواج فأعطاه العشرين قرشا وخرج بها وأحضرها . ثم التفت علينا وقال أنتم شاطرون في الصواب وأخذ بعض الكراريس وخرج فوجدتها كما قال شوقي الأسد الا أنه لم يذكر أخذه الكراريس فطلبت الكراريس التي أخذها فوجدت لا علامة تفتيش بها فكتبت للمعارف بما رأيت .

وفي الأجازة نذبت لأرغب أهالي مقرات ليرغبوا في فتح كتاب بهذه الجزيرة لأن دار الرباطاب كلها خالية من التعليم وأن سكان مقرات هم أقربهم للمدنية لقربهم من مركز أبي حمد ولكثرة قضائهم مع بعضهم وصلت الدامر وقابلت نائب المدير المستر فانس فزودني بالنصائح لطمه بمالهم وفوض في كل ما أعمل معهم . دخلت مقرات ليلا ولم أكن رأيتها من قبل غير أن والذي أوصاني أن أبلغ تعيته لمحمد عثمان شيخ الجزيرة قضيت ليلتي عنده وأخبرته بما جئت من أجله فكان ألد عدو للتعليم . فلما أصبحت جلست في السواقى وفي البيوت لطلبي أجد أحد أعرفه فللحظ بلقني وجود علي الصغير وكان شريكا لشقيقتي يوسف بدرى فجعلته دليلى فثبطني بالمبالغة في بغض الأهالي للتعليم المدني وبعد يومين قضيتهما جائلا عرفت أن محمد النجاشي ومن معه من كانوا برفاة أهم بمقرات فسميت لهم بالهوى القرى للجزيرة ولقيت التقييه التيجاني الذي دعاني لعداء حضرة الشيخ بابكر عبد الله للمدرس الذي قلني منزله . للحظ الحصن اجتمع أكثر أهل الجزيرة بالقمساير ليذخروا جنازة فوصلتهم للزاء في الجبابة ولما فرغوا طلبت منهم ألا يفرقوا حتى يسمعوا مني ما أقوله لهم قلت لهم أنا جئت هنا منذ أربعة أيام وأنا بابكر محمد بدرى

وباطالي مثلكم وجئتكم لافتح لكم مدرسة بالشروط التي ترضونها من حيث
 عمر الأولاد ولباسهم وبالعلم الذي ترغبونه وفي البيت الذي تختارونه والعلم
 الذي تعيونه فلا ترجعوني خائباً فتحول الحكومة المدرسة لغيركم وحينما ترون
 نبيجتها في أولاد غيركم وتطلبون فتح مثلها لكم لا يمكن ذلك لأن الرباطات
 من الباقر للتيقير مقررة له مدرسة واحدة الآن لخمسة سنوات تحت التجربة
 فعينذاك تتعلمون حيث لا ينفع النظم فاقعدوا الآن واشترطوا على بالنيابة عن
 مصلحة المعارف ومدير بربر ما تريدون لفتح المدرسة قال رجسبل كبير منهم
 ما عندنا بيت لها قلت أنا أؤجر أحد بيوتكم مما يطيق لها بجنيه شهرياً قال كل
 من المابدة أنا أعطيكهم بيتي بجنيه ونصف قلت قبلناه ان كان صالحاً قال آخر
 تكلفونا لباساً صعباً قلت قبل التلاميذ بثوبه العادي قال آخر تأخذ أولادنا
 للخرطوم أو بربر قلت لا تأخذ إلا من يرغب والده زيادة التعليم ويوجد له هناك
 مكان ويؤدي الامتحان قال آخر بعد مدة يقولون لنا ادفعوا بمصاريف شهرية
 قلت أكتب لكم مجاًناً قال آخر بعد دخول الولد المدرسة لا يمكن خروجه منها
 اذا احتاج له والده ليماعده قلت أكتب لكم كل من يريد اخراج ولد يستلمه
 وفي المعارف قانون المدارس ان الولد اذا تأخر خمسة عشر يوماً يردت وأخيراً
 كتبت لهم بكل هذه الشروط واستلموها بخطي وتوقيمي عن مصلحة المعارف
 ومدير بربر وفي الحال عينت عباس الحسن مدرساً مساعداً وهو كان متعلماً
 بكتابه رفاة وكبير في سنه وطلبت من المعارف تعيين فاضل ولورسال الأدولت
 بأول فطر لأبي حيد فجاءتنا الأدولت وفي هذا الإثناء أعد لنا المنزل وقتحت
 المدرسة فعلاً أدرس فيها بنفسى فصلاً وعباس الحسن فصلاً حتى جاء الناظر
 تركها له مفتوحة مستوفية - سافرت بالبر القسري ولا أنس للشيخ بابكر
 عبد الله مرافقته لي حين وصلت مسقط رأسي وماوى قبيلتي حيث بقيت معهم
 سبعة أيام ولم أسر بالرباطات قبل هذه منذ خرجت منها وعمرى أقل من عامين
 (حيث هزلنا لنهر أميرا) في هذه السبعة أيام أعربت ثلاثة من أولاد قبيلتي
 ليذهبوا معي لرفاة يتعلمون فينتقلون من حالة وسطهم الى ما يدعو غيرهم
 للاقتداء بهم فسلكت بهم طريق الغرب للشريك مخافة أن يفقدتهم أهلهم
 فيتركونا بالطريق فيرجعونهم - فعلاً حصل ذلك فلوصلتهم رفاة وأدخلتهم
 المدرسة ولكن لقيامى من رفاة للخرطوم لهاتيا رجعوا لأهلهم - ثم وصلتني

كتاب من المعارف لأخذ بتنه من مدرسة بنات رفاعة الأبيض ليكونا نموذجاً لبنات مدرسة الأبيض فأخفت عديلة بنتي وزهراء محمد الفكي قمت بهما يوم ١٨/١٠ قلما وصلت الحاصيصا سمعت امرأة تبكي بالملحة فإذا هي والدة التلميذ النابه العوض عبد الله شقيق الشيخ لطفي فبسمعي ذرفت عيناى الدموع (على أن دعوى غالية جدا في المصائب العظمى) ولم أذق الطعام نهاري وليلى حتى وصلنا الأبيض وفي هذه الملة قلت القصيدة التي مطلعها «هو الموت لطفي» والتي نشرتها في شعراء المنودان ضمن ما نشرته .

برجوعى من الأبيض زار المدرسة سعادة المستر كرو فوت وبمسد التفتيش خلايى وساكني اذا هلت من رفاعة على من أوصى أن يخفنى فأوصيت على الشيخ لطفي الذي كان مدرسا بإبتدائي مدني وما دار بطدي اني أهمل مفتشا للمعارف . وفلا خلتنى لطفي .

وفي يوم ١١/١١/١٩١٨ انتصر الحلفاء وأعلنت احتفالات الهدية واجتمع الأعيان والعلماء والسياسيون والأشراف ومشائخ الطرق بمدني وكان يرأس الحفلة المستر جوكسون نائب المدير . دخلت للمحكمة فوجدت الشريف بركات منزويا في ركنها ووجدت الموجودين محتفين بالشيخ الجليلي عبد الحمود فقلت الشريف بركات بصوت جهوري وعيارة ملفتة باستفهامها الانتكاري في رأى البعض والتعجب في رأى البعض فاقضوا من الجيلى الى الشريف بركات الذي كانوا يسمون بمظلمته ولا يعرفون شخصه وتحت نظرهم أصالحت له قبة قميصه التي كانت مرتفعة على بلقي ملابسه التي يقضى الهندام أن تكون مخفية بينها وعند قرب ساعة ابتداء جلوس الناس في أماكنهم أخذته وطلعت به الى قاعة الجلوس وأجلسته بلصق كرسي المستر جوكسون الذي استقبله أحسن استقبال ودعاء للشاي العام يستان المديرية والخاص بمنزله وحينما عرف عامة الناس وجوده بين الزائرين تكلموا حول البستان وعند خروجه تسابقوا على ثم يده حتى فرقههم البوليس ولو كان بالمديرية أتوسلوا وقتئذ لحمله الى منزله من ازدحام الناس عليه عظم الله شأنه وأجاب دعواته لي (ان شاء الله تكون شجرة ماء) وفي هذه الحفلة تسابق الخطباء وكنت أقيت خطبة وقصيدة أذكر

من الخطبة قولى فيها « فاليوم فلتكن المسابقة في هذا الميدان ميدان السرور
الشامل بحق ما تكنه القلوب من الاخلاص لا بما تلقىه الألسنة بين الناس »
ومن القصيدة أذكر ثلاثة أبيات ومطلعها :

بريطانيا العظمى ترينا العجائب فترسل شعبا من بينها ثولقبا
يسرون سير الشمس في فلك القلا فيقتبس المافون منهم مواهبيا
ألم تر أن حملو مكانا ينزلوا به غيث رحمت ويطلو مصائبيا

وهذا ما كنت اعتقده في عقلى ولا يمتزنى شك فيه وبعد أيام وصلى
تشكر من المستر جكسون الذى كان لى أول معنى ينشأ ان الامبراطورية من
درجة عضو وسعاده كان مدير بربر أو قائم مديرها لا أنذكر ولكن أخسر
مقابلتي له وهو مدير حلقا بمنزله وبعد الهدنة بقليل زار رفاعة بعض ضباط
الجيش الذى حارب بالميدان الغربى في لوريات وكان أول رؤيتنا للوريات
وثرلوا جنوب المدينة فبالغ الشيخ عبد الله أبو سن في اكرامهم + دعاهم ليعطروا
منزله في قرية التنضب وبسبب تلك الضيافة تحسنت علاقته مع المستر ياردسلى
الذى طلبت من جنابه أن يشرفنى بإبراهيم الشاى وجنايه معهم عند رجوعهم
من التنضب فشكرنى وأخبرنى بأن وقتهم لا يسمح لهم وفعلما عندما رجعوا
واصلوا سيرهم الساعة ٢ حينما استأذنتهم أنا والشيخ عبد الله أبو سن أن
نقدمهم الى حطة ود السيد ثيابة عن سكان رفاعة وأرسلنا حمارين مقدما وبعد
وصولنا معهم رجعتا على حمارنا وما رأيت منهم أن لهم مناطق تفرق بين
أحدهم والآخر ميل مما لم يستعمل الآن .

في هذه السنة جاء مدير المعارف بنيجريا وطلب تعيين مدرسين فعينت لهم
مصلحة المعارف المشايخ عبد القادر شريف . حسن الأزهرى . من متمى
الثنوى ويوسف القاضى من أحسن الرفقاء وكلهم من رفاعة وقد اتفق كل
الانجليز الذين يرفقونهم بالمصلحة و المديرية على حسن اختيارهم حتى قام
المستر ياردسلى خطيبا بالمدرسة في الحظلة التى عملت في ثوال سنة ١٩١٩
حينما عيت مفتشا بالمعارف وما أذكره من خطبته قوله : ان نور الشيخ بايكر
لم يكتف باتتشاره في السودان الانجليزى المصرى حتى أراد أن يضىء نيجريا
وان من اتخبوا من أولاده لجديرون بأن يقوموا بهذا الواجب .

أخي سعيد رهن منزله ثلاث مرات لكونه كجاذ مرتين دفع قيمتها يوسف أخى
والثالثة لأولاد منصور دفعت قيمتها أنا خمسة وعشرون جنبها في كل مرة وفى
الرابعة أراد رهنه بىدنى لمصطفى الطاهر الذى كتب لى ليستأذنى فأشرت عليه
بأن يضمن السند انه اذا لم يحضر التقود البرهن بها هذا المنزل الموضحة
حدوده ومساحته يباع المنزل فتأخر سعيد عن السداد كما دته فوافقت
مصطفى الطاهر على بيع المنزل فرفع القضية بتوكيل موسى يعقوب بنفس المبلغ
وافق المقتضى على بيعه وحضر جنبه بنفسه وفعلا اشترام موسى يعقوب بنفس المبلغ
فربخته خمسين قرشا وسجلته باسمى فلما حضر سعيد أحد معه عشر جنبها
قدما لوالدى وطلب منه أن يأمرنى بأرجاع تسجيل المنزل باسمه فأمرنى والدى
بحزم بتنفيذ غرضه قلت يا أبى اسمع رأى فان لم يوافقك أخضع لأمره هذه
التقود أنا الأخوج لها أم سعيد قال الأخوج سعيد قلت اذا مات سعيد من الذى
يرنه قال أنت أو أولادك قلت أنا أكتب له وثيقة اذا مات قبله فمنزله ملك له
وليس لأولادى حق وراثته ولذا رزق أولادا بعد ذلك فالحق فى المنزل لأولاده
دون أولادى وفى الحال له الحق فى سكناه دون ايجار فتسك سعيد لطلبه
فقال له والدنا غرضك عر معروف فى طلبك بعد هذا الكلام فانهزت العرصة
لأحول فكر والذى الذى اسعد لقبول كلامى قلت له أنا عارف غرضه قال
والدى ما هو غرضه قلت ليرجع تسجيله باسمه لرهنه ونحن ندفع القيمة فأنا
مستعد أن أكتب ليوسف رهن له جنبه ونصف شهرا وأنا أسلمه سلاقتى
بقرها ولينها والمائة وعشرون بطة التى زرعها وسقتها حتى مسكت كلها على
شرط أن يترك السفر للصعيد فرضى وتعدنا له ذلك ولكنه بعد ثمانية شهور
أجر الساقية لمحمد صالح أبى تركى بجنبهين فى السنة وباع البقر ومات النخيل
وتلف بعض الطين بالزريبة التى حجرت الرمال ورامها من الناحيتين وما زال
يسافر الصعيد مسوبا حتى توفى عام خمسة وأربعين هجرى رحمه الله رحمة
واسعة .

زارنا مسعدة المستر كرو قوت وأخبرنى انه أخبر المفتى أن الشيخ على
أبا قصيصة فاطر ايتلأى أتبرا طلب منه عمل تلفون للدرسة فكان رد المفتى
لأنك رفعت من شأنه وكان أبوه منحطا فتهمجت وقلت لمسعدة هل الانحطاط

في نظرهم يكون أبلع في قصاص الأخلاق أم قصاص الأرزاق • فقلت ان والد الشيخ علي فقير وأمي فقي فقره علم أولاده الأربعة حفظ القرآن وتعليم العلوم الدينية • وهو أُمِّي اختارته مدينة بربر أن يكون مأذونتها وأمته على عصمها فأى فخر بعد هذا فقال لى للمدا غضبت قلت لأنه ابن عمى فقال تحيد طلبه هذا قلت هل في المحكمة الشرعية تلفون قال نعم قلت حاجة المدرسة للتلفون بأتمرا أكثر من حاجة المحكمة فلما أخبرت الشيخ على بذلك كان رده أن المفتى لا يقدر أن يقول ذلك - قلت له أنا كذاب أم جاسوسك يا بليد وفارقتة •

سنة ١٩١٩ لحتي جكسون ياشا بى وزارنى بمرى قبل أن أوزره
وفسحنى في الجينة وعرض على الحيوانات حتى السلحفاة ودعانى لشاى
العصر •

في يناير من هذه السنة وصلنى كتاب من أحمد ببرى يخبرنى فيه أن
المستر يودال وكيل المعارف قال له أبوك اذا طلبناه للخرطوم ليكون مفتشا ثانيا
للمرى أقبل النقل من رفاعة • وقال أحمد أنا أجيته بأن أبى لا يبخل بأن
يضفى راحته في خدمة بلاده فاضطرب فكرى وتنازعنى عاملان أولهما انى
خشيت من سقوط الطفرة التى هى من ناظر كتاب الى مفتش عام • والثانية ألى
اذا رفضت يمين في الوظيفة أجنبى وبعد عدة سنين اذا طالبنا بها يحتج علينا بأنها
قمت لكم فرفضتموها وأخيرا عزمتم أنى أجيى بالمواقفة وقلت انى ذا نجحت
فالحسين وان لم أنجح فلا بأس أن أحفظها لمن يكون أبكأ على بها من أولادى
الوطنين وقمت للخرطوم يوم ١٦ يناير لأحضر يوم الخريجين بالخرطوم كالمعتاد
سنويا وكان الخبر قد ذاع •

اشتد المرض على المرحوم عبد المجيد بك ابراهيم الذي سيخلفه
عبد الحليم بك الذى رفض أن يكون مفتشا فرارا من أعصاب الأسفار التى
كانت بالجمال •

زرت عبد المجيد بك فأبدى لى استعزاه بتمنى مفتشا ولكن عذرتة
لمرضه فلم أزه على قولى ان لم أنجح فيها فسأرجع حفظها لأحمد أولادى
الوطنين وحجرتها على الأقطاب فأتكأ على مضجته فقال لى مصطفى السيد
الذى وجدته معه مستنم على مجيئك للخرطوم وقد انك رفاعة قلت أنا لا أكون

أقل من المصريين والآنجليز واليونان وغيرهم من الأجانب الذين تركوا أوطانهم البعيدة وارتكبوا مشاق السفر برا وبحرا أتى حضرتك أن المنفعة الشخصية فوق المنفعة الوطنية أنا والله لا أرى ذلك فسكت وودعتهما وانصرفت .

طلبى سعادة المستر يودال وأخبرني بأن الدكتور قرر أن عبد المجيد بك سيموت قبل آخر هذا الشهر ولكن الدكتور هلمون وهو الطبيب الرسمي قال أنه سيطلب ولذلك فسترجع أنت لرعاية هذا الشهر وستعني رسميا في الشهر الآتي قال إنه مقتنع بقرار الدكتور . فرجعت لرعاية وفي اثنين فبراير سنة ١٩١٩ توفي عبد المجيد كما توفي في نفس اليوم والساعة الشيخ محمد عمر البيا رحمه الله . فلذا فإن سكان أم درمان شيعوا جثمان الشيخ البيا كما شيع سكان الخرطوم جنازة عبد المجيد بك . وفي يوم ١٢ فبراير سنة ١٩١٩ حصرت للخرطوم معينا في وظيفة أول مفتش وطني بمصلحة المعارف . عند قيامي للخرطوم سلمت خلفي المدرسة ومكتبتها عامرة بالكتب التي جلبتها لها من المعارف وما اشترت لها من المكاتب وكذلك سلمته كشفا بأشياء لي شخصيا حقت عليها الضياع من ناحية وكون لي بيتان لا أحدث بين سيدتيهما مشاجرة ولما جئت في أكتوبر سنة ١٩٢٤ استلمت منه المدرسة لم أجد لأثاري مدة ستة عشر سنة شيئا يدل عليها لا شخصا ولا رسميا وخصوصا الكرة الأرضية للصنوعة بواسطتي من القرعة .

المعلمون المصريون يسخرون مني

كان رئيس المفتشين جناب المستر هسي فأول جملول عمله لي تفتيش مدرستي الخرطوم وأم درمان ثم شطبت مدرسة الخرطوم وأظن أن مصطفى الميد فاطرها وقتئذ عارض في تفتيشي ولما ذهبت للمدرسة أم درمان قوبلت ببرود من المعلمين ومرسى أفندي فهمي الناظر ولما دخلت فصل ثالثة ابتدائي وجدت به الشيخ أحمد حزين الذي حفته فلم يرد علي ثم انه جلس على الكرسي الموجود بالفصل وتركني ولحقا ولما لم يشر عمله غضبي ولم أعره أهمية لأنني اعتبرت عمله مقلما لمشايخي ممي يني عليها عدم كفاءتي لوظيفتي فقرب مني وقال (تفتش ايه وانت طرف حاجة) قلت له وأنا باسم (وجه هذا السؤال

المصلحة التي تعرفى أكثر منك دفعا من المزاج واثنى بأحسن كرامة ووسط
 وكرامه أسمعتم تلميذ في كل أنواع العربى يا مولاي فجلس على درج تحته
 تلميذ ولم يعن بأمرى فقلت لأحد التلاميذ فاولنى كرامتك في العربى وكان
 التلميذ ابن صديق لى ففتح الدرج وناولنى الكراسات وفي الوقت نفسه دخل
 الناظر فقت من الكرسي اجلالا له لانه علمى الكسور المركبة في سنة ١٩٠٣
 فجلس لى فتملت واقفا افتش في كرامة الاملاء فطلعتها في صحيفه واحدة
 خمس علامات اعزائية فقال لى مرسى اعدى هذا الفلظ صحيح فنت مع
 يا مولاي فضحك وأوما للشيخ حزين الذى جاءنى مندفا معصبا ومسح الحذ
 الذي وضعته تحت الكلمات بأستىكة كانت بيده وجذب الكرامة من يمينه
 فلم اكله ولم أصبح التقرير أى شيء من سوء معاملتهم لى ولكنى ذكرت
 تلميظه تلميضى وطلبت تسعين محكمين بيننا فكتبت المصلحة بذلك ووجد هو
 العيطان فحكيت للسستر هس شفويا ما حصل من الأستاذ حزين فطلبه وسأله
 أيكما العيطان فاعترف ولكنه ظهر بجبن عظيم فلما خرج دعوته لمكتبى وطلبت
 له ليمونادة وللشيخ أحمد أمين المفتش العربى الأول وللباقى المحكمين ومن
 ذلك اليوم بدأ المصربون يعترفون بعلمى ولكنهم لا يرضون بتفتيشى الا بعد
 ستين عهت لهم فيها معلوماتى ومعاملتى بعد تفتيشى أم درمان واتدبت
 لتفتيش كتابى النيل الأزرق وابتدأتى مدنى وبلدتى بمدنى فكان ناظرها
 محمد إلهى عارف مصرى فاستقبلنى وهنأتى وبعد أربعة أيام بارحتها
 وكان كبير مدرسى العربى الشيخ لطفى الذى قدمنى لطفة ود العشا وسافرت
 للماقل فعمل بالسوربيا حيث وجعت خير وفاة والدى فخرجت على رفاة
 وأعطيت الحارف خبرا فحدثونا لى بغيام المآثم وأثا في المآثم اذ ورد لى كتاب
 بتكليفى أتحدث لاولياء أمور بعثة يجرى فتحدثت مع أمى الأزهري ويوسف
 القاضى ورفصتا وكذلك رفض عبد القادر شريف نفسه بعد رفض رقيقه فطلب
 المستر باردسلى النقيه محمد الأمين وقدر ما راجعه انتهى بالرفض ولما وصلت
 الخرطوم جاءنى الشيخ عبد الرحمن الأمين وقدر ما راجعته انتهى بالرفض ولما
 وصلت الخرطوم جاءنى الشيخ عبد الرحمن الأمين وشتمنى شتما بليغا فلم أرد
 عليه وفي مساء اليوم ذهبت له بالخرطوم بمنزل ابراهيم ابن خالته وأهمته أن
 لا يدل لى في انتخاب هؤلاء الاولاد ان اتخابهم حصل وأنا في سفرة ما علمت به

الا من المستر يودال حينما لقيني بالطاح عبد الله قبل عثري ظاهرا * وبمسد أيام جاءت آتاه للمستر يودال فدخلت عليه خديجة فلما مد لها يده لثت يدها بشورها وصافحته فقال لها اجلسي فامتعت فقال لها لا تخافي فقلت له لست حائفة ولكي لا اجلس على فراشك لأنك كافر ففضب أشد الفضب * وقال لها امشي ولأنك مرفوت فلما سمعت منه ذلك صعدت للمدير بمكتبه وقلت له أن سماعة الوكيل رفت حسن الأزهرى * أنا غير مقتنع بهذا الحكم لأن هذان الولدان أما أن يعتبرا مسئولين عن أنفسهما فيكرهان على السفر لنيجريا وأما أن يعتبرا قاصرين فيحكم من كان السبب في امتناعهما وبعد أخذ ورد عين حسن الأزهرى بمدني ولم يوجد محل ليوسف القاضي لاعتباره منفصلا فألحق بمدرسة الأقباط لمدة سنة ثم بالمعارف وفي أثناء هذه الحركة اجتمعت بالشيخ الطيب هاشم بمعدية أم درمان فقال لي عبد الرحمن الفقيه الأمين كان السبب في فشل بثمة نيجريا أشكوه لمدير المعارف ليتصل بالسكرتير القضائي ليرفضه فقلت هذا مالا يحصل مني قط وإذا طلب رفضه بدون واسطتي وكان في امكاني رده لوظيفته لعلت * فلما عدت لمزلي برطاعة وفدبت لتفتيش كتابتي دهقا ودعت أهلي فلما ركبت حماري وكان عمر ابني موسى سنة وأشهره وكان محمولا لصفحة والدته فلما ركبت صرخ وقبض بطرعه جبتي فالتفت اليه فرأيت وجه أمه ياد عليه الحزن فاهتزت عاطفتا الحان للولد والطف لأمه فلما هارقتها قلت في الحال :

وما طلبني للمال والجاه وحسبه حتى بي الى أن أذهب الأرض ذا النهب
وأترك موسى يلتوى خلف دابتي نفسه أم حزنها يطهب القلبسا

فلما زرت كتاب الجزيرة تنقش وجئت به الشيخ محمد سليمان الذي كان معلما محبيا بكتاب دهقا من فتحه سنة ١٩٠٧ عين بجنيين ووحلت ماهيته في سنة ١٩١٩ ثلاثة جنيهات وقيل من وطنه مع ان القانون لا ذلك لا يجيز قتل المعلم المحلى من وطنه فكتبت ذلك في التقرير الذي حينما اطلع عليه المدير عطليبي وقال لي باستغراب يوجد معلم في مصلحتي أخذ علاوتين في اثني عشرة سنة هكذا وجد - أفت متأكد قلت سماعتك وهل مثلي يكتب الا بعد التأكد فطلب فريد أفندي عطية وأمره أن يعرض عليه حقيقة هذا المعلم وزاد استغرابه

حين لم يوجد اسم محمد سليمان بكل ميزانية المعارف فطلبني ثانياً مكر مصحة ما كتبته قلت الأمر حين نبرق لمساعدة مدير دقلا يعرفنا أسماء معلّمى كتاب تنقّس فرأى مساعدته أن هذا الطلب يوضح المصلحة ثم قال ومادا نصنع لمحمد سليمان قلت هذا مظلوم في أسرة علاولت تجعل ماهيته خمسة جنهيات وننقله لوطنه دقلا أسوة بأفرانه المظلمين فقال هذا التصديل يصعب مرة واحدة ولكن نطلب له الآن جنهيا وننقله لدقلا في أول السنة المقبلة نعطيه جنهيا وهكذا فعل ويرجوئى من دقلا بددت لكردفان وكان ناظر الابتدائي بها الشيخ على أبو قصيصه الملقول لها من عطيرة فلما وصلت الأبيض شق على ابن عمى أن أفتش مدرسته وهو في الدرجة الخامسة وأنا في الدرجة السادسة ولكن تحملت كل ثقله في معاملته كما تحملت غيره وهون على ما أغافلته من أن أحمد! أحمدى محمد صالح وعبد القادر أفندى شريف وغيرهم من المعلمين جلولوا لى حفلة دعوا فيها كثيراً من ناس رفاة بالأبيض وبعض أعيان الأبيض .

لا يزال التعليم عند بعض أهالى القرى مبغوضاً

سنة ١٩٤٠ في هذه السنة أراد المستر من احوال التنق شرايات وفناقل في مدارس البهاق وبندى فعلاً بالصوف الذى يشتري الصوف أو الشعر من الدباغين الرطل بسبعة قروش وفي هذه السنة قدبت لتفتيش كتابتيب دقلا فلما وصلت الأردنّى وجدت المسز درامندهاى تعلم البنات التنق فتعلمته ثم اشترت ياله قطن من الشيخ عبد القادر الحميدى الذى قسامح بترك ربحه فيها ثم عهلت عبد الرحمن أباً عوف بالصوف الضالى عن الشعر سعر الرطل قرشاً ونصفاً وحوثلتهما على خزينة المركز على حساب المعارف وشحنتهما لخرطوم برسم المصلحة (ولا وصلت الخرطوم بدبت لتعليم بنات مدرسة رفاة والكاملين معلمتها) وبعد أن اشترت القطن والصوف وفشتت المدرستين في دقلا أقام المستر دومندهاى حفل لاجتماع كبير لأكتاب لبناء مادنة الجامع بدقلا فقام أبو عوف وخطب محرمات المجتمعين وعرضهم في خطبته بأنى أول سودانى مفتش ومنى وكنت جالسا بجانب الحميدى وهو عنو أبى عوف ومكروه المفتش وقال لى أنا أريد أن أصاقح المفتش ولكنى أخاف ألا يمد لى يده فأقتضع في هذا

الأمر فما رأيك قلت امش لزوجه تاركاً له ومد يدك لها فلا شك انها تصافحك
فان رأيت منه استعداداً لمصافحتك له صافحه والا فاتركه فقام ومد يده للسيدة
فوقمت وصافحته فما كان من المقتش الا أن قام فاحضاً بسرعة وقال له يا شيخ
عبد القادر انت تسلم على الست زوجتي أنا عفوت منك لله ورسوله فوقف
أولاده وأولاد أخيه وتبرع الحميدى في تلك الساعة بعشر جنيهات وتبرع
أولاده بعشرين جنيهاً وقال المقتش والله نحن ربنا ثلاثين جنيهاً ثم اختلى بى
وقال ابى أريد أن أصلح الحميدى وأبى عوف وأرى أن يكون الصلح بمنزل
أبى عوف فقلت لجنايه !.. أبى عوف فقير لا يعمل مصاريف مجلس الصلح
والأحسن أن يكون بمنزل الحميدى فوافقنى ولما دخلنا ديوان الحميدى
وجدنا كل أرضه وسقفه وجدرانها لون أحمر الأرض بالسجاط والجيد والسقف
بالبرص (فرك حرير) والجدران بالسافونه (نسيج أحمر من القطن) وبعد أن
شربنا الشاي بالكيك المؤتى به من القاهرة والقاهرة قام المقتش ورضنى من
دراعى وقال لى قل خطبة الصلح فقلتها بالدارج ليهم جنايه ما أقول ومعناها
أن سعادة البك هنا نائباً عن المدير ودولة الحاكم العام وقد اهتم بصلح رجلين
دوى عائلتين كبيرتين فى هذه المدينة فمن قهر هذا الصلح قهره وأعطاء فى قلبه
وأجبه برفع جنايه مكاتته ورضى عنه ومن هفضه فقد احتقر جنايه فهو يسقط
مكاتته ويحركه عرك الأجرى (ودككت الأرض بجزمتى وقلت هكذا) فقام
جنايه وقال أنا أريد كما قال الشيخ بابكر بدرى وتصافح الخصمان وتمرن
الجمع .

ولما رجعت الخرطوم تكلم ملى سعادة المدير فى انه ضم اسى الى اللجنة
التي نمر فى الجزيرة للمشروع بتصيد للأهالى واقتناهم بفائدته فقلت لسعادته
ابى غير مقتنع بمائدته فغضب وقال لى أنا صاحب الماء وأنت صاحب الأرض
(مرضاً) هل أرضك لها فائدة قبل سقى مائى لها قلت نعم لها فائدة سيية لأن
العشرين قرشا التي تعطى فيها أجرة للجنة هي أقل من أجرة أردأ نوع من
طينى أما أجوده (اللقد) يؤجر بجنيهين الجدة . أما ماؤك لا فائدة له غير
طينى لأنه يصب فى البحر الأبيض المتوسط . فغضب اسى من كشف
المدونين ثم قال لى بهنوء لو كنت الحكومة كيف تسير فى المشروع قلت كنت

أقسم طين من يملك خمسمائة جعدة فما فوق وأحسد لهم طينا من أطياف الحكومة التي لم يلحقها الري بسر الجعدة جنبها واحدا فلا شك أن كلا منهما ينشئ حلة ويحمر بها يثر يسكنها الناس ولو بعد حين فأرجح للمشروع عمالا أن لم يكن للزروع والحقن لشغلهم بزروعهم المطبوع فمضمونون للجنى وهو أهم المواسم وأفيدها ثم أحول ملكي من الطين لمشروع بمنطقة واحدة أخصصه لزراعة الفطن وأزيد به نصيب ما يقل نصيبهم عن الخمسمائة جعدة واجعل نصيب ذوى الانصبة الكبيرة في منطقة منفصلة وأفرض على الفدان أربعة جنبها سقيا وضربة وأحل لهم يزروعون ما شاعوا بواسطة أهلهم الخصوصيين فهو رأسه وبارحت سعادته لكتبي .

برجوعى من دقلا اتدبت فتحت مدرسة للعلويين كطلب جاب المستر باردسلى وأختر لها حلة التمدد لأها متوسطة وكوتها حلة الناظر فسكنت بديوان الشيخ الأمين مساعد الناظر وشرعنا حالا في ضرب الطوب الذى كنا نشترك في قله لمصل الناء أنا والناظر الأمين مساعد وعنه يوسف أبو من الذى يربو عمره على السبعين وذلك لقله العمال فلمعا رأيت ذلك طلبت من المستر باردسلى عسكريين وجعلت على كل حلة تفرين يوميا وكان أولاد العلويين كبيرى الألفة يرون الخدمة في المدرسة عارا حتى جاء النور على ولد يدعى محمد زين متكبر فرفض الشغل فأرسلته للمستر باردسلى بجواب وعسكري فسجبه برفاعة مبيعة أيام وأرسله يعمل بقية الخمسة عشر يوما كمحبوس في خدمة المدرسة وبالليل يكون في حراسة العسكريين وبذلك سهل لنا وجود العمال الذين كنا ندفع لهم أكبر أجره

فلما سمع الشيخ ابراهيم عالم بناء المدرسة بالتميد طلبنى بطلته التى تعد من التميد نحو ثلاثة أميال وقال لى يا بابكر تريد أن تخرب خلوات القرآن بالمدرسة ؟ قلت . لا يا مولاي أشتري لك ان الولد الذى يقرأ القرآن لا قبله بالمدرسة فسر وقال والله هذا صلح الحديدية ودعا لى بخير وحينما أكمل بناء المدرسة طلبت من المعارف الإمدوات فجاءتنا ولكن لم يأتنا أحد يقيد اسم ولده فسألت الناظر عن السبب فقال الناس لا يرغبون تعليم المدرسة فقلت له والله العظيم المستر باردسلى ان لم تفتح المدرسة بعدد لا يقل عن الثلاثين ولدا

سيمزلك من النظارة ويولي غيرك هل تخسر الحكومة مثل هذه المباني وتستمر
بعدم رعية الناس . قم بنا نمر بالحلال فمرنا بنحو عشر حلال فما وجدنا من
رغب لولده تعليم المدرسة فلما رجعنا قلت للشيخ الأمين أكتب مساعد ابنك
وأبناء أخيك وأختك فكتب خمسة فنصت الكرة وأعطيتهم إياها وعلمتهم كيف
يصربونها بأرجلهم فسروا منها سرورا عظيما فقلت ادخلوا بها في الحلة وكل
ولد يريد يلعب معكم امنعوه حتى يأتي به والده لى فيكتب اسمه حتى تتركوه
يلعب معكم ففى هذا اليوم كتبنا اثني عشر ولدا بهذه الطريقة وفى المدا دخلتهم
المدرسة وصرفت لمن يعرفون منهم القراءة كتب المطالعة بحسب رسوم وتركهم
ينهبون بها لبيوتهم وصرفتهم بعد ثلاثة حصص حوسناها عربى وحساب وقرآن
وأعطيتهم أجزاء « عم تسألون » والجزء الأول من كتاب الديانة للشيخ أحمد
الأمين وفى العصر بدأت معهم لعب الكرة على نظامها وقسمتهم بالتساوى
وعينت « الجوالين » بطوب وعودتهم على رمى « الجول » بقوة والباقيون
يعرسون . فلما رأى الآباء الكتب التى يقرءونها « رأى الأولاد لعب الكرة
كمل المدا فى أربعة أيام خمسة وثلاثين ولدا واقتنع الفقير عبد الله أبو الحسن
الذى كان مقبلا لهم تعليم المدرسة ولما حضر الناظر والمعلم عملنا احتفالا فنحت
المدرسة رسميا بعدة على يد الفقيه عبد الله نفسه وافتتحت مأموريتى لكن فى هذه
الخمسين يوما التى مكنتها بالتميد ظلمت منظومة البديع من ثلاث كتب
أحدها لعبد العزيز جاويز والثانى لحسن بك توفيق والثالث لعمر بك فتحى
ـ فأخبرت من كل كتاب أحسن ما فيه لأنى أخبرت أنى سأعلم مجموعة من
معلمى الكتابيب فى عطلة هذه السنة علم التعليم بأصوله وفعلا جمعوا لى عشرين
معلما أغلبهم حفظ أكثرها وامتحنوا فنجح أكثرهم ، وهالك هى :

علم الترية وتعريفها والغرض منها

- | | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| • ترية هو غرضا بالطقس | • ليلفن كماله بالتفصيل |
| • فى الجسم والمقل وثم فى الأدب | • وذى الثلاث مبلغات للارب |
| • وأفضل الأغراض منها ما قصد | • به الكمال مطلقا فليسفد |
| • وكلها يعضها قسب تربط | • كالجزء والكلى بمعنى تختلط |
| • اذ صحة العقل بصحة الجسم | • وحسن الآداب نتيجة العلم |

عوامل التربية

- | | |
|-----------------------------|------------------------------|
| • بيئة عامة ثم المدرسة • | عوامل فأسرة والاخوة |
| • سياحة ولتلق المقاصد • | طبيعية وكتب جرائد |
| • أو خلقا وما تردى اسفلا • | ما طالب منها ينمى جسما وعقلا |
| • تعليمه لينمو عقلا أولا • | وقدموا تربية الجسم على |
| • فيحسن التدريج فيارشادها • | لأن نفسه على استمدادها |

النظام

تقسم المؤلف النظام الى قسمين وهما نظام الحكومة ونظام المدرسة وبين كل وطريقة سيره :

- | | |
|-------------------------------|---------------------------|
| • في نشر تعليم لنفع النشء • | ويؤزم النظام قبل البدء |
| • في التهم والأخلاق والنماء • | لأنه كالأس للنساء |
| • لحفظ أمن ما يشاء المنفذ • | حكومة نظامها يتنفذ |
| • واضعه يراعى فيه القهرا • | وجعله فلا يمد عذرا |
| • ليكفل للطفل خلقا حسنا • | مدرسة نظامها قد كونا |
| • ترتيب سير محكم بالارتواء • | ليس النظام في المدارس سوى |
| • ويكرم السلطة باعتراقها • | قد يجمع القلوب بالكتافها |
| • وبين عتفه ثم لين صيته • | منميا للآلفة الحقيقه |
| • في كبر أو غضب أو انتقام • | منظما لشهوات للسلام |
| • تناسب الصغير طبقا حكمت • | ملازما طرق أصول عينت |
| • في بذله الطاعة للمدرس • | اذ حظه من النظام المدرس |
| • لا الخوف من رعاية المراقب • | أساسها احساسه بالولجب |
| • حتى ترى في سره وجهه • | فتفترس الفضيلة في صدره |
| • محبا للأعمال والوقارا • | ولا يرى في الاستتھام عارا |
| • وطاعة الخوف تعلم التفات • | فحب الحق يؤسس الوفاق |

واجب العلم

- | | |
|----------------------------|------------------------------|
| • أميال أطفال لهم قيد درس | • وواجب للمعلم أن يدرس |
| • مكانه ما كان من ضلحسن | • ليمحون سينها ويفرسن |
| • حب الصغير للتحرك دائما | • من أجل ذا فينبغي أن يعلموا |
| • غير مراعاة سببا في العمل | • وحب الاستطلاع ضعف العقل |
| • وسرعة الحفظ بلا فسيانه | • وحبسه القوت على آثراته |
| • محبة التفصيل الأولى به | • وضعف تمييز لدى المشابه |
| • فيهم المثال لا المشلا | • وانه اذا اليه مشلا |
| • مقلدا في بجهه أو خسر | • مهتدا من نفسه أو غيره |
| • فتم فيه التربية القويمة | • ليس له رأى ولا عزيمة |
| • يقهرها ويذهبن نشاطها | • ونفسه قد يقبض انسياطها |
| • قد يصرن اصلاحه ما غلطا | • وانه ان يحفظ المطلبا |
| • وبالنظام يلهوا وتحكم | • أخلاقه تكون وتمو |
| • لدائه من داخل أو خارج | • مذ عرف التشخيص فليعالج |

القانون المدرسي

- | | |
|-----------------------------|----------------------------|
| • مواده موحدا للمعلم | • وواضح القانون فليقل |
| • يرلقبن تنفيذه اذ يقصدوه | • ويزن الأمور ثم يصيرونه |
| • عاقبه ميتا تحديده | • متى تخطى أحد حدوده |
| • أن يهتوا الأمر له انصاعوا | • فانما النشء متى استطاعوا |
| • على الصغار خوف سوء الظلة | • لا يجعلن للكبار سلطة |
| • يتبعها الصغار أو في فعلهم | • بل يجعلهم قدوة في قولهم |

السلطة التنفيذية

- | | |
|--------------------------|---------------------------|
| • وجودا أو علما نسيان | • فطاعة وسلطة أمران |
| • تدرج التهذيب في غايتها | • وسلطة التنفيذ يقصدن بها |

- | | |
|--------------------------|--------------------------|
| • حتى تنافي شهوات النفس | ولا تؤذى واجبا بالحس |
| • وسببا والا تجزى مقتها | متازمن مكانها ووقتها |
| • لأن لم تعد فائدة ملتقه | واستعمل ما استطعت الشفقة |
| • في كل ما أيده أو أسقطه | ولنفرد رئيسهم بالسلطة |
| • وضعها بفشل سيرد | فإن تجزىها إليها مضعف |
| • لا سيما من أجله فيعطب | ولا يعلقين إذا ما ينضب |
| • لا تضرن بما تقول أحدا | وانصص معلما منفردا |
| • وثالثا فعمين بما يليق | وانصصه ثانيا لدى الصديق |
| • أن لم يفد فعد ذلك شهرا | وانفرت به ذا محررا |

التعليم

- | | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| • تعلم يختص بالتعليم | تعليم ما ينفع بالمعلم |
| • وسامع مأكله تعلمها | ما كل ما يلقي دروسا علمها |
| • أصول تدريس رواها من برع | الا إذا كان للمعلم اتبع |
| • معلم مهما يلد منه السداد | اذ قيمة التدريس ليس في اجتهاد |
| • تلميذه فيما إليه ينسبه | لكنها تقاس فيما اتقنه |
| • والعقل في النشء يجيء بالعلم | فكلما زاد شاملا الجسم |
| • بحيث للأصعب يأتي بالسبب | تدرج الفكر بتفصيل الصعب |
| • مستهلا مخافة التأخير | ولا تعطل حاسة التفكير |
| • مهما يطول وجهه قد تصرف | ما ضاع وقت في صعوبة صرف |

التدريس

- | | |
|----------------------------|-----------------------|
| • مدرّس طرقه والدروس | تدريس اسم جامع لنفس |
| • والخامس التلميذ للانفلاح | أي مادة وسيلة الايضاح |

المعلم

- | | |
|-----------------------------|--------------------------|
| • وسيلة القصد ومر التهم | المدرس الماهر روح المعلم |
| • والعقل والخلق ليكمل الرشد | أوصافه ثلاثة ففي الجسد |
| • راضية الألعاب من أعراضه | مجسد يصح من أمراضه |
| • من سرعة أو ارتفاع النظم | وصوته موسط في الكلام |
| • بالمرئي والمسموع طرا يلهم | ونظر كسمعه مسلم |
| • ونشطا يكون بل غيورا | يقلل الكلام والنفورا |
| • ونظفا في الجسم واللباس | منتظما الهندام كالقياس |

العقليه

- | | |
|----------------------------|------------------------|
| • وصحة الأخيار تعذيب النفس | عقليه اتقان مادة الدرس |
| • يحضرن حرمه لكي يفيد | علومه صحيحة مفيدة |
| • حتى ترى كالنهر في حيراته | مداوما ترقى معلوماته |
| • لها للرقيل حتى ترقى | وطرق تدريس دواما يتنى |
| • وعلمه ليقبني بفعله | ويصبح ذا وفرة في عقله |

الخلقيه

- | | |
|------------------------------|---------------------------|
| • حتى ينالوا العلم والكمالا | وخلقه يدرج الألقالا |
| • مجانبيا لسرعة في الغضب | لكونه مشالهم في الإحباب |
| • كثره التهديدا وضرب الجسد | وبالأخص عند تفهم الولد |
| • بجودة الأعمال أو في الشهوة | وحذر الطيش اذا في الدعوة |
| • لئله سواء فليخالف | يفلب الحق على المواقف |
| • ويبدل العطفة بالملاطفة | بل يملك الشهوة ثم العاطفة |
| • ودرهم مكانه دون المعلم | يجب أعماله بل وليحترم |
| • لا يأخذهم بذنب غيرهم | يشارك الأولاد في سرورهم |
| • لا سيما في العون للمسكين | يكون مثل الوالد الحنون |

القاعدة والطريقة

- | | |
|---------------------------|---------------------------|
| • قاعدة تصور للمعلم | • أساس بيان الطريقة أفهم |
| • طريقة التدريس ما توصل | • معلوم درس بطريق يسهل |
| • فيها المعلمون طرا تختلف | • علما نشاطا وتجارباً عرف |
| • لكنهم قد وضعوا قواعدا | • وطرقا تقرب للقاصد |

القواعد

- | | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| • أما القواعد فخمس وثبت | • وخامسة فروعا قد شرحت |
| • محسوس للمقول بأيا قد جمل | • كذلك معلوم لشرح ما جهل |
| • بسيط منه استنتج المركبا | • والخاص قبل العام حين رتب |
| • وعرضنا الأشياء ليختار الاسم | • واللفظ للمعنى وإن يعجز سم |
| • وفرق تلقين وتعليم وجب | • وقرن تثقيف بكل يستحب |

التلقين

- | | |
|---------------------------|----------------------------|
| • التلقين ما يسرد للمحاكي | • من غير تفكير ولا اشتراكى |
| • كنحو مرسوم وإصلاح اللفظ | • تعرف أسماء ودرس للحفظ |
| • ولول شيء نسبة المقارنة | • طريقة التلقين فيها كائنة |

التعليم

- | | |
|--------------------------|-----------------------------|
| • لكن تعليمنا لما يستلزم | • قوى جميع العقل فيها يسواء |
| • ولا يكون وافيا للعرض | • إلا يربط الماضي بالمستعرض |
| • ربطا يحث العقل للتفكر | • ويلفح الشيء إلى التصور |
| • ويحذر التلقين في دروسه | • ما أمكن التعليم في تدرسه |

التثقيف

- | | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| • وسيلة في كسب مالم يعلمها | • تثقيفه استعماله ما علمها |
| • وسير عقل في النماء زائلة | • اذ قيمة المعلوم ذات فائدة |
| • مع بعضها لتحصل المزية | • ورتبين قواهم العقلية |
| • أو يجعل النية في معنى القدم | • من غير ما جهد يضر بالجسم |
| • يسبب الضعف لما منها بقي | • فان تخصيصك بعضا بالرقى |
| • فرتب الطرق بها واعتمدا | • اذا فهمت هذه القواعد |

الطرق

- جميعية استعمالها يروق • بالطرق الاستنتاج والتطبيق

الاستنتاج

- | | |
|---------------------------|-----------------------------|
| • من الشمال للقواعد اعتبر | • طريقة الانتاج تدريج الفكر |
| • جامعة أوصاف حالة دعت | • فأكثرن أمثله قد نوعت |
| • واستتبطن قاعدة متى تثق | • وجادبنه فهمه ثم اتفق |
| • بالحق للمقول والتكثير | • فسيرها طبعي للتصور |
| • وثوقه بنفسه في الفصل | • وقضها تربى عند الطفل |
| • يكون الأشياء بالتصور | • وتحمل التلييد للتفكير |
| • مقتما بصحة الذي فهم | • وتفتحن باب تحصيل العلم |

التطبيق

- | | |
|----------------------------|-------------------------------|
| • ومثلان لترشد الشيء الى | • طريقة التطبيق عرف أولا |
| • سريعة فهما قليلا فائدة | • ادراك ما عرفته أو قاعدة |
| • وان تكن كثيرا ما استعملت | • لأنها عكس التي تعلمت |
| • بلا معنى استعمالها للرشد | • فان ترد سرعة تسليم الولد |
| • طرا وبمعكس تجمعده | • كقولنا العاراة تمدد الأجسام |
| • ليفهم المقول مثلما يحسن | • مثلين بسدها بما يحسن |

الجمعية

- جمعية طريقة قد وقعت
- تعرض الأمثلة القرينة
- واستعملن أمثلة التطبيق
- وهى طريقة لكم قد تكفل
- فيه الشيء لأن يبدو
- مما يؤدى بالخيال وبال حفظ
- ويستعملوا أن للمعلم اذا
- فى الجسم أو فى العقل أو فى العلم
- متى وثقت انهم قد انعموا
- فاستعملن أمثلة لتفهمها
- ممهداً فى أول لبدته
- وبعد كل درس قد يصعد
- واختبرن بعد مقرر تعد
- وبمدها أسئلة التقيف
- فيصلحوا ما أخطأوا فى فهمهم
- كى ما تقوى الفكر والتذكر
- دريهم قبلا على فهم السؤال
- وذلك ما عليهم يعمر
- حتى يسود الاتيها فيهم
- ويسعى من بعض التلاميذ الغرور
- يهمل التأديب خسرهم فهم
- وفهموا ما عملوا فأتقنوا
- مقدار ما غنهم قد فهم
- مرجعاً بعد بيان خبره
- قيده فى أسئلة تقيده
- أو جله وذى لاظهار تعد
- ليعملوا الأفكار فى التكييف
- ويسئلوا ما استظهروا من علمهم
- وقوة الخيال والتفكير
- كى ينشئ جوابهم على كمال
- وأربطن ما مضى بما يحضر
- ونشط العقل دولما منهم
- فيعلم الحق ومعه يدور

شروط السؤال

- شرط السؤال أن يكون ذواضعا
- مختصر عار من لفظ أجنبى
- موقع بالصوت للفظ المهم
- وغير مبتور وعقلا مصلحا
- معين المعنى ومسهل للصبي
- موطن التفهم للموضوع لزم

- | | |
|---------------------------------|----------------------------|
| • يستند كلهم أن يطلبه • | واقه على جميع الطلبة |
| • وغيرهم ممن ترى أن تطمأ • | من الذين يرفعون الأصبع |
| • يساو من لم يرفعه في العقاب • | من يرفعن ولم يطابق الجواب |
| • ان عجز التلميذ عن يياه • | ولا تمد سؤالك بينه |
| • ومقتضى طول الجواب عنه كف • | ولا تشر لأحد بأن يقف |
| • أو ما يكون مرشدا إلى الجواب • | ولتجيب في سؤالك لفظ الكتاب |
| • ولا تكسره اذا لم يلتزم • | أو ما يجاب عنه بلا أو نعم |

انواع السؤال

- | | |
|----------------------------|-------------------------|
| • وفاعل ظرف ومن ما احتمل • | سؤالك عن وصف ومفعول فعل |
| • حصول أسباب كمية • | ومبتدأ ايجاب نفي كيفية |

الجواب

- | | |
|--------------------------------|------------------------------|
| • أو يخطئن أو قط لا يخلوب • | أما الجواب أن يصيب الطالب |
| • للهم عن صفحة أو عن ظهر قلب • | للجملة الأولى تفرس وجب |
| • فليفتن أغواته أو تشرح • | متى لفتننا الله مصصح |
| • أو لعناد أو لاهمال يقال • | وعلم إتهم لمر في السؤال |
| • والأخران هما العقاب يحل • | فالمر يسه بتعير سهل |
| • أو خوفه من ضغط أو استيائه • | وربما كان من استحيائه |
| • أرشده الأستاذ وليلاطف • | أو أعمل الفكر ولم يصادف |
| • ساعده حتى يروب للصواب • | أو أخطأ الموضوع والقول لأصاب |
| • يظهرها الجواب في تناوله • | مهارة المدرس في حاله |
| • يشوق الطفل لقصد المرى • | فليحسن التصرف في كلما |
| • وقوة الحفظ وقوة الذكر • | اذ بعثه يقوى معاني الفكر |
| • مقدار نجاح عمل يقرر • | يولد البديهة ويظهر |
| • صحيحة المعنى بتركيب كمل • | لا يقبل الجواب الا في جمل |

- وقبل ما كان عن فكر صحيح
فانفسا التلميذ غالبا يقرر
لا يسمح لمير مسئول يجب
وشجع المجيب حقاً بالتنا
ويرفض التخمين للكذب الصريح
مداراً لعجزه اذا حصر
في آتة ويحذر العطل المريب
وأفتح لغيره طرقاً للمعنى

المادة

- ومادة الدرس فمعلوم قصد
من كتب يوثق من صحتها
تسبقها غالباً مقدمه
موصلة بنفسها لما يريد
تناسب الوقت وحالة الولد
يجزئن دروس عام قرررت
بحيث لا يأتي بدرس لاحق
أمثاله يطابق المعنى بها
مستعملاً ترتيبها المنطقي في
ولا يخيف الشيء ان ما ذكر
مدرس توصيله ذهن الولد
مراعياً فائدة الشيء بها
مبنية على الذي قد قدمه
تدرسه سهل قول ويقيد
في فهمه وعمره قصد الرشد
ترتيبها العقلي لأسبوع رعت
حتى يكون وانها من سابق
وتكشف الفاض من مقولها
أوضاعها ممهلاً ما يصطفى
توطئة لما يليه من عمر

العرض

- فالعرض نفس الشيء أو شكل الجسم
فالشئ أو شكله أعرض مفرداً
واحسن الرسوم ما المسلم
لأنه يضبط مقياس الرسم
يكون الشكل مجزءاً لهم
مراعياً تناسباً لحجمها
وعلذن في الدرس للوسائل
أو صورة لجزئه أو بالرسم
مكملاً لوصفه قلت الهدي
رسمه أمامهم كي يفهموا
ويوضح الجزء بتفصيل المهم
ملوفاً لنقله شجعهم
منها أفكارهم لفهمها
اذ منه تثبيت ودفع الملل

التقليد

- تقليد كالأصل قول أو فعل
- في الفعل راعى جودة التقليد
- مدرحا للطفل حسيبا جيل
- وان تكن قليلة في العدد
- حكاية أو قصة من تتحب
- تطابق الواقع في نفع الوطن
- يشخص الموضوع في تمثيلها
- ووصف شيء يعرض عليهم
- وأحسن الأوصاف ما يحقق
- مختصرا من لونه وحجمه
- الاتجاج عرض الحسن في أبصارهم
- وواجب تبيينهم للقصد
- بأخسفا البسيط للمركب
- توسع الفكر وتذهب التعب
- و تمتع الشيء لأعظام الزمن
- ويستفيد القول أو تحديقها
- او ما يكون ثابتا لديهم
- من صور الموصوفه معنى يصدق
- مجانبيا متعجب في فهمه
- يتهجوا المقول من أفكارهم
- والسير تلميحيا لما يؤدى
- والقرب للبعد وسهلا للصعب

السبورة

- سبورة لازمة للدرس
- فحاذق لا يكتفى بالسمع
- وليكتب عليها الدرس
- ووضعا أمامهم في البعد
- محلها موافق الضوء ينال
- في الخط والرسم تمال لليمن
- يجعلها المدرس لاذ يكتب
- تتضمن النجاح للمدرس
- بل يشغل الأبصار أن درس رعى
- مرتبا منطقيا وأمن
- كصف بعد الطول للمحدد
- من خلفهم وأقمن خلف التمثال
- ليهم نحو التمثال جالسين
- ييه أو جلها أو يحسب

الشرح

- شرح خواص الشيء فالتقليد
- ترتيب مقبول بحسوساتها
- تصويره أربع طرق أوردوا
- والثاني فالتشبيه في حالاتها

- ووصف فن ضده قد يشرح
كله ربي أين كنا معنا
وشرحك الألفاظ بالمرادف
ولا يقصدن من شرح لفظ سهل
كقولنا البر مكان القمح
والموت روح فارقت للبدن
وجعل تركيبتها لذاتها
وإن وجدت جملة مستطرفة
ويعلم الأستاذ قصان التهم
وشرح تاريخ حكى أو أدب
وأفضل الشروح للمسائل
ووضحن صلاحة المقصود
- حكاية أو مثل يوضح .
 - وظائف كالفن في مهنتها .
 - أو ضدها أو جى بوصف كاشف .
 - في موضع العوض بل وعقله .
 - وفولنا البخيل ضد السمع .
 - باليؤس عبر عن تو إلى المحن .
 - وشرح أجزاء وموضوعاتها .
 - فأخرجها قبل كالمعرضه .
 - في جزء درس ربما به الندم .
 - بعصر مجموع وربط النمب .
 - حرص صغيرة للمسائل .
 - ليرجع الشيء لها في العود .

التمرين

- تمرين للأعمال بالتكرار
بشروط ربط ما بالعاصر
فروض الأعضاء على أعمالها
بسرعة وغير ما تفكير
كتابة صناعة رياضة
والعلمى حفظهم دولت القيمة
يشرح ما سيحفظون أولا
وارشدهم الى طريقة الحفظ
وليسمعوا الماضى ومن يرجع له
- والعلم بالشفاء والتحرير .
 - مبتدئا بالملو أو بالناير .
 - لتحسن الأوضاع في أعمالها .
 - مدرجا كالعمر للصغير .
 - سيرا وقوفا وجلوسا عادة .
 - تاريخا آدابا أجيد تفهيمه .
 - فالحفظ دون الفهم لن يكمل .
 - تجزئه وقتا وضبط اللفظ .
 - أرشد لربط المعنى وأتم عقله .

الواجب المنزلى

- والواجب المنزلى ما يقدر
مطوهم بالحق للمدرس
- تحريره في بيتهم ليظهروا .
 - ويشكر الأب النظام للمدرس .

- | | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| • ثبت المعلوم فيما حصلوا | فالشغوى بغيره لا يكفـل |
| • ينوع المعلوم للمستقبل | يدعو الى استقلالهم في العمل |
| • ويصرف الوقت بغير ساعه | تساعد الشيء على المراجعة |
| • وليستفيدوا بالسوى في حلهم | كى لا يعمل ملل بمقبلهم |
| • ورسم جرافيا وفي هجائهم | حساب تطبيق في انشائهم |
| • من عيشة أو حرفة أو موال | وليشتمل على متاع المنزل |
| • ان لم تجد من أهلهم مساعد | بنهمهم كم ذا له من فائدة |

الاصلاح

- | | |
|-------------------------------|------------------------------|
| • اصلاح تخطيط بدرس حصلا | الاصلاح قسبان فخاص أولا |
| • أو شكلة فيصل من غلطه | في الشغى أذكر قبلما قد غلطه |
| • مجزه واحقة بالهجاية | واكتبن ما يفسدن في البداية |
| • خوف ضياع الوقت أو في بيتك | واصلح التحرر بعد درسك |
| • فتلaffe وموضعا وضبطهم | ملاحظا أسلوبهم وخطهم |
| • مجيدهم والغير أكتب فاصحا | مؤرخا موقعها ومادما |
| • من يظن ليتهدي بالفائدة | مجازيا بعد ثبوته القاعلة |
| • يناقض التأديب أو أحوالهم | والثاني ما يحصل في أعمالهم |
| • حسن السلوك واتقاء خير الصطب | كلا احترام في السؤال والجواب |
| • مهما يكون قدر ماقد حصلا | وليحسنو المدرس التساهلا |
| • يسير بالتعليم مير القهقرا | فتركه التصحيح مهما صغرا |

الاملاء

- | | |
|------------------------------|--------------------------|
| • مصححا في اصلاحهم حسب | الاملاء اسم صادق لما كتب |
| • بما يسمى به بالاملاء الرسم | في كل اسم خصصوا الاسم |
| • ابدل زيد حذف شرط أثبت | موضوعه فصل ووصل الكلمة |
| • والشرح والتعريف قد يثبت | وسائل فالعرض ثم التفتة |

- طريقة الجمعية للقاعدة
مرتهم على المواضيع الجميع
من أول ابتداء لهم من الحرف
وواجب الدروس اذا ما قرئت
ملاحظين قاعدة في رسمها
وكلمات بتدريء مقاطعها
وحذرتهم من لسان يسبقن
وجعل من كلمتين يتدري
ويوصلن قراءة همزة ال
والثاني تنوين ومنخفضا
وواجب الوصل لجزء الكلمة
والثاني آخر الاسم هاء تبدل
كاللام في الذين والذي التي
والهاء مطلقا اذا ما سكنت
ملقنا ما ليس منه يفهم
في كل هذا صغرنا دروسهم
كى يقرعوا ما كتبوا فيهموا
وثالث فصل لهم ماقد وصل
ووصل ما موصولة مستفهما
وكافة حافية همز كلمة الأخير
وآلف قلب في المضمارع
والثاء آخر الاسم اذا ملحركت
مع آلف في مفرد نحو فتاة
ماضى ثلاثي أن بهمز افتتح
وزيد آلف مائه واو الجمع
- أمثلة فهم تمام الفائدة
في كل عام آخذنا ما يستطيع
يكتب جملة بلا زيد حذف
في وقتها بسرعة قد كتبت
كالجيم والفاء ثم صاد ميمها
وبعد فهم يكتبن مجتمعا
عيا يدا قراءة أو يكتبن
لربطها بالعلمي نشء يتدري
ان قبلها محرك ماقد حصل
نحو الى هذا ابدلته واحذف
كذلك ال ونا يوصل ثبت
وحذف آلف ال اذا اللام دخل
موصول الأسماء أو سواها ثبت
أو يسكنن ما قبلها قد فتحت
مستحجا لكل ما قد يعلم
وصفها مما يلزم من محسوسهم
فيسهل الآتي بما قد علموا
وملحقا به وطلن ما فصل
تألفه ومثلن كى يفهما
والفاء في الرباعي ياء يصير
ياء كقبيله ياء سارع
وحركت ما قبلها ها أبدلت
أو جمع منقوص الولا توالهدة
أو ولو أو توسط ياء يصح
والواو في عمرو أو لو فلتصح

التلميذ والفصل

• وبعد الانتهاء فائدة تصب
• في خلقه وعملة المؤسس
• اتصال معلوم لديهم سهلا
• وصحة الأعمال والتلفظ

• ويصنع هيئة ودرسه
• ويواجبه آدوه ملازما
• في وقتها يملك منهم التقه
• من غير عتف منه مهما يأمر

• لا المعلم الفاذا بشير فهم
• وبذلك مجهوده تأليفهم
• أو يرحلونه الى أن يفضا
• لجزره مكان حليم فليؤم

• اذا دخلته فلا تبيع
• ونظم الجلوس كالمقول
• هل أحسنوا لكل منها موضعه

• وتلقى درسهم نجهم
• وأسألهم باللفظ عما درسوا
• تحمله منه اذا ما امتحنا

• وطرقا مسائل والفائدة
• واجبه من غير ما أهله
• وانفذ مطلقا لحقه

• قبل وفي دخولهم أسبقهم
• لكل ما يصدر والتحفظ
• لحفظ أخلاق ولا يدرونا

التلميذ في الفصل نظامه وجب
نظامه المنوي كالمدرس
بسلطة الحب وقدره على
ودوة التأثير بالتيقظ

ويملك علمه وقسمه
فانهم متى رأوه حازما
منظما أعماله والشفقة
يديهم كما يشاء فيقدروا

يرضعهم من ثدي روح العلم
يضبطهم من غير ما يخفهم
هل مثل ذا يحتاج منهم ضربا
غير صار عذروا ومن لزم

والفصل في الأعمال قبل الدرس
وانظر الى شياكه المقبول
والعظ لكل مابه من أمتعه

وأبدأهم بما يؤمن روعهم
والمهم أن يفظوا أو يحسوا
كل له مكانه قد عينا

والدرس دواما راعيا قواعد
لا تأمن التلميذ في أدائه
وحافظن دائما لرشد

متى تتم حصه أخرجه
أعمالهم علاجا التيقظ
أجعل لهم من أهلهم عيونا

وفائدة تهذيب الأرواح وهي مراد القول للانصلاح
وغفلها بقدر ما يحصله معلم من وصفه فيوصله
في علم تلميذ وحاكى يمله والفصل كل الفضل في المعاملة
وحاصل "الفصل" يا من درسوا ميدان سبق جريه ما تفرسوا

الانتباه

توجيهك الفكر بأمر خارجي فالاتباه القسري منه عاجل
عقل الصغير غفلة أو كسلا أو كرهه التلميح أو أن ملأ
عوامل القسري خلتها أولا في جلب احساساتهم وسائلا
مفرق مزمار حلول طمسه وفاقع لون غريب رسمه
غلب الأفاضيل وضع اللعب وكل ما يشوق نحو الطرب
واستعمل لكل وقت ما ترى مناسبا حالا مكان عسرا
ويكثرن في الطفل أول النهار أو صعة أو طمعا أو باختيار
يمرقة في الجسم ضعف البنية وداقة الفناء وقرب الجلبة
رداءة الهواء والغبول بقاء جسم زمنيا يطول
في وضعه من غير ما يعرك أن خمود الجسم عقلا يملك
والمقل منه الكسل المطبوع ذكاؤه أن غره متبوع
تركيب عقله وعلمه الفرس أن يسجن عن فهم مائة حبس
وعلم اعتقاده المعلما كرامة بنفسا وعرضا ظما
فالقسري بالطفل الصغير أليق والاختياري بعد علم يعلق
بالقسري أوجد فيهم اراده حتى ترى بالاختياري علده

الانتقاد

الانتقاد لمن ماقد وجسدا من ناقد ليرشد المتقدمدا
ودرسه ماعده المطالب ليعلم الاحسان والمثاب
فلا غنى عنه لتطبيق العمل للبتيدي منها حوى علما حصل

في هذه كأنما له جعل	وشرطه في الناقد أن يمتد
بمحل اخلاص ورفق عبرا	وجبه أو كرهه ما أثرا
موضعا متشاها أو سميها	وليذكرن معاسنا مثالبها
وليس خطأ كله مستعملا	إذا لا يكون درس قد كاملا
فبعض ما أعده له قد	وليعلمن أن من له قد
لربكة الفكر وخوف الزلل	لا يحصين ما يصورن من عمل
حطه في ذوقه منه يغد	لكن من يسمعه مها اعتمد
بغوزه أو خيبة فيعلمن	لأن مقوده قطعا يشعرون
فيستفيد العاضرون ما لقي	اخفلقه بغير طرق يتقي
وبعد تكميل ربه للرؤس	وشرط مقود فتضيق الدرس
أو عرضه معاسن اجتهد	وانه يفسرغ في اعبداده
طريقة يكثر من اصلاحها	يسهل المادة في اصلاحها
ويشرح الموضوع كما يعلق	ويمدن وسائل تشويق
وكل تلميذ أخجل ينصحه	يلاحظن اخفلقه فيصلحه
ويطلب المزيد فوق ما اجتهد	ولا يسيء ظنه بمن قد

في هذه السنة تاب عن الحاكم العام جاكسون باشا فلما عمل الحفلة المعتادة سنويا دعاني لحضورها وأرسل لي عربة السرايا لأصل بها فركب ممي سعادة المستر « يودال » وقال لي حينما ركب : أنا اليوم في جاهلك • فقلت : استغفر الله • ثم قلت دولتي تقطع بوصولي في حقيقتين ورجوعي أن كان بها حقيقتين ودولتك التي انتصت بها للرجة وظيفية التفتيش لا تقطع وهي التي تستحق أن أقول في جاهلك • فلما وصلنا قابلني سعادة الباشا أحسن مقابلة كما عودني كلما زرت مروى ووجدت معه سعادة المستر كروفوت الذي مارحني بقوله : سنحملك على المعاش فقلت له على الفور : المعاش يا سعادة المدير هو الموت الأصغر فضحك الباشا ضحكا عاليا ولمنتني بقوله : انت بعد عشرة سنين حتى تحال للمعاش وقملا حصل ذلك في هذه السنة جاء الشيخ الهادي الحاج الأمين

داخلا الى مكتب المفتحين العربى ووضع شمسيته خارج المكتب فبحث للمكتب
 ووجدت الشمسية فأدخلتها وسلمت على الشيخ الهادى وطلبت له ليموناده
 وجلست بجانبه على الكتبة وقضيت له ما جاء قاصده فلما خرج قال لى الشيخ
 أحمد الأمين لا تعامل المشايخ مثل هذه المعاملة يحترقك قلت لجسارته لأن
 يحترقونى وأنا أعمل عمل الكرام خير لى من أن يحترمونى وأنا أعمل عمل
 اللئام . والله يا مولاي أنا لا أرى الرئاسة سيادة وانى أراها آلة ارشاد وانى
 أوصى أولادى فى الدراسة حينما يتوظف الواحد منهم يا فلان اعتبر الوظيفة
 كحرفة فى السوق تكتسب منها عيشك ولا تتكبر على أحد فانك تعمل لتقوم
 انت منهم وأنا سودانى للسودانيين فمن ذلك اليوم صار يحترم كل من دخل
 عليه فهو والحق أقول رجل عاقل كريم فى طباعه موزون فى كلامه .

فى هذه السنة طلب منى المستر هالسن أن توفيه كتاب مطالعة باللغة
 الدارجة لتلاميذ الكتاب وحسن لى ذلك كما عندهم فى اجطرى فقلت له
 وللمستر همى أليس غرضكم أن الكتاب يكون من النوع الذى بمجرد
 ما قرأه الولد يفهم معنى ما قرأ قال نعم . قلت لكما على أن أجمع كلمات
 فصحي مستعملة فى الدارج وأؤلف منها كتاب مطالعة فرضيا وتبيت كلمات
 القاموس المحيط وأخذت الكلمات المقصودة فحصلت منها سبعمائة وسبعة
 وخمسين كلمة ألقت منها كتاب المطالعة الوطنية الذى من ضمنه درس فى أسماء
 القبائل السودانية والذى منها الدافلة (نوبا وعرب) فلما ظهر الكتاب قال
 أحد المضلين الدين بعثهم الله للفتة بين إلبادقال للدافلة ان ولد بدرى سبكم
 سبة عظيمة حيث جعلكم نوبا ففضب بعض من الدافلة بأمر درمان وشسكوا
 لمدير المعارف ومدير المطاريات ولكن لم يبالنى واحد من الدافلة ولو بتعيس
 الوجه وأصبح الناس يفرصون بما لحقنى من الأذى حتى وانى جئت من مدنى
 فقال لى مدير المعارف جاءنا خبر أن الدافلة هجموا عليك بمدنى حتى رافقتك
 الحكومة بحرس أوصلك المحطة فقلت والله العظيم يا معادة المدير الى اليوم لم
 يصلنى سوء من الدافلة ولا بكلمة مسيئة من طعنهم أو سقيهم فقال لى نريد
 أن نأخذ الورقة التى فيها القوسين من الكتاب ما صرف منه وما كان بالمخزن
 قلت لسعادته لا شأن لى بالكتاب . المصلحة أمرتنى بتأليفه وأعطتنى قيمة تعبى
 فى تأليفه وعينت لجنة لتصحيحه وتولت طبعه لصاحبها . أما لو كان هذا الكتاب

ملكى وغضب على واحد من أصدقائي لأحرقه بأكمله . وكان المسترهن كلما يلاقى يعنى سباتى وإجماى يده إشارة الى القوس فقطعت أول ورقة من كتاب ييدى وكتب منشورا وانتهى الموضوع . كنت عملت كتاب ميسادىء التهجي برفاعة للبنات من هذا الكتاب فلما قلت للخرطوم مفتشا أردت أن أعمم فائدته بالكتاتيب ولأجل لا أستبد بفرضه على مجتمع المعلمين وأجمله عرضة للتجديد والانتقاد عرضه على كبار معلمى المصرى الذين تبرعوا من وقتهم الخاص لأن يحتضروا فى أوقات عينوها بمدرسة أم درمان الابتدائية وأذكر من أشتروا فى التصحيح المشايخ عمر اسحق (الذى عرضت عليه بدأه وهو مدرس بمدنى فنهى الى أن العمل لا يجوز حذف المد فى آخره ليكون حرفين نحو حرى ورمى وكان غرضى من حذفه تسهيل بدء الكتابة وإن حذفه مستعمل فى لغة ألبيت الداريجة فوافقته وجعلت تربيته الجديد)

ومن المشايخ عبد القادر المصرى والأبى أحمد ابراهيم وأمين مكى وحسن أحمد الذى رآه برفاعة حينما مرنا عليه معا فقهاء الحيوانات ليستعملوه بخلواتهم وقد سألهم كثيرا فى صعوباتهم السابقة . فأعادت الجمعية فى تنقيح الكتاب فائدة عظيمة فغيرت وحذفت وراحت حتى صار مفيدا لستى أولى وثانية ولما عرضه للمعارف لاستعماله شكلت له لجنة رأسها الشيخ عبد الرحيم حامد فلم يهره تلك اللجنة ولا أدرى لماذا لم يهره . ولا أدرى للسياسة دخل فى هذا الرقص الذى كان معظم اللجنة ممن صححوه ويمكننى أن أقول أن الشيخ عبد الرحيم لم يجرب تعليم الأطفال ولكن الانقلاب بطو سنة أولى فى الكتاتيب كم فى عن المدافعة لهذا الكتاب المفيد وقضت عليه وفيه الأمر ومأستأف استعماله فى روضة الأطفال بالأحفاد للأحفاد .

فى هذه السنة وأنا بالكتب وصلنى طمرا ف باسم الشيخ محبوب مالك نصه (منصلكم بقطار اليوم بالمائلة جميعا) فطلبت فى الحال عبد الطيف أفندى يوسف زوج عديلة بنت المرحوم ابراهيم أفندى كامل وطلبت منه مفتاح يتهم القديم على ضيق فيه فمرقنى انه قد أجره أرمى تاجر ليتزوج فيه وقد أعده بتيسيف جذرائه ومسح أبوابه وشبابيكه بالبوا . قلت متى يتزوج قال بعد اثنى عشر يوما قلت تستأجره نحن أسبوعا ولحدا . قال أجرة الأسبوع

أربع جنهات سميت لأم درمان فلم أجد بيتا خاليا يسعنا بقطع النظر عن لياقته ونظافته لأن سكان أم درمان لم يتجهوا لأعداد منازل للايجار فالتجار أمام رد فعل غلو البضائع التي كسدت ومن توفرت عندهم الأموال ولم يصبها كساد هم المزارعين وأرباب البهائم وهذه لا علاقة لها بأم درمان أما المستخدمون فقد خصصت الحكومة منهم نصف علوة الحرب وضمت النصف الثاني للماهيات ووقعت سلفيات البناء فالقرب منهم يستأجر بيت (سلفه الوطني) فما وجدت غير عرفة ولحمة في بيت خرب للرحوم حمد الكردي بجوار الشيخ النسا فبتعام الأسبوع قتلناهم لها وحشرناهم فيها حشرا يتنون ولا يرحمون ويندمون ولا يقالون وصرت كل عصرية آتت لأم درمان حيث لا تلفون حينئذ للتخاطب حتى حصلت على منزل الشيخ علي حمدي به غرفتان صغيرتان وديوان خارجي بالقرب من مدرسة البنات الانجليزية ببجيه ونصف في الشهر وما سكنا فيه أكثر من عشرين يوما لأنه كان موبوءا بالناموس الكبير الذي يفد اليه ليلا من المعازن التي يصفقه الملوحة بالطود التي يجلبها التجار من بحر الغزال .

الناموس الذي لم تعجزه الناموسيات فخرجنا منه حيث أجرة منزل كوركيجيان المركب من ثلاثة غرف متصلة ببعضها وغرفة صغيرة جدا مسكن بها الشيخ مجذوب ومسكن في الفرف المتصلة أحمد بدرى بمالكته ووالدته بأولادها .

في يوم ٢٠ أغسطس من هذه السنة ولد ابني محمد برفاعة وهو يوافق يوم عيد الحجة سنة ١٣٣٨ . طلبني سعادة السيد أخيرني بأن أخطب لنواب الأمير بمدرستهم هذه السنة فحضرت الخطبة فلما تحدثنا في مسألة المشروع تركني من ذلك قبل أن ينظر الخطبة . في سنة ١٩٢٠ سميت من قسسى وبوحي قلبى أن أوفق بين السادة الثلاثة السيد على الميرغنى والسيد عبد الرحمن والشريف يوسف الهدى الذين اعتبرتهم حكومة السودان أنهم الرؤساء الدينيون وأكثر البلاد من الناحية الروحية متقادة لهم وإن تفاضلوا في قلة الأتباع وكثرتهم فبدأت الكلام مع سعادة مدير المعارف (حينما كنت أجهل سياسة فرق تسد) فقلت لسيادته (يياطة من يجهل السياسة ويخلص في القصد) ألا ترى سماعات لو اتفق المتخرجون الدين بدأوا يخرجون على أهل العقائد الدينية والأشراف الثلاثة الذين اعترفت لهم الحكومة أنهم الرؤساء الدينيين في البلاد وكونوا كتلة واحدة يرأى واحد يديه الكبار ويغذه الصغار رأيا يتفق عليه

المتعلمون وغير المتعلمين وتجريد الحكومة سواء فذلت ما جاء به هذا الرأي أو أجلته أو على الأقل فهمته وأهملته لوقت بعيد يكون مساعدا للحكومة في سيرها بالبلاد (به دكل هذا كان جوابه) إذا كان رأيا مجتريا فالحكومة ستحترمه . اضطرت من هذا الجواب القصير الحازم من سعادته المههم عندي فقلت لسعادته . أتأذن الحكومة لى بأن أسعى في الجمع بينهم قال لا مانع لدى الحكومة فسميت بأن بدأت بالأشراف وزورت السيد على بطة الباقوة وقلت نه في خبوة أتري أن المخرجين كأباثهم يستقونكم تفهرون وتفصون قال لا أظن قلت أنوافق على أن تجتمعوا بهم وتكونوا معهم رأيا ولعلنا نهدموا للحكومة قال لا مانع وهذا جميل . وبمثل ذلك قابلت صاحبيه وفعلنا عقسدا المجلس بادى الخرجين وكان رئيسه محمد الطيب المفتى فأنبرى بعثمل الموضوع عبد الله حليل وأحمد عثمان القاضى واسماعيل فوزى وخرجنا أبعد مما دخلنا من الوفاق .

سنة ١٩٣١ حضر لسعادة المدير الشيخ الطيب الشيخ السيد وطلب من سعادته عمل مدرسة بطة أم ضيان وأخذ المدير رأى في ذلك فخطبت الشيخ الطيب قائلا هل الخليفة حسب الرسول يوافق على هذا الطلب قال الطيب نحن نضحي أولادنا لخطر الخليفة حسب الرسول . قلت لو عملها دون رضاه فهل تضمن نجاحها فسكت قال لى المدير وما رأيك قلت تكتب خطابا للخليفة من سعادتك ليوافق على عمل بطة نظامية فإذا وافق ترفعها لكتاب بعد سنتين . قال الشيخ الطيب والأولاد الآن قلت حضرتك غنى مستطيع تعليم أولادك بكتاب الكامل فوافق سعادة المدير . كتبت للخليفة كتابا لطيفا يوافق دوقه ووقع باسم المدير بالانجليزى وحملت بنفسى ولما قابلت الخليفة وفتح الطرف ورأى التوقيع بالانجليزى رجعت يده ولما قرأ الكتاب ارتبك لمساته ثم بعد أن هدأته قال لى عدا نجتمع ونزد للمدير . مشيت لمترلتى التى أعدت لى بجوار القرعة الجامعة للدرس نهار وبعد أن نمت أيقظنى من النوم صوت الحيران بقولهم (أرقد أرقد) تبعت الصوت فلما وصلتهم تذكرت حالتنا فى الصبا حينما كنا نلطف من يلطف بمثل قولهم خشع قلبى وقلت لا يسعى في تخير هذا المسجد الا من كتب الله له الشقاء ولا أكونه أبدا فأهينحت تتجاذبنى تنفيذ أمر المدير أو تنفيذ غرضى على ألا أكون المغير لمسجد ولد بدر العتيق

الجامع لأنواع الخطة لكتاب الله وبعد رأيي اهتديت بأن أوفق بين الاثنين والحمد لله كما يأتي . طلبى الخليفة ووجدت معه أخوه عمر وحالد والشيخ صالح تاي الدين فقال لي نحن اتفقا على الرد بالرفض بتاتا قلت أنا أوافقكم بعد أن أؤكد لكم أن الذى يسعى في إضعاف هذا المسجد فضلا عن تغييره الى مدرسة ليس هو ابن حلال ولا نصيب له في الدين الخالص ولكنكم واقفون على أن تدفع تهمة التعصب الدينى وقتل باب سؤال الحكام عن سبب الرفض اثبات أن ربما يصادف المسئول من أعدائكم فيلس الرفض ثوبا يسمى الظن بكم وتوجه الحكومة نظرها لهذا المسجد العتيق العظيم قالوا وما رأيك قلت تكتبوا أسماء عشرين ولدا من أبناء الشيخ المييد وتدبوا لنا واحدا من أولادكم الذين يحفظون القرآن أو قريب من حفظه فأخذه للخرطوم نمرته على الحساب والنفقات والعبادات وطرق التدريس اللازمة للخلوة وبعد شهرين يأتي ويفتح الخلوة ويتباطأ في العمل وبعد سنتين أكتب أو الشيخ عمر اسحق الذى أوصيه بقفلها كما هو الجارى في كل خلوة لا تؤدي واجها فرضوا بذلك وكتبوا أسماء الأولاد وعينوا لنا عبد القادر ولد الشيخ صالح تاي الدين وجده لأمه الشيخ المييد . وبعد سنتي قفلت فعلا ورفض الخليفة مرتب للفقير من الحكومة من أول مرة . ولما خرجت من حلة أم ضياء لقيني الشيخ الطيب ومعه الشيخ الجبلى البسامي ، الأول نظر القسم والثاني وكيله فالح الناظر في الرجوع رفضت معتبرا بضيق ميعادى مع المدير فأخرج جنهين ورق وقال لي خذ هذين قلت لم أستطع أخذهما قال لي تكبر على الأخذ مني ولم تكبر على المشاقق أبو القاسم وأخوه الطيب والشيخ محمد البنا . قفلت نعم أنكبر عليك لثلاث تسمى عليهم واني لا أراك أحسن منى حتى أضع يدي تحت يلك وضربت حمارى ولم أودعه . وكان اليوم يوم جمعة فأدركت الصلاة بالميلفون فخطبت في المصلين بأن يطلبوا من المعارف مدرسة وضمت لهم التصديق بها بلسان سعادة مدير المعارف فرد على حامد على بالقبول ورفض العملة محمد عبد القادر وحرجا بالصمت الخليفة أحمد والفقير بلال فمكثت معهم كل يوم الجمعة وضمت للخطبة ثمين ولده بكلت مدرسا بها بمرتب أربع جنيهات مما ثم يسبق لحلم مطلى أخدها في أول تميمه فرضى قفلت الحقنى غدا عند مسدير المعارف وهو صاحبك وسأخبره أنا بما حصل فحضرتك تؤكد كلامي أما بطلب

المدرسة أو بالمواقفة فهاهنا على ذلك وحضر فعسلا ووفى بالمواقفة
 من المدير جدا بفتح كتاب بالعليون لها ولأم ضبان وفلا لعقت المدة بمد
 أسبوع وقضيت بالعليون أسبوعا كاملا لم يستمر في رفضه أحد غير المدة
 الذي أهملناه وأجرنا منزلا وما أقوى تأثير صاحب البيت الذي يؤجر على
 أسدقائه بالمجاملة له لينال المنفعة فيكون هو وهم دعاة تفتح المدرسة كما
 حصل في كتاب مقرات وحلما دغيم • عينا لها الشيخ صديق عبد الوهاب فاظرا
 والشيخ بركات مدرسا وسلمتهما الكتاب وبارحتهما للخرطوم •
 « بدأت أكثف سياسة الاستعمار التعليمية وأختلف مع رؤسائي الانجليز »

وفي هذه السنة قررت المعارف تعميم الطريقة التي جريت في النيل الأبيض
 من جعل تلاميذ الفصل بالكتاب خمسين تلميذا ولا يسمح ببيت أكثر من عشرة
 في المائة وأن يجلسوا في البروش في الأرض بدل التخت صارضت واحتججت
 بعدم استطاعة المعلم القيام بهذا الواجب اذا لم يزل مكلفا به أما اذا تساهلت
 المصلحة في تحقيق التيش فهذا ما لا اظنه فيها وافق أن مشينا معا لتتشين
 مدرسة أم درمان فوجدنا الشيخ التجاني محمد هاشم ممسكا للؤشر ويتقل
 بين الأولاد الخمسة على الأرض ليسكتهم من الكلام وليحفظ فيهم النظام
 فلم يستطع فبهت سعادة المستر هسي فرآه بهذه الحال فقلت لمساعدته اذا كان
 هذا من المعلمين القداماء وهو عاجز عن حفظ النظام وترك الكلام فكيف يعلمهم
 فأخذني ناحية محزن الكسب وقال منفردين هذا العمل سياسيا فلا تتكلم فيه
 فوضعت راحتي على فمي وقلت ما دام السياسة دخلت في التعليم لا أتكلم
 بمدها وأشكرك على هذه النصيحة • طلبت من سفرة بالبحر الأحمر لأرافق
 المس ايفنس لرفاعه ومعنا المسز كروفوت الماكلة المؤدبة فلما فتشت مدرسة
 البنات المس ايفنس التفت الى بلا مجاملة وقالت لي يقولون الشيخ بابكر
 الشيخ بابكر (مكررا) أين تيجتك قلت لها وأنا باسم تيجتي مجيئك للسودان
 فأنا الذي أمالك بعدسة أو سنتين أين تيجتك وانتظري ذلك فغضبت ولكنها
 سكنت وفي غد طلبت مني مدام كروفوت أن أطلعها على نساجي الدمور
 وشمال الصوف • مررت بها على نساجي الدمور برفاعة وأخذنا عربة لقرية
 الهيكة لنسج الصوف والمس ايفنس معنا فلما رجعنا مررنا بالطريق بأشجار
 النعوت التي كانت حاملة أصابعها البيضاء الاسطوانية التي تشبه العشرة التي

في بطنها بدودة التز وحشو أصابعها بالحرير الواصل النوع فأوقفت مصادم
 كروفوت السواق وتزلت قطعت بمضوتها جانباً من هذه الأصابع حتى طعنها
 شوكة الشجرة وأدمى أصبعيها فركبت وأخذت تقترح للمس إيفانس • والمس
 تلهو عينا فاستدليت من هذه المعاملة قلة مجاملتها حتى لزوجة رئيسها ومنتهضها
 فلم أعد أحس فيها خفا ولا أتنظر منها مجاملة وإن قلت • فلما رجعنا للخرطوم
 سألتني المدير سؤال منتقد عن قولي للمس إيفانس أنا الذي أتنظر أن أسألك
 النج منكر هذا الجواب فقلت لسعادته لماذا انتخبت هذه الرئيسة لمبدارس
 البسات وحكيت له معاملتها لزوجته ففضى عني ولم يكرر لي عتابه • اجتمعنا أنا
 والمستر هس في دقلا العرضي فاتخبط جنبابه بتنا زنجية تلمس الرسالة لتكون
 مدرسة فلم أوافق على انتخابها فقال لي أتم تظلمون الزوج وأخذها لأم درمان.
 خرجت يوماً قبل ميعادي لمقابلة المس إيفانس في موضوع نميت فوجدتها
 بجلايه ررقاء منقوشة الشعر مزعجة في دهول لما رأيتي قالت يا شيخ بابكر أنا
 غير مشولة والأستاذ أحمد البشير واقف بجانبها مبد الحيرة فقلت لها مالك
 قالت البنت الرسالة فقوت هذا السور مستعينة بالأديخانات وهربت من المدرسة
 فقلت لها اطمئني فأنا الساعة • مساء أحضرها لك هنا فشكرتني واطمأنت
 والحقبة أنا قلت هذا لتطمئن من ذهولها وما كنت أعرف للبنت مكانا ولكن
 الله أهداني لمكانها بالخرطوم بحري حيث وجدت أحد أقارب سيدها الصباغ
 سعد أفندي لييب من سكان دقلا في الترام فسألت عنها قال لي أختها الكبرى
 جاءت من دقلا وهي معنا في بيتنا فقلت له اعمل معروف إذا جاءكم حافظ
 عليها لحيثما آتيكم بعد ساعتين في الترام الآتي (لأن الترام مدة الحرب العظمى
 يفوم كل ساعتين مرة) فأخبرت سعادة المستر هس وتوجهت فوصلتهم قبلها
 فطلعت أختها وسألتها عن الرسالة فقالت اني جئت لأخذها لدقلا لأنها خطبت
 وفضلنا أنها تزوج فقلت لها هذا غرض جميل ولكن بقي على الإجازة ثلاثة
 شهور فأنا نعطيك جنبها في الشهر لتموس المعين للبنت الكمرة فقط وهي تتم
 درسها في السنة ثم تسافران بالإجازة على حساب الحكومة فإذا تزوجت فالمدرسة
 ترهتها وإذا لم تزوج فارجها هي للمدرسة وأنت لملك فوافقتني • فلما رجعت
 وجدتها والأفندي قابض عليها فأخذتها ووصلنا الساعة • رأيت للمس إيفانس
 في الباب الخارجي تنظر يميناً وشمالاً فلما تحققنا منا طلعت في قصرها فلما

قربنا منها لم تسمح أن نجينا عرجت بها للطريق منزلي فلما رأتني رجعت بها
 نزلت وخرجت من السور في الشوارع وتلايت شيخ بابكر كتر خيرك كرتها
 مرارا وهي ساعية وراءنا فرجعت لها بها فدمعتي لشرب الشاي فشكرها
 ورجعت بعد أن أخبرتها بأجرة الكبيرة الذين كانوا في حاجة إليها ولكن الرسالة
 لم تجع كعملة • وكانت شقيقتي البتول مع بناتها أم لهن لأن المتباد كان في
 أول الامر أن البنت التي بقسم المعلمات يلزم أن تصحبها أمها لتطمئن عليها
 فجاءتني يوما وقالت لي الرئيسة أمرت أمهات البنات بفصل الاديخانات فماذا
 أصنع قلت لا تمدى بذلك ولو من الخارج فلما أمرتها المس ايضس قالت لها
 لا يمكن أن أمد يدى للادبخانة ولو جدرانها من الخارج فلما بدأت تضغط
 عليها قلت لعلها من رجلها وقلبها للرئيسة وقالت لها جميلتك على هذا
 (وهي عبارة في العرف السوداني غير محسوبة) ثم قالت انت امرأة وأنا امرأة
 لا تريدن على بشئ فقالت لها المس ايضس أنا أشكوك للشيخ بابكر بدرى
 قالت لها اشكينى الخوف من غير الله اشراك وكان الشيخ أحمد الشير المفتي
 واقف يسمح هذا وهي تقول له ترجم لها يا ود البشير فقلت على عدم تأديب
 البتول حينما قلبت النعال لأن هذه البذاءة ليست من أخلاقنا ولكنى عاقبتها
 عليها • في يوم قال المستر هس أن مس ايضس قالت أن البتول تسرق من
 المشتريات التي تشتريها للمطبخ فقلت له والله إذا سرت من ايضس البتول
 لا تسرق قال لي المس ايضس لا تسرق قلت انت لا تعرف المس ايضس كمعرفتي
 للبتول • والله إذا تسرق المس ايضس عشرة مرات البتول لا تسرق مرة واحدة
 وعلى كل حال أنا أعلن سعادتك أن البتول من يوم غد لا تكون بالمدرسة •
 ابشوا عن خلفها فلما أخبر المس ايضس بذلك قالت له أنا ما قلت لك البتول
 تسرق وهي كما قال الشيخ بابكر لا تسرق أبدا وانما قلت لك أن البتول
 لا تسرق كما أن أسلافها يسرقن من المشتريات فإذا بقي عندها ملبان أو أى
 مبلغ ترده لى فلما حضرت للمكتب غداة يوم الحادث طلبنى المستر هس
 وأخبرني بما قالته المس ايضس واعتذر لى بأنه فهم غلطاً وطلب منى أن أترك
 التول في عملها فقلت لسعادته أتم لا تميزون بين الناس وهذا يسبب سوء
 الفهم غالباً وأجبت طلبه في البتول • بلغنى أن المدير يريد بناء مدرسة للمعلمات
 بالخرطوم فراجعت سعادته وحسنت له أن تكون بأم دمان فأخذنى معه لبعث

لها عن مكان مناسب فاختار سعادته السهل الذي يقع جنوب المركز قبل أن يبنى ولكنني عنيته عنه واقرحت عليه بيت الحليفة عبد الله الذي كانت فيه المحكمة الشرعية وبقية بيته جميعه الا الجزء الغربي الذي به الآثار وبيت مفتش المركز الأول . في أثناء تعليمي العرفاء ومعنى الشيخ عمر اسحق فلم فرقتين فنبئت من سعادته المدير اعتبار العرفاء في المعاش أسوة بكتاب المحاكم الشرعية الذين يوجد بينهم من لم ينعوا عندنا ونحيلهم على المصلحة القضائية فيعطوهم الثامنة المظلة ويدخلون المعاش كحسن الضو وغيره فأمرني أن أمضى للمحاكم الشرعية وأتيه بيان يريد قولي هذا فضيت وأتيته بحو ثمانية معلمين من الضعفاء وجدوا المرتين فوعدني بالنظر في أمرهم فطلبت منه أن يبالغهم ذلك بأن يزورهم في فصلهم ويصلهم بذلك فتكرم ونزل اليهم وأبلغهم انه سيساويهم بكتبه المحاكم الشرعية فقام أحدهم المدعو أحمد المصطفى المغاوي وتظلم لسعادته انه من قسم المعلمين واعتبر كالعرفاء مع انه متم رابعة معلمين فقال نه سعادته ولماذا لم تتقل للخامسة فقال اني لم أؤد امتحان الرابعة فقال يعنى انك أمضيت ثلاثة كالعرفاء فجلس مقتما . ولكن مما يؤسف له أن وعد سعادة المستر كروفوت للعرفاء لم ينفذ فعلا الا في سنة ١٩٣٠ على يد المستر اسكوت الذي وجد مكاتباته موضوعة في زوايا الاهمال فأحصاها وتفننها جسرزه الله عن المساكين خير الجزاء وفي هذه السنة طلبني سعادة المدير بمكتبه ووجدت معه المستر يودال وصعدني على كرسي يبيها وأعطاني المدير ظرفا مقفولا وقال لي امض به للمستر ولن تقلط طيما أنك أخبرته في هذا الكتاب اني أقنع في مكتبه وأؤد في ما يجب له ولكنني والله العظيم لو كنت أقوم بهذه الأمور كما يجب لتمدتها تماما لأجل خاطرك وأجعلها من ضمن الذنوب التي أستغفر الله منها ولكنني متأكد من نفسي التمسير في ادائها لعدم تمودي لثقلها واني أخاف ألا أحقق شهادتك في حاضر غيري فيها فلما سمع مني سعادة المستر يودال ما سمع تركنا وأخلي المجلس فقال لي سعادة المدير بعده انت زعلان قلت كيف أزعل وسعادتك رقيتي من ناظر كتاب الي مفتش فمزق الكتاب وتركتي فانصرفت ولم يسألني أحدهما عن خبر قط كما لم يسألاني قبل ذلك . في هذه السنة فتشيت مديرية كسلا وكان الشيخ البشير الفضيل ناظر كتاب كسلا فترحت في تقريرى ترقية للدرجة السادسة أسوة بأقرانه فلما ترجم التقرير طلبني سعادة

المستر هس وقال كيف تطلب الترقية لمن لا يستحقها وهو الشيخ البشير الفضل قلت ما سبب عدم استحقاقها لها قال هو لا يعرف العربي قلت سعادقات انت تعرف العربي مثله قال لا . ولكن كل التلاميذ الذين يقدمون للكلية من مدرسته يسقطون في الامتحان . قلت قد وضحت السبب في تقريرى وهو ان من يطلبون مه لا يتحون مثل غيرهم بل يصون نصيبا وقد يكونون لم ياتوا للمدرسة الا لاما من أولاد العمد والطار وهذا لا يعد عليه ذنب وعلى كل حال ان لم يستحقها وهو ناظر كتاب يستحقها وهو مدرس ماهر للسنة الرابعة كالتقانون فحقه للإبتدائي بمدنى وأعطاء الدرجة فشكرت له ديمقراطيته وانصافه للشيخ بسير الفصل .

في بعض سفراتى لدقلا وانا بمدرسة البنات أرسل الى جباب المستر درملهاى بمدرسة الأولاد فوجدته جمع أعيان المدينة وبوصولى حلب فيهم فان السيدة زوجته ستاتي الساعة ٧ صباحا بمدرسة البنات فعلى كل مكمل ان يرسل زوجته لتكون معها . ان روجتى ابيه عسى وما جئت بها من مرضات الاستاذية وهدد من تأخر زوجته بمباراة لم أستحضرها ففترق الناس مزيجين ولم يرد عليه أحد منهم بلا أو نعم . فقلت لجنايه الرجال تكذبوا وادان لم تأت من البلدة امرأة واحدة ما أنت فاعل بالرجال فان مسألة النساء حساسة جدا بعوائد السودان فالأحسن بأن تحبر بعضهم بالكتب أنك تهزرو معهم وتترك أسئلة الشيخ أحمد البطارى الذى اختاروه أنفسهم لتعليم البنات بالمدرسة وهو وطنى منهم فهو حينما نلزمه يعرف الطريقة التى يحضر بها النساء لمقابلة السيدة العاصلة بحق روجته فطلبنا الشيخ البطارى وأخبرناه أن جناباه يمزج بما قاله للححيح ومن واجبك أن تميل دعاية للمدرسة حتى يرى الأهمات مصنوعات بأنهن وهن يعلن فيها أمامهن حتى لا يتسرب لهن الشك في انه عمل غيرهن ونسب لاحداهن تدليسا وغضا فشر الشيخ هذا بالمنازل فما جاء الوقت المحدد الا وقد امتلأت مدرسة البنات بالنساء اللاتي حدد لهن ساعتين ولما كانت مدرسة الأولاد بلصق بمدرسة البنات وشبابيكها فاقحة على مدرسة البنات آخرنا دخول التلاميذ والمعلمين بعد الساعة التاسعة . وانى لأعجب من هذا انطوى في المستر على المرأة الذى لم تأمر الشرطة البيضاء التى أتاحت للمتوفى عنها زوجها أن تحضى حاجتها بالسوق الذى لم يكن لديها من يقوم عنها بدلا

منها - هذا العدو المحالف لعماده عرب السودان وأظنه مكتسب من الأثر الك
الدين مكتوا حكاما من سنة ١٢٣٦ الى سنة ١٢٩٨ والناس مولعون بما يوافق
مليكمم وانتهى الموضوع على أحسن حال * بعد رجوعي من دقلا أظلمنى
المستر يودال على أوراق من المستر بوسن بما أن أهل القطينة يتهمون الشيخ
حسن أحمد ناظر المدرسه ولا كنت أعرفه معرفة حقيقية وأعرف مكائد ابراهيم
بدرى الذى غير راضى خطبة الشيخ حسن لابتى عزرة ومواقفة صديقه شوقى
الذى معه بالدويم وشقيطى نائب للأمور بالقطينة وأنا متأكد من اهتداد الأهالى
للمآمر كما شاءوا وان الشيخ حسن أحمد كان معى برفاعة وساكن معى بالمنزل
مستين المدة التى أكلت عفاه من النساء فضلا عن الأولاد وأن غيرته على تعليم
وتفهم تلاميذه اللين لا يرضى عن نفسه الا أن يساوا فيها كلهم * وقمت
وقفة المدافع رغم أن المستر بوسن الرجل العاقل أثر عليه شوقى أفندى حتى عقب
آخر مرة انه مقتنع بصحة هذه التهمة ويستأذن المصلحة فى محاكمة الأستاذ
ورغم هذا قلت للمستر يودال كل هذا من شوقى أفندى وابن أخى ابراهيم
بدرى الذى أرغمه والده على امضاء خطبة الشيخ حسن لابتى كما أرغمه
قبل ذلك على زواج عبيد أفندى عبد النور بزواج بنت شقيقتنا * واقترحت
على سمادته أن يكتب سرا للمستر غراين مفتش القطينة اذا كان الأمر كما
يقولون فليبحث بحثا سرا دقيقا وأنا متأكد سمادتك ستظهر نزاهة الأستاذ
وحكيت لسمادته ما دبره الثلاثة بخصوص منزل القاضى الشيخ عبد الله أحمد
هاشم الذى قال ابراهيم أبوه طيب ولكنه أخذ من عمه بابكر بدرى مشيرا الى
حادثة معى حينما كان قاضيا برفاعة وبذلك اقتنع سمادته وكتب للمستر بوسن
انه وافق على نزاهة الشيخ حسن أحمد ويرجوه ألا يتمسك فى الموضوع
وبذلك انتهى المشروع عليهم بالفضل *

فى هذه السنة عمل مجلس بمنزل السيد عبد الرحمن المهدي سياسى ولكن
لجهلنا بالسياسة لم تقن تفاد الخطه كما يجب أما الذى حصل فعلا طلبا فدخلوا
عرفة بها ورقتان أنا والشيخ على أبو فضيصة - فى الورقة الأولى ذكر
انشريكين صاحبى العلمين بالسودان وبعد دياجة تفصيلية صرحنا انا تفضل
انفرادا بالشريك المتولى الحكم الآن (الالمبيز) وبالورقة الثانية أن تكون
الحكومة المختارة وصية تبين سيرها بالبلاد نحو الحكم الذاتى فلما اجتمع عقد

الجماعة قرأ المرحوم حسين شريف الورقة الأولى وسكت عن الثانية فقلت
 يا سيد حسين الورقة الثانية متقصداً أنه نسيها ثم قمت فقلت فحين لو كنا
 مستحقين أن نحكم أنفسنا فالشريك لا يختار أحدهما ولكن الشيخ اسماعيل
 الأزهرى كان يبنى وبين السيد عبد الرحمن قال لى : يا شيخ
 بابكر هؤلاء خيار الناس لا يحتاجون لتفسير ما نلى عليهم . وفى الحال التمت
 الى السيد عبد الرحمن وقال لى أجلس سيجتمع مجلس خاص عدا وستكون
 من أعضائه فجلست فى الحال مررت على المجتمعين صورة الورقة للتوقيع عليها
 فاستأذن سيد أحمد سوار الذهب وأحمد حسن عبد المحم وحررا قبل أن
 يوقعا ووقع كل من بالمجلس عدا الشيخ أبى القاسم هاشم شيخ العلماء بالمعهد
 الذى أخذ أخوه المفتى الورقة ووقعها منه ليلا ينزله وفى صباح اليوم أمرنى
 مدير المعارف بالسعى للمستتر هدلستم مدير الخرطوم فلما جلست عليه وجلت
 أمامه القرار وبه حشوة بين سطرين به اسم السيد عبد الرحمن المهدي
 (عليه السلام) فقال لى المدير خط من هذا قلت خط الشرف يوسف الهدي .
 قال ان الحكومة لا تؤمن بالمهدي ولا تسمح أن يتبع اسم عليه السلام قلت
 هل آمنت بمحمد رسولا ؟ قال لا . قلت هل منعت الحكومة أن يتلو اسمه عليه
 الصلاة والسلام أو صلى الله عليه وسلم فسكت قلت لماذا لا يضر الحكومة
 أتباعه ولا يمنعها تركه . فقال صحيح الشيخ أبو القاسم رفض التوقيع قلت نعم
 رفضه فى المجلس العام وبلغنى انه وقع بمنزله قال ولماذا امتنع قلت لو كنت مكانه
 لم أوقع لا فى المجلس ولا فى منزلى ولم قلب لأن العامة يعتقدونه شيخ الاسلام
 فيعتبرون الحكومة خارجة عن الدين الذى هو رئيسه والعامة هم الأغلبية
 الساحقة والشيخ أبو القاسم ألقى الناس بهم فلو أسقطوه لم يرفضه الدين
 يميزون بين الكتابى وغير الكتابى ثم قلت لسعادته فاس المهدي نعم الأصديقه
 للحكومة قال لم . لأنهم يعتقدون أن المهدي ظهر ومات فلا ينتظرون مهديا
 آخر فلو ادعى أحد انه مهدي فى غرب السودان فبعثوا المهدي يذبونه
 ويهدوون فى مكاهم ومكروا المهدي الذى ظهر ومات يؤملون فى المهدي
 الجديد ويؤيدونه فيعبون الحكومة فضربنى فى كفى وقال هذه نهاية
 للمهديين لأنك منهم فضحك وودعته ولما علم المفتى ما قلته بخصوص الشيخ
 قال لى والله انت مظلوم كررها ثلاثة مرات .

في هذه السنة صحبت المستر فيلد لتفتيش سواكن قبل قل الابدائي الى
 بورتسودان ، مصابتي دوستاريا آتعتي . وكان ضن مدرسها عبد القادر
 افندي شريف الذي قل فرائسه ووضعه امام العرفة التي انام فيها بالمدرسة
 بالبرندة واحضر مصيلا ومثله لان المطر توالي رداذا فتى سمحي تحركت
 بلخروج فتح المظله وحمل المصباح وازل معي السلم نازلا رغم اني اعالب
 الطبيعة لئلا اتعبه فلا يضل خروجي عن الناية مرلت وبعد ان آتسنا تفتيش
 المدرسة رايت ثن آتأخر حتى يتم شعائي ولكن هبة عبد القادر الذي ادخل
 حماري القطار وحملني وجاه لي بالعرية الفورد صالون بالتسارح اوعتني
 همت هذه على السفر مع المستر فيلد الذي كت استأذنه في التاخير ولكن
 سفري صدق لي الحكمة (سافروا مرضى يشغكم الله) وفي القطار اجتمعت
 بالمستر فيلد وشكوت له من القانون الذي يحظر على المستخدم مشتري
 بهائم واخذ أجرتها من الحكومة فحكى لي انه احثار في سنار عن وجود
 بهائم يرحل عليها لظوكر فأخذ جمال المستر هس معتنش المركز وقتئذ وصرف
 أجرتها باسم الحدام الذي ارسله معه ليرجع بالجمال فيرى جبابه اذا اضطر
 المستخدم لمشتري زوامل يترحل عليها فلا مانع . وصلنا الخرطوم معا
 وواصلنا سفرا للايض لتفتيش مدارسها فقال لي جنابه انه يريد أن يوبخ
 الشيخ محمد البدوي لان المدير أمره بذلك . قلت ما السبب . قال لي شكاه
 الناظر الشيخ على أبو قصيبة . قلت الشيخ محمد البدوي لا يقبل
 النوبخ بلون تحقيق فال ماذا يصنع قلت جبابك يتكلم وهو لا يتأثر لكلامك .
 وعلى كل حال نحن الآن في التفتيش فلننظره بعين خاصة فاذا وجدنا عنده قصير
 أو قصور نتخذ جبابك وسيلة وتوجه وتذكر له ضمن توبيخك ما يلفك عه
 فاستحسن ذلك وبهايه التفتيش لم نجد من الشيخ البدوي قصورا ولا قصيرا
 فجاءني المستر فيلد في عرفتي التي نازل فيها بالمدرسة قال لي الأستاذ البدوي
 عيله جميل فما هو السبب الذي يشتكى منه الناظر قلت الشيخ البدوي
 شيطان (نبيه) يقوم بواجبه المدرسي كاحسن ما يكون خصوصا في المواقيت
 يكون أول من دخل وآخر من خرج ولكنه يعتاب الناظر في البلد وخصوصياته
 وهذا شيء لا يهم المصلحة فاذا كان الناظر مظلوما منه شخصيا فليشكوه في
 المركز فحكى المستر فيلد للبدوي ما دار بيننا فأخذ البدوي كلمة شيطان

مبا له ولم يقدر لدفاعي عنه فدره فجاءني ومعى بعض المسلمين وحلف رجله على أحتنا وتجمع بقوة وقال أما والله شيطان فلم أكلمه وأغله كتب لوالده الذى تقبى بمحلة الخرطوم وذكر لى شكوى ولده لى ونسب كل ما قدمته لهما من احسان وتغشوا فى سهمهم المشهور عنهم . فى هذه السنة أو التى قبلها لا أدري أفرح عن الشيخ أحمد البدوى من اعتقاله أو سجنه بطلا فزرت فى بيته وفوت أن ادعوه بمنزلى ثم لقيت بمعدية الخرطوم وأم درمان ومعى الشيخ عمر اسحق فقلت للشيخ البدوى خذ هذين الجنيهين ضيلعتك التى فوت أن أدعوك لهما بمنزلى فاني رأيت أهما أنفع لك من لقمة تأكلها معنا ونحن نتفع بأكملها أكثر منك فشكرنى وأخذها ثم لقينى مرة أخرى بترلم شببات . فطلبنى أن أطلب له من مدير المعارف يتوسط له عند مدير المطايرت ليردوا له المنحة التى كان يأخذها بطلما على حساب المطايرت . وأذكره يده على سعادة المدير حينما كان قاضيا لمديرية بربر وعنده تلاميذ يعلمهم العلم فلما جاء المستر كروفوت يدعو الناس لارسال أولادهم لكلية غردون والشيخ أحمد البدوى مساعدته نأن ارضى ولاية أمور تلامذته وأرسلهم لكلية وهو يتقاضاها من مساعده الآن . قابلت المدير وذكرت له أن الرجل كبير السن ظالم من قبيلة كبيرة لهما تاريخ فى السودان وليس له الا ولد ولحد وهو المدرس بالمطارف ومرتب صغير وعائلتهم كبيرة ومسألة تسع جنيهات لا تؤثر فى مالية الحكومة لكنها تنفقه هو مساعدهتك تعرف أنه نزل عن مرتب كبير كان يصرفه كله فقبل منى هذا الكلام الذى لم أذكر له يده عليه لأنى حفت المدير ليغضب فى الحال تكلم مع المستر ولس وقال لى أجبره أهما ردت له قفلت شئ . آخر قال ما هو قلت أن الشيخ البدوى ساكن فى بيت حواجة بالأجرة فلم أخبرت مساعدهك مدير الخرطوم يعطيه قطعة أرض ووصيتهم على ولده باعطائه سلفية مباني يكون جيلا . فغضب وهرنى قائلا هذا الرجل بطل لماذا تعطف عليه هذا العطف فخرجت مسرعا وكلفت الشيخ عمر اسحق يضره برد المنحة له حتى أقابله .

فتشت مدارس مديرية بربر فلما وصلت الدامر ، قابلت نائب المدير بواسطة الشاكتاب نسيم بدر ولما دخلت الكتاب للتفتيش جاءنى مفتش المركز وسأل الناظر عنى فلما علم بى طلبنى بالمركز وقال لى جنايه كيف دخلت المدرسة بدون علمي فقلت العادة مدير المعارف يعان مدير المديرية بتوجيه مفتش مصلحة

المعارف ويعمل جلولا يتضمن يوم وتاريخ وصولي أي مدرسة أو قرية بها مدرسة ومتى أبارحها من ثلاثة صور . صورة لمدير المدرسة وصورة بالمعارف وصورة يدي لأسير بموجبها ومع ذلك قابلت نائب المدير فأغلظ على في القول صرحت من عنده فطبتني حينما خرجت وقال أين تهصد . قلت لأكتب المعارف أشكوك . وقال أنا أيضا أشكوك وفعلنا كبت للمعارف وفي عصر ذلك اليوم ونص بملب الكورة زارني سعادة المستر براون الذي كان مفتشا برقاعة فطبتني لماذا لا أزوره فقلت سعادتك صرت مديرا كبيرا قال وأنت صرت مفتشا فالنسبة محفوظة بينا ودعاني للشاي بمنزله فأنا مع سعادته جاء نفس المفتش ووقف قليلا تحدث مع سعادته فعرفه بي وصاحني باحترام كأن لم يكن شيء بيننا . ولحقني رد المعارف وأنا بمدرسة مقررات بأفهم كتبوا له وأنه اعتذر .

سنة ١٩٢٢ في أوائل هذه السنة تقيني الشيخ الطيب هاشم المفتي وقال لي هل بلنك أن الشيخ أحمد البدوي سمين مفتشا بالمعارف قلت لم يلمني ذلك والمصلحة في حاجة لمفتش عربي رابع بعد تعيين الشيخ عمر اسحق ثالثا قال لي أول ما يدخل المصلحة يقلبك ويحل مكانك قلت هذا من عند الله يا مولاي فلما يس مي قال سأتيك عدا بمكتبك هل تنهب مي للمستتر يودال قلت بلا شك فقارقتي فأنا في ميصاده فأخبرت الوكيل بعينه يريد مقابله فأذن له وأمرني بمصاحبتني ما دام معه . فلما شرب القهوة قال يامستر يودال هل بلنك أن المستر كروفوت اتفق مع المستر استري على أن ينفوا أحمد البدوي كوساطة الزعماء له فيه ويمينوه مفتشا بالمعارف قال سعادته لا علم لي . قال المفتي أنت والمستر كروفوت أستم أولاد عم قال نعم . قال المفتي والله يدخل بينكما ليفتكما كما فتن السلالة الميرغسية وترتكما يضرب بعصكما بعضا والتلاميذ والمعلمون يترجون عليكم فقال الوكيل وهو متحمس إذا كنت في كرمي هذا فأحمد البدوي لا يتعين في المعارف مطلقا أبدا فأمرع المفتي بالخروج وقال لي وقد ضغطني في يدي المسلك بها هذى قضت وكماكم الله شره . وأحمد البدوي يعتقد أنني سميت في حرمانه من هذه الوظيفة المرمومة وأنا علم الله وشهد أنني لا يد لي فيها . صحبت المستر هم لتفتش مدارس الأيض فلما زرنا مدرسة البنات وجدنا الشيخ سليمان يطيعن حرف

الحاء فرسم صورة حصان في نحو خمس دقائق وفتح واقفان ثم قال لهن
 ما هذا قلن له حصان فقال لهن حصان ذا هو الحاء فخرجننا ضاحكين فطارحننا
 للخرطوم طلبني بعد مدة لا أذكرها سعادة المدير لمجلس به سعادته والمستر
 بودال وهى وقيل فلما جلست علمت أن المجلس منقذ لرفق اسماعيل الماحي
 ناظر كتاب البنات والأولاد بالأبيض فظننت أن الاسم غلط فالتفت للمستتر
 هسى وقلت لسعادته المطلوب رفقه اسماعيل الماحي أم سليمان الأزهرى قال
 اسماعيل الماحي لأن السيد اسماعيل الأزهرى طلب رفقه فقلت نحن نعمين
 ونرفت بطلب الناس فقال لى سعادة المدير صوتك سقط فخرجت من المجلس
 بعقيدة ما كنت لأصلق انها تحصل من الشعب الانجليزي وحزنت فى نفسى
 حتى جعلتها مجال فكرتى فى ذلك اليوم وفى أثناء جولان فكرى خطر بيالى أنه
 لما يصل الأبيض خبر رفقه يحضر عماء السيدان محبوب وأبو الفيث لمدير
 الأبيض • ومعهم خليفة السيد المكى يسلمان ويتمان على رجله يطلبان منه
 رجوعه للخدمة ولا شك أن مدير الأبيض يجب طلبهما ويرق لمدير المعارف
 براه فيرتك سعادته أن الحق للخدمة خالف راية فالأحسن له أن يعطاه لهذا
 الأمر وإن لم يوافق على إرجاعه احتاج لبررات لعزله من منصبه الصغير مما
 يقع بها مدير الأبيض فلم يجعلها مقبسة • فالأحسن أتى أخبر سعادة مديرنا
 بذلك لأخطى نفسى من مسئولية الجهل بما يحصل بالأبيض وبعدم التبليغ إذا
 كنت عالما • فلما حضرت بالمكتب فى صبيحة ذلك اليوم مررت على روفائيل
 أفندى الياس وسألته ماذا تم بخصوص اسماعيل الماحي فقال لى كتب جواب رفقه
 فدخلت على سعادة المدير وقلت له اسماعيل الماحي فقال لى بعدة كتبنا برفقه
 قلت علمت ذلك من الباشكاتب ولكنى جئت لأخبر سعادتك بما يحصل
 بالأبيض وقال ولم تخبرنى ؟ قلت لأخطى نفسى عندك من مسئولية حينما تعلمه
 وقصصت عليه القصة فقال لى يحصل هذا قلت سل سعادتك المستتر هسى
 فسأله فقال يحصل ذلك فكتب ورقة لمدير البوستة حملها الفرائش حسن عيد الله
 الذى جاء بالكتاب واستمر اسماعيل الماحي فى وظيفته ذلك تقدير العزيز
 الحكيم العليم سخرى لتنفيذ ارادته تعالى أمره على كل أمر • لم أقصد خدمة
 اسماعيل الماحي ولا انصافه ولكن قصصت اخلايى فجعلى الله سببا •

ومن ضرائف حوادث التلاميذ في الكلية التي مرت بي وأنا مفتش بالمعارف قصة اتهام أحد أولاد رفاة زميلا له في أمدرومان بأخذ جنهين أو ثلاثة من دولابه ولم أعلم المسألة قبل وصولها للمستريودال حيث أخبرني بها على سرى وأنا قادم للترام بعد مكتب الخميس فلمت حيث لم يخبرني بها يوم حصولها . أتاني في ليلة السبت خاله وهو محبوم وطلب أن أساعد في الموضوع وأنهيه بحيث لا يطرده الولد من المدرسة فلما وصلت الكلية جاءني الولد ومعه مدثر البوشي وأخبراني أن ألف وعين صديقان وأن عين أخير ألما أن عييد أختي عبد النور أعطاهما برفاة درسا في التاريخ وهو قيد ملحوظاته بمذكرته ولذا أراد أن يطلع عليها فهي في دولابه فأخذ ألف المذكرة لفرفته وفتحها وجد فيها الجنيهات وحفظها في جيبه ولما انتهى من قتل المذكرة ورجع بها مكانها لردّها وجد التفتيش جار بواسطة عبد القادر شريف فضاف إذا قدمها يظل هو الذي سرقها فرجع وبعد مدة رجع بها إلى عين الذي أذاع أنه وجدها عند ألف فصدقتها واعتبرت هذا عفوا مقبولا فحكيت للمستريودال الذي أمرني بأن آتيه بها فلما ذهبت اليهما أرسل سعادته لعين وسأله عن جميع قطع ما حكيت له فأفكر الجميع وقدم مذكرته التي لم توجد بها مذكرات تاريخ ولما دخلت عليه وهما خارج مكتبه وجدت عين معه وأخبرني سعادته جميع ما دار بينهما وتكذيب عين لما حكيت وقال لي أنه سيطرد ألف من المدرسة فقلت له لو كنت مكان جده وسعادتك تطرد ولدي في أكوير وهو بواصة لو ربطت رجله بالهدم وسعى برجليه دون فعل لأرسلته لمصر والحقته بمدارسها فإن سعادتك أوافقك على كل جزاء توقعه عليه غير الرفق فقال أخرجه من الدخيلة وأحرمه المرتب وأجلده اثنتي عشرة جلدة قلت أوافق وقضها جميعها . ولما اطمأن الجد على بقاء حفيده بالمدرسة بدأ في قلب الحقيقة فبدأ بلومي أولا لعدم حسبي للمسألة قبل أن تصل مدي الكلية ثم ترقى إلى أنها متعلقة على حفيده المحسود لتعوقه ثم ترقى إلى أنني للقلق لها واستدل بأن جميع أركان القضية من رفاة وكان ابنه الذي زارني بالبيت وهو محبوم يرجوني كما أقدم وكان ابني معه بالمكتب فبدأ يسحب منه العمل المخصص له وهو يشكوه لي وأقول له ما دام لم يتقن شيئا من مرتبك فلا تبالي ولما كثر كلامه بشأني لقيني المستر فليمن بالمعدية وأخبرني بأنه يريد أن يصلح بيني وبينه

ولم يكن يبي وبين المستر فليپس معرفة ولم يخاطبني باسمي قبل ذلك اليوم وكنت أفكره لم يعرفني . قلت له اني لا أريد أن تصلحنا قال ولماذا قلت نحن أكبر منك سنا ويجمعنا الوطن وأنت أجنبي فلا أحب أن يقال عنا تخصصنا وأصلحنا أجنبي فأعجب بقولي وقال حقاً ما قلت . ثم قال لماذا لم أعرفك يا شيخ بابكر وأنت رجل عاقل ثم قال سأسمى لصالحكم من طريق غيري لا بفضلكما وبعد أيام جاءني في بيتي ومعه الشيخ الطيب المفتي وطلباني أن أصحبهما لمنزله فصحبتهما قلياً وصلناه قال لنا أن المستر يودال جاءه بمنزله ولامه على أنه بلغ السكرتير القضائي فقلت ان المستر يودال لم يقل لك ذلك لأنه قال لي بمكتبته أن السكرتير القضائي قال له أن ذمته لا تبرأ بأن يمين هذا الولد قاضيا فتسك الحد بهذه الجيلة التي على أنها تكفي لانتقامه مني اذا بلغت المستر يودال وقال لي أهول هذا أمام سماعة الوكيل . قلت أقولها فقال المفتي لا تكلفه بقولها . قلت على الإطلاق أقولها أمامه لأن علاقتي بك أهم عندي من علاقتي المؤقتة سماعة الوكيل فسر من حلمي هذا وراء قاضياً على بالمرز قالت الشيخ الطيب الى المستر فليپس وقال له (أهلحوبتك جلت) أي وقت الحاجة لك حصل محل المسألة فبابكر في خطر وصلحه انتهر الفرصة فطأاً فليپس رأسه وبعد هنية قال قبل أن يمضي صاحبنا ليودال فأنا أسأل المستر عن السكرتير هل سمع بحكاية التلميذ فان قال أخبره يودال فقد كذب يودال وصلى بابكر وان قال ما سمعتها فصدق يودال وكذب بابكر وفي اليوم التالي سألت فليپس السكرتير فقال سمعتها وكلمني المستر يودال وأنا قلت له دمتي لا تبرأ بعمل هذا الولد قاضيا فأخبر فليپس الرجل فقال أدخل على المستر صن وسله ان كنت في شك مما قلته لك وأنا أنصحك لذا كنت بعد هذا تعقد على بابكر بدمي فأنا والله أقف في صفه وسأهل ولده منكم لئلا يكون وجوده معكم باعث للضغائن ومجالاً للانتقام وفعلنا قله لتسوية الجزوة وانتقم في العمل المستقل وبدل السفرة واسترنا أصدقاء بعد الجفنا فنشكرهما .

ندبت لتفتيش مدارس مديرية كملا فوجدت المستر براون أيضاً مديراً بها ونائب المدير المستر بلنور وناظر المدرسة الشيخ البشير الفضل والقاضي الشيخ محمد الطيب هاشم ونائب الأمور عبد المجيد على طه فقصيت أياها

طبية باجتماعنا فلما سافرت ووصلت استراحة المقطع بعد يومين من كسلا
نزلت بها نحو الساعة ١١ وقدم لى الططور وأنا آكل اد دخل على مسجدة
المستر يراون فقت لجلالا له جلال محبته لا جلال هيته فقط فقال لى أن معه
المستر ظفور والسيدة قرنته فقلت لسجده ما دامت الفرة واحدة تركها
للسيدة وأنا أنصب خيمتى وأتيا كل منكم ينصب خيمته فيقبل فيها فاستحسن
رأىي وابتدأ من معهم ينزلون العفش ومن معى يحولون أدواني فلما جاءت
النسر بلعور رفضت المليل بالمقطع وقالت لى لما ألححت عليها أنا قاصدة صيد
الأسد بقاية المحرقات اسم قرية وسيكون الأسد الآن مقبلا بعد الظهر ننتهن
مقبلة فى الغابة فجمعوا عفشهم وساقروا قعيت فى غرفتى فى الساعة ثلاثة
ونصف أمرت الحلة بالسفر وأن ينزلوا فى حلة ولد كايو وفى الساعة خمسة
ركبنا أنا والهجان ولما توصلنا الشارع بين المقطع وسهل المحرقات وكان الشارع
المنحاط بالهابة لا يزيد على اثنتى عشر مترا فما كان من المسكرى الذى أمامى
ألا أن أوقف جملة الذى صار يبول بولا لا يتقطع وأخذ حمارى بدوره يرتجف
فقلت مالك فأشار بيده على فمه أن أسكت فأشار لى بأن أنظر أمامى فنظرت
فاذا بالأسد فى الشارع بارزا الى آخر صدره وهو لائم فلما طال بنا الوقوف
قلت اضربه بالرصاص لأنه لائم فقال لى ضربه ممنوع الى أن يهجم علينا قلت
صفر له صفارتك فلما صفر رفع الأسد رأسه ثم استأنف رقدته فقلت له صفر
ثانية فلما سمعها الأسد وقف وانتفض فحصل غرته على كتفيه ونظر وهذه أول
مرة أرى الأسد فى غابته ثم انه قطع الشارع ودخل الغابة ولا تزال ركائبناسا
ترتجف حتى سمعنا صوته بعيدا فاطمأنا وانطلقت زاملنا تجريان بسرعة
لا يخفها زمام الجمل ولا لجام الحمار حتى خرجنا من الغابة ودخلنا سهل
المحرقات ه هدانا وحمارى هذا كان عزيزا على لأنه مريح جدا فقلت هه يتي
شمر وهما :

يا ذا الحمار حملت مثيبك والسخا والصغير فى سفر وعما تأكل
ووهام ظنيرك غير أنى قدارى من كل شىء حتى ظلك تجفيل
وقد ماتت بالهبة بأمر درمان وأنا بلكتب فقال لى يوسف وعمره اذ ذاك
عشرة سنوات والله ياأبا حصل شىء يضربك قلت ما هو قال حمارك التريده

مات قبلت الحمار قداؤك • بدبت لتفتيش مدراس مديرية حلفا بعد أن قابلت
 سعادة المدير المستر سيجر الذي كان نائب مدير النيل الأزرق سافرت لدقو
 وعبري لتفتيش كتابيهما وكان ناظر عبري الرجل الشهم صديقى الشيخ حسن
 على أحمد حريجي كلية عردون الأوائل فلما رجعت وكنت راكبا جملا اختاره لى
 الشيخ عسان عبد القادر لو هامل ظهره ولكنى لم يسبق لى أن أركب جملا غير
 هذا الجمال فلما وصلنا قبة عكاشة (الذى يعتقد العامة أنه عكاشة بن معص
 الصحابي علما منهم) بتنا بظمتهم وأمرت الحملة بأن تأخذ طريق القبة فتتظنا
 بحلة ملك الناصر ثم ركبت ومعى العسكري بجمله فلما خرجنا من طرف حلة
 آكبه وبرر لنا السهل ضرب العسكري بجمله فرحا مرحا أو سكرًا وأظنه الأخير
 وانطلق جملى حلف جملة فصرت أرتفع بصلبى من المرح وأقع عليه وأجر
 رس جملى فلا يزداد الا تشاطا وروخى عنقه للأرض ينازعنى الرمن فلما رأيت
 عماده وعدم ثباتى عليه توقنت انى واقع لا محالة فملت به عن الطريق ووجهته
 نحو جبل ليهذا اذا لغرضه الجبل • فأنخه وأقوده وإذا استمر فى طلبه الجرى
 خلف جمى العسكري الذى صرت لا أراه أطلقه وأسعى بجملى فادا وصل
 العسكري ووجده خاليا منى رجع به لى وليتنى لم أمل به فانه صار يدور بى
 حتى أحسست أن رأسى بدأ يدور اخترت أن أنزل لحدى رجلى وأنزل الثانية
 وأنا ممسك برقبتي المرح ثم أطلقهما فجأة وأقع على الأرض على رجلى ولكن
 عندما أنزلت رجلى وحاولت انزال الثانية رفعت رجلى صفحة الجميل الذى
 قفز بشدة ورماني على حجر مسنن على ظهري فصادفت من العجز قفرة من
 ظهري فتقومت القفرة وصرت لا أدرى شيئا مطلقا فلما وصل الجمل العسكري
 قاده وروح به لى فلما رأى على الأرض صار يصيح لى يا أفندى مرة وباسمى
 مرة فلم أشعر به الا بعد مضي نصف ساعة كما أخبرنى فلما سمعت صوته
 كأنى حاله أو كأنى أسمعه من قعر بئر عميقة وبعد جهد وعيت وحاولت أفتح
 عيني فادا بى أنظر الأفق أحمر فأن وبعد نصف ساعة أخرى من وعيت صرت
 أرى الجو اعتياديا وفى الظل عزمت أن أرسل العسكري الى عكاشة ثم حطر
 بيالى انه ربما يجد من يسكره فيشتغل معه ويتركى حتى يجرى الليل وأنا
 أعرف أن هذا المكان مأهول بالذئاب وغيرها من الحيوانات المتوحشة التى
 تهرب بالليل فتجندنى شخصا لا يدفع عن نفسه فتعمل بى ما شامت وادا

أبقيته معي ونحن بلا ماء واليوم اثنين وعشرين ابريل في غاية الحر فالعطش يضيقنا للذئاب أو يقتلنا وأنا في هذه الأفكار إذ رأيت جماعة في الطريق العليا فقلت للمسكرى أمضى اليهم وجئني بهم ولو تهددهم بالسلاح فلما وصلهم وجدتهم ابراهيم أفندي فهمي كاتب حسابات عبري ويحملته ذاهب لاداء الامتحان فلما أخبره ما حصل لي حول طرقة على ووضعوا لي عتصريه في حماره ونزلوا بي الى حلة سوق التي ليس بها غير ساقيه واحدة بها رجايلان أحدهما يدعى محمد بدرى والآخر صالح قاسم والآخر كان غائبا وبها أربعة نسوة زوجة الأول وزوجتا الثاني ووالدته خديجة فبات معي ابراهيم أفندي وسافر بعد أن حلقت عليه وتلك الليلة لم ألق طعام النوم وكسبت للامور بعبري (محمد أفندي فتحى الذى كان معا يرفاعة ساكن بمنزلى نعو مستين) يخط ابراهيم أفندي فهمي ليخبر مصلحة المعارف بما حصل ويرق لمدير حلفا ليرسل طبيبيا ولو بمساعد حكيم ليأشرف حالتى لكن المسكرى الملعون هون عليه المسألة وناقض له ما فى الكتاب وأبرق للمعارف بالعاطفة مخففة ولمدير حلفا بأنى أطلب أجازة للطريق أكثر من الزمن المعتاد ولكن الشيخ حسن على بمجرد ما سمع الحادث ركب جملا بصوية ووصلنى ثالث يوم فلما رأى حالتى انى لا أستطيع أكل طعام ولا أسيخ الشراب الا بصعوبة ولا يمكن أن أضرك وأنا راقدا على بطنى الى يمين أو شمال طلب من السكان الدين لما سسمعوا بالحادث تجتمع بعضهم وخصوصا العمدة الذى بقى معي كلمهم الشيخ حسن على أن يعملوا حمام النار فحافوا أولا ثم ضغط عليهم وضمن لهم عدم المسؤولية حتى رضوا . ما هو حمام النار ؟ يحفرون حفرة كالتقبر ثم يملونها خشب توقد فيه النار حتى تحمى الحفرة حرا شديدا يخرجون منها الفحم ويبرشونها في سطحها وفي جانبيها بالسناكى الأخضر ووضعوني فيها ودفنوني الى راسي بعد ثلث ساعة شعرت بالحرارة اشتدت فصبرت قليلا حتى صرت كأتى على الجبر بلا فراش فقلت للشيخ حسن أنى سأحرق ان لم يخرجونى فأمرهم بالخارجى بسرعة فلما أخرجونى وجد السناكى يمس وبدأ بعضه يحترق . طرف جلايتى به دخان فوضعونى على سريري وغطوني بالتوب والبطانية وبعد هنيهة ابتدأ العرق يجري من جسمى مدة ساعة أو أكثر وبت بهاتنى هذه فلما أصبحت وجلت تنسى فى ضعف شديد وأنا لا أستطيع أن أأكل طعاما ولم يخرج منى

يرار ففكرت أن دمي ضعيف الدورة وما حمت لا أستطيع الأكل فإن دمي
 لا يجري الا بالسرور ولا أجد السرور الا بمؤانسة النساء فطلبت خديجة
 الكبرى سنا وقلت لها خلى بيتك وزوجتي ولكي يجتن يؤانسنني فغضبت
 وقالت اذا سمعتك الرجال يضربوك لأن هذا كلام بطشال قلت
 ولكي مصم عليه فذهبت وأخبرت أخاها المدعو عبد الله فجاءني مفضضا
 وامتنع مما طلبته باستنكار عظيم فطلبت الشيخ حسن علي وأخبرته بما أريد فقال .
 نى أنا لا يمكن أن أطلب منهم هذا الطلب ولكن أكلهم أن يجبروا المسنة
 فأخبره بطلبك . فلما جاء العمدة سألتني بمباراة المنكر الطلب ولكنه قال لى
 أخيرا ماذا تريد من أنس النساء قلت أنا فى حياتى لم أزن غير مرة ولحمدة
 حينما بلغت واذا كنت زانيا فهل فى حالتى هذه طرق للخوف منى قال لا قلت
 أنا دورة دمي ضعيفة ولا يقربها الا الأكل والسرور فالأكل معلوم فلذا جاء
 البنات وتكلمن معى وضحكن فإن قلبى هتز وقذف الدم بسرعة وكثرة
 فأبتدىء فى القوة فما دام البلد لا طيبب فيها فنجرب فكرتى هذه فإن صحت
 كما أظن والا فقد عملنا جهدا فخرج منى وأخذ معى الشيخ حسن على الذى
 أعانته فى طلبه وبعد عتاء وعواء جاءت البنات وجلسن أمامى وتظاهرن بعدم
 معرفة أى كلمة من العربى فقلت لاحداهن ما اسمك . قال (عربى أرتم) ثم
 قلت لهن أنا عندى أحد عشر بنتا هلن بصوت واحد (يوى) ومسكن على
 بعضهن متعجبات فأحسست بحركة تشوة فى قلبى ثم قلت لهن احداهن اسمها
 فاطمة فقالت احداهن بصوت فصيح هذه اسمها فاطمة قاسم . وأشارت
 لاحداهن وهكذا حتى عرفت أسماءهن وبعد قليل قالت احداهن انها تريد
 القيام لتطحن فأذنتها فلما بدأت تطحن وتغنى يلفتها ولكن بصوت رخيم
 اهتزت له أعصابى وتحرك قلبى بقذف الدم فقامت احداهن وأمسكت برجلى
 لتمصرها فجذبته منها وقلت لا تصلى . فقالت أن أهلتا قالو لنا علامته كوالدكن
 قلت أشكرهم ولكنى اذا رضيت ورضى أهلكن ورضيتن فإن الله لا يرضى هو
 أولى بأن يرضى ثم انهم جعلوا اثنتين لأنسى واثنتين للعمل المنزلى أو بالساقية
 بالتناوب وبعد خمسة أيام سبقتها سبعة الصوم دبت فى جسمى روح الحياة
 عدا ظهري الذى لا أحمل أن يمس أى من الا آلمنى كل الألم لكنى صرت
 أقبل شرب اللبن من البقرة التى كانت تطلبها لى خديجة وتضع الجردل بلبنة

على تربية (خوان) صغير عند رأيي يسقى منه طبخى اللازم الذى لم يبلغ الحلم وهو مولد بنزلى من أمه وأبيه وجدته الذين كنت أملكهم ولم يزالوا معي أخدمهم أكثر مما يخدموني . وقد عثقتهم أمام المستر كوث كما تقدم . فلما أحسست بديب الحياة في جسمي قلت للشيخ حسن أخير العملة يحضر لنا ثمانية رجال يحملونى بالتأوب الى حلة مرشد وأهل مرشد يحملونى الى جيمى وأهل جيمى الى عمكة وعمدة عمكة يرسلنى حلقا فأحضر العملة الرجال يحملونى . وفارقت خديجة بعدما أعطيتها من النقود ما رأيته واجبا لها على ولباتها الأربع . وطلب منى محمد بدرى أن أكتب لأمر عربى يحدد له قطعة ينيها بيتا لسكناء فصجبت لحجر تلك الأرض التى لا قيمة لها ولا رغبة في سكنها ولكنها القولتين الوضعية مأخوذة من القوانين السماوية فتعم البلاد والأفراد فكتبت لمحمد أفندى فتحنى الذى كتب لى فيما بعد أنه بمروره على حلقا عاج على محمد بدرى ومسح له الأرض وشكرهم على خدمتهم لى مدة مرضى أو محتى فرددت عليه شاكرا صنيعة علمها وصلت التبرى لقينى الرجل النهم صالح شلبى الذى أحضر لى سفينة صغيرة مهد لى فيها ما أراحنى الى شلال سنا الذى منع المرور به وفى التبرى لقينى الشيخ محبوب مالك ابن عمى وصهرى حينما سمع بعادنى وكان عاملا قضايا بعطفا مساعد الشيخين حسن على وصالح شلبى فى خدمتى الشاقة حتى وصلنا حلقا وكان الشيخ صالح قائدا حملتنا وترجمان رحلتنا والمسهل لأمرنا بمفرقة وصلنا المدرسة ذهب الشيخ مجنوب وجاءنى بصديقنا الدكتور خليل أفندى الجورى الذى بعد أن كشف على ظهري احتجب منى كيف حييت الى هذا اليوم الذى هو يوم عشرين على الحادث . ثم طمأننى ألا يحصل لى شئ بعد هذه المدة التى مضت ثم انه ذهب ورجع ومعه ترجمان فأمسك أحدهما كنتى والثانى صلبى وضغط الدكتور يديه بمفرقتين وبركبتيه على الفقرة المقوسة حتى استوت مع اخواتها بعدما أحدثت صوت فرقة لا أدرى أسسمتها أم أحسست بها لشدة ما اتابنى من الألم ووضع على ظهري شيئا مقسوى وربط عليه برباط وأمرنى بالجلوس فجلست وفى ثالث يوم أمرنى بإتيام فقممت ومن العجيب لم أحس بالألم حينما جلست وحينما قمت وبعد ذلك أمرنى بأن أمشى

فليلا وصرت أكل وأعطاني دولاه مقويا وبعد أيام باشرت على والحمد لله .
 ودعت الشيخ حسن على ليرجع لمدرسته ومنزله والشيخ صالح شلبي الذي
 أرسلت له خمسة أراذب غلال بعد وصولي الخرطوم . أما حسن على فاني
 ألحقت على سعادة المدير أن يكافأه عني بأن يضمه في الدرجة السادسة وحتى
 له أنه ان لم يعمل شيئا يستحقها به غير أنه حفظ لكم حياتي فقد استحقها
 فأجاب طلبى فيه . بعد أن استطلعت العمل طلب منى المدير بطلقا أن أصحب
 جناب مفتش حلقا لنفتح كتاب ديرة الذي بناه المبدع عيسى عبده على حبابه
 المعاص . فأخبرت الدكتور خليل بأمورتي هذه واني أحس بنشاط وعدم
 أقل ألم فكشف على ظهري وبعد فحصه أخلاه من العجيرة وأمرني بذلكه
 يوما قبل النوم ليلا وعند الصباح قبل أن أقوم من سريري السبب الذي
 عودني استعمال الدلكة الى اليوم . وصلنا مدرسة ديرة التي اتقنا بعد أن
 رأينا ارحام الجمهور عليها أن تفتح فيها فصلين مرة واحدة كل فصل أربعون
 ولدا ولكن الناس أحضروا صف هذا العدد تقريبا كل منهم أولاد برعية أكينة
 أن يجعل ولده من المنتحين وجعلوا يتشاجرون مما جعل المفتش يقول لى
 نرحم وتركهم حتى يهدأوا أو يطلبوا مجيئنا مرة أخرى وهم قد جلدوا المبدع
 والأعيان حتى ترجع لهم . قلت جنابك اجلس في ذلك الطل وأتركني
 لهم فمأفتح المدرسة الآن فعل جنابه بما قلته له ثم جث الناس وقلت لهم
 اختاروا واحدة من ثلاثة (١) أن يختار الكبار الذين يرفض القانون قبولهم
 في القامة . (٢) نمتن الأولاد في العربي والحصاب وتأخذ الثمانين الأول
 بالترتيب . (٣) أن نمتنهم بالنباهة فنأخذ النباهة فاختاروا الثلاثة فأوقفتهم
 صفين بالطول وكتبت أسماء كل صف في وجه الورقة وقلت لهم كل ولد يعرف
 مكانه وجاريه اللذين واقف بيصاغانا سأصرب لكم الجرس لتتفرقوا وتخرجوا
 من السور فإذا ضربته مرة أخرى أضطوا وكل منكم يقف في مكانه فإذا غلط
 أحد سقط حقه في القبول . رضى الجميع بذلك وكررت ضرب الجرس
 ودخلهم وخرجهم واخراج من يطلون بحيث يقفون بجانب السور صفا
 وهكذا حتى بقى الثمانون فأدخلنا كل أربعين غرفة دون فرز المعلومات . تركنا
 هذا لناظر المدرسة فما كان من أحد يدعى سليمان الصائغ الذي قدم لى
 ولديه وقال يجب علينا قبولهم كما قبلنا ابني الممتدة من غير قرعة لأن الممتدة

بنى المدرسة على حسابه الخاص . قال لى بعدة أنا أكتب لك شيكا بقيمتها الساعة هذه فلما رأيت جنده وخشيت أن يتبعه غيره . قلت له أنا أقبل لك أحد ولديك وإن تكلمت بعدها أخبر لك جناب المفتن الذى يطردك أمام الناس فيخزيك فقدم لى أسمرهما فأدخلته الفصل وأنا معه ولم أسمع لسليمان بمرافقتي . حكيت هذه الحكاية للدكتور ابراهيم سليمان الصائغ فقال لى أنا هو الولد الذى اختاره والده قتل الصمد لله على قبولك قتلها وأبنا نعلنا .

« نحن ربونا آياهنا أما أولادنا فتريتكم »

ثم أن للمستر سيجر مدير حلفا أرسل الى اللثن (الرابور الصغير) دعائى لشرب الشاي فكنت أنا وهو والسيدة قرينته فيعد أن فرغنا قال لى يا شنيخ بابكر أتم كبار السودان مؤديون لكن أولادكم وخصوصا المتعلمين منهم غير مؤدين . قلت لسعادته نحن الكبار تأديب أياك أنت أما المتعلمون فتأديبكم أتم . قال لى نحن غير مؤدين قلت نحن لا نضبط الانجليزى على نفوده ولا على نفوده مثل ما نضبطه على أخلاقه وأكاديه ولكنكم جئتمونا بأجانب علموا الولد فى المدرسة ورأسوه فى المكتب فقلد المعلم واحترم الرئيس فانطبع يخلق المعلم وتلق الرئيس فنهبت عنه أخلاقنا وحال المعلم والرئيس بينه وبينكم فكيف نفهمه ونحن وكلناه اليكم وأتم وكتبوه لغيركم فقال لى ماكتب بهذا الحديث لمدير المعارف قلت لا ماقع عندي ثم دخلنا فى أنس عام من ذكرى مدمية الليل الأزرق التى اجتمعنا فيها حيث كان سعادته نائب المسدير أيام الحرب العظمى . ثم ودعائى الى اللثن الذى رجعت كما جئت به .

فى صباح ذلك اليوم طلبت من سعادته الاذن لتقابلنى الأمير عثمان دقته بالسجن فتدب معى الأمور محمد أفندي كامل الذى كان نائب مأمور برقاة . فلما خرجنا من المكتب أرسل خلفى فرجعت لسيادته فقال لما تصل الغضرم لا تقل لأحد أنك رأيت عثمان دقته فإن الغشول عليه ممنوع — اذا أتركه . قال لا لأناك انصارى فانظره بصفة خاصة فسلطت على الأمير عثمان دقته وجدناه مطأنا رأسه مغمض عينيه فلما حيت فتح عينيه لى ونظرنى ثم رجع لحاله ولم يزد لنا على التحية فى كل ما سالناه منه ثم ودعناه فهمهم وهو مطأنا

رأسه مغص عيني . فهو رجل صحم البدن طولا وعظلا أبيض اللون مشرب
 بحمرة عرر الشعر في كل بدنه لا يظلو موضع في جسده من الشعر فما ظهر
 لنا وناهيك ببقته التي قارنت اسمه على كبر سنه ولم تسقط شعرة من رأسه
 كله غير النزعات ظفوره مقطعة لم يظهر منها غير اللحمة التي تحتها ولم أدر من
 قلمها ولم يحلق رأسه أما اللحية فطليما لا يسمح بأخذ شيء منها للسنة
 النبوة . وشاربه كاد يغطي فمه . وأذكر هنا فتحى لمدرسة خفيا غفيم ولم
 أتأكد ان كان في هذه السنة وفي هذه السهرة أم بعد وغير السهرة طلب الى
 أن أفتح كتاب بطفا دميم وعينوا له الشيخ أحمد محمد صالح الذي رافقني
 وأخبرني أن أكبر من يارضوا داود كباراه وهو أكبرهم سنا ومركزا فقلت له
 الأحسن أن نزل صيوفا عليه وفعلنا نزلنا عنده ففاتحناه فأبدى لنا اعراضا كدفا
 نؤمن معه ثم انتهت لحيلة الاغراء بأجرة منزله كما عملت في غيره مطاورة حتى
 ذكرت له نعي فوجر منزلك بعجني ونصف شهريا لمدة سنة فإذا وجدت المدرسة
 مصره بالبلد أطلب قتلها وفي الوقت نفسه أنا أعمل لمنزلك رسما يوضح المحلات
 التي تسكرها (حتى إذا بنت الحكومة مدرسة ولا يكون ذلك قبل مضي ثلاثة
 سنوات قيمها في منزلك) وتكون مصلحة المارفين ملزمة بإنشاء ما كسرت
 ونسلمك بيتك كطاله الأول وأن الأولاد الذين يتعلمون في بيتك يحفظون لك
 النجمل ويعرفون من يأتون بعدهم فتذكر بالخير حيا وبالراحة ميتا فرضي
 حصرة الكاشف داود كباراه في الحال عملت رسم المنزل كاملا وأشرت على
 الأماكن التي تسكر لحفظها مساحة ومكائنا وأقينا ثلاث أيام فتحنا فيها الكتاب
 فعلا . وصارتم . فلما سافرت ركبنا الدرجة الأولى لأرتاح فيها مستند الجسم
 فلما مدت تذكرتي لعزير أفتدى مفتش التذاكر طلب مني الانتقال للدرجة
 الثانية فامشمت وأعطيته عنواني فلما وصلنا آتيرة رجح لي ومعه انجليزى طلب
 مني ما طلبه عزير فاعتذرت له بمرضى فتاب وجاءني ومعه صديقي سعادة
 المستر ليتش مدير المديرية فلما رأيته قال بأشتياق شيخ بابكر ودخل معي
 الغرفة فرجع الانجليزى وعزير واكتفيا بعنواني وصار المستر ليتش يأسف لي
 بنا بلغم من مرضى ووقعي من العجل وأنا أخبره بما حصل لي حتى وصلنا
 الدامر أخذني لمنزله وعرض لي السيلة قرينته وولديه منها . وبعد شراب
 الماء والقهوة عني لي الغرفة التي أقيم فيها في ضيافته فقلت لسعادته أنا أعطيت

المعارف جبرا بأني أصلهم اليوم فقال أنا أخبرهم بأني حجزتك اليوم فقلت لسعادته ان منزلي عند الشيخ الشير وهو يلومني لذا نزلت هنا . فأعطاني عربته بالغيل وصلت بها منزل الشيخ الشير وزارني مرتين بمنزله فلما رأى الشيخ الشير عناية سعادته بي وأخبرني بأن المدير يماكسه في أموره خصوصا أراد أن يجعل منزله المدة للأجرة للحكر وله قضية في طين بحري يخشى أن يملكه خصومه فلما زارني سعادته فتحت معه الموضوع فقال هذا رجل تعرض للفساد يأخذ فيها رشوة . قلت في نظر سعادتك أنا أصدق ممن يملك فاتكلم أم يملكك الا صدق فاسكت . قال أنت أصدق عندي فقلت له أنا أرسلت للشيخ الشير في مجاعة أربعة أرباب قصاي وقربة غسل وصفيحتين مسليا على باب الهدية بين الصديقين فكتب لي لا يقبلها الا اذا عرفته قيمتها فيدفعها لي وحد لي مدة ان تأخرت عنها يشحنها باسمي لأمرمان فالذي لا يقبل من صديق مثلي لا أعلن أنه يرثي من صاحب قضية ولكن المجاذيب من قديم الزمن يمرض البصلون القضاء الموصية عليهم فيحكمون فيها والشيخ الشير اليوم في هذا المركز فقال لي سعادته المنازل التي بناها جديدة للإيجارة لا يمكن اغتافها من أن تعتبر في الحكر واما الدكاكين والبيوت القديمة فساكتب عنها لتكون ملكا . واما الجزيرة فليقابلني الساعة ٧ عندها وسأعلن خصمه بالحضور وقد أعطاه نصيبه وغير فكره في الشيخ الشير .

وصلت الخرطوم فأول ما سألتني فيه سعادة المدير محادثتي مع سعادة المستر سيجر بخصوص آدابا وأكاذب أولادنا فأخبرته بكل ما جرى بيننا وبعد أيام قال لي سعادة المدير أن دولة معالي الحاكم يريد مقاطعتك اليوم الساعة ١١ فلما قبلت دولة امتاك باشا وكانت أول مرة أرى فيها مكتب السراى فذكر لي من طرف خفي آداب الكبار منا فأدركت غرضه وكان دولته واضح اللفظ لطيف العبارة من النوع الذي تطمئن له نفس جليسه فقلت لدولته ان أغلب القضايا المهمة تعرض على دولتك فهل جاء فيها أن والدنا لأحد المتخرجين من كلية غردون قاضى ولده . قال لم أسمع . قلت أنا أعرف من آباؤهم من جرد زوجته وبناته من الحلى وباعه ليدفع المصاريف المدرسية لابنه ولم يكافئه الا بالعقوق وأعرف من الآباء من باع غلاله الكلية الواحدة بقرش واحد لتسديد مصاريف

ابنه الذى تخرج ضابطا ولم يكافئه الا بالذاعات وأعرف من المتخرجين من أساء
معاملة والده حتى قال له أمام الملا ان الذى مثلك لا يلد مثلى فقد عق والده
بنهاية الاحتقار • ورمى والدته بظاهرة قوله هذا يالزنا وأمثال هؤلاء كثير فقد
سجلوا من أولادهم ما لم يسبق أن يقوله ولد لوالده • لأنهم ينتظرون سكرة
شباب أولادهم سيرا مع هذا الانقلاب الذى سببه بالاختلاط مع الأجانب حتى
يسبق الولد من سكرة الثياب ويلفح الس الذى يتدنى العقل فيه يتغلب على
الهوى وحى رأس كبار الخرجين الصغار منهم فى المكاتب فيوجهونهم
التوجيه الحسن أما الآن ورؤساؤهم فى العالب أعداؤهم الذين يسرهم عدم
ظهور كفائهم عملا وأخلاقا • نريد من الحكومة الرشيدة أن تاملهم بالإنابة
وتوجههم التوجيه الحسن لمن تراهم مستقيمين وأكفاء ويسرع بهم حتى يرأسوا
أخوانهم فعلى ذلك الحين يتضح صدقهم الحق من عديهم المفضل فيرحلون
ويرفون للحكومة حقها فقال لى ستصبر الحكومة عليهم وتوجه كبارهم حتى
يلفحوا ما تريدون ونريد لهم فودعته وانصرفت وقد دعنى دولته واقفا ومضى
خطوات •

تاریخ

حياة الشيخ بابكر بدری

۱۹۲۸-۱۹۲۲

« استحكم الخلاف بيني وبين الانجليز »

تحرك على ظهري ورقسعت بمنزلي والطبيب يزورني فورد لي في يوم خطاب رفيق من المستر فيلد مؤداه أكون ممنونا إذا كلفت خاطرك وورثتي بمكتبي لأمرهم وكان نائبا عن مدير المعارف الذي هو بالأجازه . وفي زمن عطلة للندارس فخطر ببالي أن هنالك تقاليد طرات مستعجلة وخشيت أن لموت أحد المعلمين فأجبت الطلب وكان لي أن أعتذر لمرضى فلما وصلت إذا بالمسألة ملاحظات مالية وتهمة ملتقة . أما الملاحظات المالية أولها امي ساكن بام درمان ومركز خدمتي الخرطوم فلا يجوز لي أن ادخل أدوات سفري من مطبخ وسرير على حساب الحكومة لأم درمان فلما جاءني بفتة نار حمقى ولكن رأيت أمامي بريطاني جالسا مكان المدير الذي أحترمه كل الاحترام . احترام تقدير قلبي لعلمه العزيز ولعقله الوفير وليس فقط لمركزه الكبير فقلت لجناحه حل المصلحة عينت لي مكانا بالكلية أو بالسكة الحديد أضع أدواتي فيه بحيث أطمئن عليها لحيما تحدد لي سفره . قال جناحه أنا أضع أدوات سفري بمكتبي فقلت لجناحه أنت أدواتك التي تسافر بها هي أدوات منزلك ومطبخك وأن غرفتك ضعف غرفتهما وأنت وحملك ونحن ثلاثة مفتشين في هذه الغرفة الضيقة . وأنت لا تضع في غرفتك الا سرج الجبسول وخرج الجلد الذي لا يشغل مترا مريعا . ثم قال جناحه : المالية تطالبك بثلاثة جنيهات صرفتها بمديرية بربر أجرة مركب بين الشريك وبلدكم في أجازه سنة واحدة وعشرين قلت لجناحه أنا أستحق خمسة جمال والجمال أجرته اليومية عشرون قرشا وبين الشريك وبلدنا ليلتان فأستحق أربعة جنيهات وأني وفرت للمالية جنيها فطسأل سعادة مدير بربر عن يومية الجمال والمسافة . اتفضل للتعمة قال لي أنت صرفت أجرة سرج جمال مرتين في سفرك لمديرية كسلا وهذه سرقة للمال الحكومة أعطيك عليها جاثيا فطار صواحي لهذه التهمة المؤكدة . لدى جناحه وقلت بحة : انت رأيتني سرقته أنا لا أسرق من جيبى هذا واضع

في جيبي هذا لأن خزنة الحكومة هي أحد جيبي هل رأيتي سرت ؟ قال لي
 جباه قال بولص أفندي رئيس الحسابات . قلت : هو كذاب . قال لي بغلطة
 لا تهل كذاب قلت ألف مرة كذاب وكل من يقول أنا أسرق مهما كانت قيمته
 أقول أنه كذاب فطلب بولص أفندي فوجدني مع جباه فقال له الشيخ بابكر
 ما صرف أجره المخلوطة مرتين قال له نعم مرة يصرفها في كل مركز مع أجرة
 الجبال ثم صرفها جملة للطبيب السواكني برقاعة . قلت له كذاب فعصب المستر
 فيله وقال لا تهل أدبك أمامي . قلب أنا مؤدب والمؤدب الحر هو الذي يقول
 للكذاب كذاب . طلب منه الورق فلما ذهب وجاء به ظهر له غلظه فجاء خجلا
 وقال أنا غلطان ووضح لي أنني في كل صرف أقول أجره الجميل بخلاف المخلوطة .
 اتهمنا من التهمة ورجع للاحتفاظ المالية . فقال لي أنا أخصم قينة مطلوب
 المالية من ماهيتك قلت لا تستطيع هذا الخصم . قال أنا مدير المعارف قلت ولو
 جاء سماعة المستر كروفوت مكافك هذا لا يستطيع ذلك . قال لي كلامك
 شديد قلت لأن بطي خالية من ربه ولو كنت سارقا لطلألت رأسي وخففت
 صوتي والله لولا أنك بريطاني لكنت أسعمتك غير هذا حينما قلت لي سرت
 قال لي إذا كنت زعلان استعفى قلت لجنايه أستعفى ؟ أنا لا أستعفى لأنني
 أخذت في بلدي ومحتاج لمرتبي وراض عن وظيفتي وأنا العتبة السفلى ليست
 السودان أنت تظا وتعدى . وخلقك يظا ويتعدى إلى أن أدفن ها فإذا كنت
 جنايك غضبت مما جرى فلتستعف جنايك لأن لك مغل غير هذه البلاد قال لي
 أنا أوقفك من الخلفة . قلت لا مانع عندي أكتب لي ورقة وأنا أزم بيتي
 وستري ما الذي يحصل جنايك . لا تعرف سياسة أهلك فقال لي : أنا لا أحبك
 قلت الناس قالوا القلوب شواهد « وكان معنا فريد بك عطية » . جنايك
 ما الفائدة إلى ذلك أو للمصلحة من قولك لي أنا لا أحبك ثم طلب حبيب
 أفندي الباشكاتب وقال له أنا لا أستطيع أن أخصم من ماهية الشيخ بابكر
 بدرى مال الحكومة المناقضة فيها . قال الباشكاتب القانون لا يسمح . فقلت
 لجنايه أفك تستطيع أو المالية رفع قضية على وإذا ثبت على شيء لي طريقة في
 دفعه بواسطة القضاء قال لي أخيرا أنت تشتري بهائم وتساخر عليها وتأخذ
 أجره فيها من الحكومة قلت ألم تخبرني جنايك أنك أخذت جمال المستر هسي
 من سنار لطوركو وصرفت الأجرة لها باسم خطامه وأرجعت النقود والجمال له

وهذه جبال الحكومة وتأخذ عليه فأجرت للحكومة مرتين قال من قال لك هذا قلت أخبرتني بالقطار حينما عدنا من سفره وذكرنا أن هذا القبانون غلط لأنه يؤخر الموكب مدة طويلة فتذكر ذلك وسكت ثم أنه بعد كل هذا كتب للمالية كما قلت لجنايه وعلق على الأدوات أنا لا يمكنني أن أجده له مخزناً بالكلية ليضع فيه أدواته وهو لا يمكنه أن يتركها بالمحطة وكل سفرة يشتري أدوات جديدة وأما المركب فإنه يستحق أربع جنهات وخفضها لثلاث جنهات فإن كنتم في شك من قوله فاسألوا مدير بربر كما قال وأنى معتقد أنه لا يكذب فلما قرأ لى هذا الرد قلت لجنايه أنت انكليزى على أصلك لم تفسخ في السياسة وشكرته وانصرفت فدخلت على فريد أفندى عطية فقال لى خلصت من الورطة فقلت له أعمل ايه •

• أنا سودانى بليد لو كنت سوريا لتركها لهم واستوطنت بلدا أخرى فضحك من كانوا معه •

أخذت كشفا بحساب الفخار الذى كان يرسل من ورشة أم حرمان لنظار الكتابيب بالسودان للمستهلكين • فلما وصلت القطينة وناظرها أحد أهناى من رفاعة : حسابك فى الفخار ثمان جنهات وكذا ملهم قال لى والله هؤلاء الناس لا يضبطون حسابهم أنا عندى نحو عشر جنهات فلما وعندى من الفخار ما تربو قيمته على خمسة جنهات فاستلمت التقود بوصل وضبطت حساب الفخار وكتبت بذلك للمعارف التى بدأت تفتش على حسابات الورشة بدقة • وفى هذه السنة قل للكاملين التى بها مدرسة بنات فجاءنا شبيه محضر من المستر بيرفس مفتش الكاملين انه ضبطت أشغال مبيعة بالكاملين لعروفين قيل أنهم اشتروها من الناظر ولم توجد بدقتر مبيعات المدرسة وجنايه يستأذن فى محاكمته فعرضت هذا الورق على جناب المستر فيلده فلما قرأه قال لى هذا الناظر سراق وضحك • فحكيت له حكاية فطر القطينة لعله يوافقنى على نزاهة الناظر فلما لم تظهر عليه الموافقة قلت لجنايه أنا جئت لك بهذه الأوراق لتعلم عنها شيئا حينما تحدثت عنها أنا وجناب المستر هسى بالدارج تشترك معا فى رأى ورجعت بأورلقى فلمسا جاء المستر هسى وقرأ الأوراق قال لى ما رأيك قلت لا أصدق مطلقا بأن الناظر سرق شيئا وأنى أرى أنها مكيدة من المأمور كما كان يحصل رفاعة فأمرنى أن أسافر للكاملين وأكشف هذه الحقيفة

فلما وصلت الكاملين نزلت عند غير الناظر وفي نفس الساعة دخلت المدرسة وأرسلت للناظر طلبت دفتر المصوغات والمبيعات منها فوجدت رسالة كبيرة مكتوبة بالفتى أرسلت للمعارف بتاريخ مضى • فراجعت وارد مصوغات الكاملين الذي حملته معي فما وجدت لا بأعيانها ولا بتاريخها بالخطوط فاندعشت وطلب الترائش وقال له أما أعطيتك مصوغات لدخل ظرف كبير ومعها جواب كبير بتاريخ كذا لترسلها للمعارف بالبوتة قال نعم قال ما فعلت بهذا قلل سلمتها البوستجي ولكنه قد شح وجبه شأن من كشفت حياته فأخذته الى جانب وأقسمت له أن نصحنى لا أسعى في رفته فأخبرني أنه لما خرج بالظرف ثقيه جماعة من اخوانه ذاهبين يسبحون في البحر وألحوا عليه في مرافقتهم وحينما خرج من السباحة لم يجد الطرف وخاف الرقت اذا أخبر الناظر ولكنهم باعوا الإشتغال لعلان كذا بشم كذا وأعطوني شيئا من ثمنها لأواقهم بأنى يمتها بأمر الناظر وسلمته ثمنها ولما سألى الأمور قلت له ذلك ولما أخذنى الأمور لحتاب الفتش اعترفت له بذلك ولكن الحقيقة هي ما قلت لك الآن فصررت له سؤالا أجاب عليه بما قاله لى ووقع عليه بخطه وفي الغد ورد لى تلغراف من سعادة المستر يودال بأن أقالبه في المعلق لأصبحه لرفاعة فصررت لأل جناب المستر ييرفس برقاعة فأبأ عن مفتشها الذى بالأجازة • دخل المستر يودال الذى أربته كل الحادثة دخل وأما معه على المستر ييرفس الذى أطلناه على حقيقة القضية فوافق على شطبها لما لم تتجج هذه ديروا له مكيدة أبلغ منها وهى أن احدى المعلمات انقطعت عن المدرسة بالحمى المألرا فأشاعوا بأنها أجهضت من الناظر وكتبوا تعريفه للمعارف بذلك فرجعت للكاملين بأمر المستر همى ونزلت عند الحرم الحاج الحسن خالى فأخذتها معي في الحال لنزل المعلمة المفتري عليها فوجدتها راقدة على ملاء بيضاء غاية في النظافة ولايسة جلالية بيضاء ولما أبيض غاية في النظافة والمكوى ولكنها تسأف من الحمى ورغم ذلك قامت فتحت دولابا وعملت لى شربات ليمون وبعد تشخيصها لى حياها أمرتها أن تذهب عدا الى المدرسة حيثما تنقطع عها الحمى تشتغل قدر طاقتها لأن حمى المألرا تضعف قوتها من العمل فوافقت وفي الصباح الغد زرت مدرسة البنات وكتبت عن عملها كما كتبت عن غيرها ومن ذلك الحمى مرنا لا نعتنى بتعريفات مكان الكاملين • في هذه السنة اشترت منزلنا الكبير العالي بواقع

التر خمسة وثلاثين قرشا وهذا الثمن يعتبر مبالغا فيه حد المبالغة والذي حدا
 بي لذلك قربه من السوق والترامواي ودور الأحكام شرعية ومدينة والمدارس
 خصوصا مدرسة البنات التي كانت بيت كوركجيان ثاني سكن قبالة مدرسة
 أم درمان الأميرية الوحيدة للأدوار ومواسير الماء التي لم توجد إلا في شوارع
 الموردة للسوق فقط وكل من أراد دخول الماء بمنزله يصل المواسير على
 حسابه نوعا وعملا فيكلفه المتر نحو خمسة عشر قرشا أو تزيد ولذلك كلفت
 نفسي بخضر بئر ينزلي الذي كسرت كل البناء القديم وبنيت بهالة الحاضرة في
 سنتي ثلاث وعشرين وأربع وعشرين وضعت بيت العائلة قريبا من الجدار الشرقي
 بأمل تشتري المنزل الصغير وكان لأخيه حجره فسميت لها بواسطة عوض الكريم
 القرائش بأحد ديوم الخرطوم واشترته منها ودفعت لها المربون وأخبرت ابني
 علي الذي كان معلما في مدرسة أم درمان الابتدائية في تسجيله ودفع باقي
 النقود لها فبانت عند جوارها الزمضي المدعو بلالا وأخبرته بما جاءت له فأخبر
 بدوره جوارا من جهة الشرق الخضر غندور الذي زادها جنجيات على ثمتنا
 وأعطى بلال هودا لا أدري كميتها فلما مضى على بدرى للضابطية للتسجيل
 أخبرني بالتلعوب بالكلية أن الزمضية سجلت بيتها للخضر غندور قلت له أتركها
 من صبر علي أدى جاره ورثة الله دياره وفعلنا بعد سنتين حصل بين الخضر
 وزوجته خلاف شديد اضطره لتركها وسكننا بطلاة تدعى أم خير بدار حامد
 بمديرية كردفان ثم انها باعت لنا جميع بيوتها ورحلت ورائه فلم أفرح بذلك
 بل يعلم الله اني رثيت لعائلهم خصوصا لما بلفني أن بعض أولادهم من الذكور
 والإناث ماتوا وأن حالتهم سيئة .

رأى سعادة المستر كروفت حضور بنات مدرسة المعلميات
 لاحتفال كلية غردون السنوي للالعاب لا أدري أظلمت منه
 انليدى استاك أم الطاكم أم تبرع بذلك من قصه في ليلة أرسلت لي بنسائي
 بمدرسة المعلميات أن أليس ايفنس أخبرتهم بأنهم سيمضون غدا إلى الكلية فكتبت
 لهم بالرفض وفي صباح اليوم مررت على مكتبها وسألتها فقالت نعم قلت يانائنا
 لا يمشين قالت لي هذا شغل مدير المعارف فخرجت منها وأظنها أخبرت المستر
 هسي بالتليفون بما قلته لها فلما وصلت الكلية قاطني جناب المستر هسي وقال لي
 لا تتكلم هذا الكلام الفارغ ولما كان التلامذة في فسحة جعلت الكلام كأنه

صادر لغيري وواصلت سيرى حتى توسطت السلم ولحقنى جنابه فكرر لى ما قاله تحت قلت له لا يمكن أن يحضرن احتفالا كهذا فقال لى المدير ينتظر كما قالت سعادته قلت كمادتي السلام عليكم فكان ردّه لا تتكلم هكذا . قلت السلام عليكم فغضب التريزة بيده وقال لا تتكلم هكذا قلت بصوت عال : السلام عليكم فرد سعادته وعليك السلام وأتبعها مكررا العبارة قلت لا يمكن أن يحصل هذا ... بناتى لا يأمن فقال جناب المستر همى : بناتك لا يأمن قلت لجنابه كل بنت بالمدرسة هى بنتى الا الرسالة التى انتخبها جنابك من دهلا فقال لى وهو متغضب أنظر مع من تتكلم ففضبت وقلت هذا هو الكلام الفارغ كونى آتئى أمرا لا أرضاه بالخوف فأقامت يوم الاثنين فى الخرطوم ومت يوم السبت فى طوشكى ومت يوم الجمعة فى كبرى فعمري هذا الذى أشتمل به معكم هو ربح « فأشار اليه الرجل العاقل الذى يحل الأمور بالسلم » مضى جناب المستر همى لكتبه وقال لى سعادته أجلس ثم قال سألت منك بالأمن لآخذ رأيك فى هذا الموضوع فأنت أضمت كل اليوم فى مشترى ميزان صنيه قلت يا سعادة المدير أرسل كل للكتب أو من تثق به منهم وانظر هل أتئى أحد بمثل هذا الميزان فلو لا أتئى وجده عند أحد التجار الذين أعرفهم من المهديّة ما كنت أحصل عليه ثم وصلت قولى لسعادته أن الحكومة الحاضرة من محاسنها احترام العقائد والعوائد وهذا الموضوع يخالفها معا قال سعادته أنا وعدت الليدى استاك بأن البنات يحسن للاحتفال ولم يبق زمن أعذر لهما فيه وأن الشيخ محمد أحمد فضل سيحضر بناته وأمنه وعبيد عبيد النور سيحضر زوجته فصحكت فقال مم تضحك قلت لسعادته زوجة عبيد ابنتى وأنا ما علمت ذلك فأنى أؤكد لسعادتك انهما كاذبان لأن الشيخ محمد أحمد اذا وفى بوعد لا يمكنه أن يسكن السودان وعبيد كذب فزوجته لا تأتى حيثنذ قال لى وافق على هذا الأمر لأجلى قلت نعم أوافق عليه بأربعة شروط الأول ألا تكرر مرة أخرى وأن يعمل لهن بابا بالدرازين بعد الورشة وأن يكون باب خيمتهن جهة الشرق وألا يزورهن أحد ولا يقدم لهن طعام فقال بعهوده المتباد: الليدى استاك تزورهن ؟ قلت نعم فقال والمس ائمنس ؟ قلت نعم قال وزوجته ؟ قلت نعم فقام ومعه المساتر : يودال وهمى وقيلد وأنا معهم فطلبوا المعداد الذى فتح الباب فى المحل الذى أشرته ونصبت الخيمة بجوار شجرة ورد كذاب

كبيرة ورجعنا فقال لي سعادته على بدرى يأخذ النشور ليحضرهن قلت : على صغير فليصغى عبيد عبد النور وذكرت أن بناتي لا يأتين فأخلفت قلما وورقة من مكتبه وكتبت لبناتي يحضرن مع أخواتهن قلما علم بذلك سر سعادته ولكنني من ذلك الوقت هبطت قيسى وبلغنى أنه قد أخذ قرارا بإحالتى على الماشى آخر أربعة وعشرين • حضر البنات وفتحت الشروط • بعد أيام كتب لىنا جناب المستر هسى رئيس مفتشى المعارف منشورا بأن نحن مفتشى العربى الثلاثة المشايخ الشيخ أحمد الأمين وعمر اسحق والمبدئ إذا طلبنا أدوات من المخزن تقدم الطلب لفريد أخصى عليه الذى أعطى وظيفة مراقب فرفضت ولما سألنى جناب الرئيس قلت له أنا لا أعترف بأن فريد أخصى رئيس لى حتى أطلب منه أى شىء وجعلت أكتب للمخزن مباشرة وبعد أيام تكرم جنابه بلفو النشور •

سافرت لتفتيش مدارس كردفان ففى أول مرة طلب لى أن أعمل يروجراما يحدد زمن سفرى وأقامتى بحيث لا يزيد على يوم بالكتاب ويومين وبعض يوم بالابتدائى وهذا مبدأ شروط الثقة فلما رجعت زرت يوسف أخى بكومستى فقدم لى دفتر عمل وبه أنه ربح أربعمائة جنيه من بعض شركائه لا جسيمهم قلت له ان هتتى يا يوسف بأن نعيش من ماهيتى وحينما نكبر من معاشى ونأمن ببعضنا أرجع عندي من أن نعيش حالا ومالا من أرباحك لأن التجارة نادر وتفرز مودعته وعند دواعى قال لى أن حديثك خوفنى لأنى كثيرا ما رأيت حلتك يصح الله يستر فلما وصلت أم درمان وصلنى خطاب من ابراهيم بدرى بأن أسدد حسابات له تبلغ نحو خمسين جنيها فصرقت عشر أواق ذهباً كانت عند أم أحمد وأتممت الباقي وهذا أول هبوط قطارهم ثم بعد ذلك وصلنى من ابراهيم بدرى كتاب يطلب فيه موافقتى على أن يكون نائب مأمور فجرت دموعى المريرة المجرى حزنا فكتبت لايه فأمرنى أن أوافقته ثم طلب منى ابراهيم أن أساعده فذهبت للمستر كريان مدير الخرطوم وكان مفتش الدويم أو مديره والمستر بوسن صديق يوسف بدرى وكان معه صديقاه شوقى وشنتقلى اللذين جاهدا فحضرنا الدفعة الأولى للامتحان ولم يكن فيها ابراهيم فذهبت للمستر مكيمكل السكرتير الإدارى وقلت له أنى علت مع سعادتك جمىلا بتوصيلى عشا المدير التى لم تجد سعادتك أحدا يوصلها فقال أذكر ذلك قلت أريد أن تطلب ابراهيم بدرى من الدويم وتلقاه بنواب المأمير

فقال لي عرست الدفعة على اللجنة وأتحتب اللاتون في نظرنا قد طردنا كثير من وموا عليهم فلا يمكن أن أتدخل بعد ذلك ولكن أشير عليك أن تذهب الستر كردين مدير الخرطوم فهو الوحيد الذى له هذه الفرصة وربما يستطع أحمد المتحيز في الكشف الطبي فذهبت لكردين فوعدني بعد خمسة عشر يوما أسأله ولكن قابله قبل الخمسة عشر يوما بالسكة الحديد بالمحطة وأخبرني أنه كتب لإبراهيم بالحضور فأتحتب ومر في الامتحان بتفوق خصوصا في القانون الذى كان فيه برنجي الرقة والذى جعل معهم فيه حليل أفندى الخورى البرنجي غيره فجاءني إبراهيم وأخبرني انه برنجي القانون كما يشق من نفسه أنه كتبه كما ألقاه المدرس عليهم فاذا أخطأ في شيء يكون منه غلظه هذا ناتجا من غلط المعلم نفسه في القائه ولهذا التمر بعد نفسه مطلوما فذهبت لفريد بك عطية بمنزله وحكيت له ما قاله إبراهيم بالحرف وزدت عليه أني واثق بما قاله إبراهيم فأخبر خليل أفندى ليراجع أوراقه وإن لم يفعل سأرفع الموضوع لمعالجة السكرتير القضائي فأخبره فراجع الأوراق مرة أخرى فوجد إبراهيم بدي هو برنجي فعمل حكمه وصر إبراهيم .

برجوعى من كردفان اجتمعت صدقة في القطار بصين بك سرى ومعه حبيب بك ؟ بغرفتهما فدخل أولا حبيب بك فحيانى وجلس ثم جاء حسين بك سرى وقال لى من غير تحية يا أستاذ هذه الدرجة الأولى قلت أعرفها فمكت فلما جاء الكمسارى وأعطيته تذكرتي فرأها حسين بك قال لى حضرتك قاضى أى مديرية قلت أنا مفتش بالمعارف فمكت قليلا ثم قال لى أنا فلان وهذا فلان أبنا من البحيرات الاستوائية في مأمورة هندسية فقلت أهلا وسهلا واللك مشهور على وقد رأيته في المعطة العمومية في الخرطوم وكنت لسماعى تصور له شخصا بديا فاذا هو معتدل يميل للتحفة علامة النشاط البسندنى والتوقد ذهنى ثم قال لى هل عندك مانع تتكلم قليلا في السياسة العامة فاني أريد شيئا أحمله لصر عن السودان لا سيما من رجل مثلك . قلت لا مانع فتندى فاستجمعت فكرتي غدا منى انه يسألني عن أشياء غامضة تحتاج لذاكرة ومفكرة فانهشت لما قال لى الوفد سافر لا تكثر الأي سبب فلم أرد عليه فكرر لى العبارة بنفسها مرتين فقلت له أنت شريك في السودان يحكم عظمك الخافق عليه والوفد مر بمصر فلم لم تسأله أو تسأل شريكك الذى أرسله هذا السؤال

الذي سأله بعد أربع سنوات فسكت وصحك صاحبه واتبه لى وبعد هبة قال لى حسين بك لماذا تصبون الانكليز أكثر من المصريين وهم أحق بمحبتكم قومية ودينا ولعة قلت هل تسألني عن قمى ومن فى سنى أم عن الشيبة المتعلمة قال أسألك عن الجميع قلت أما كبارنا فهم يعرفون للمصريين فى حكومتهم التي استقلوا فيها بثورة عامة ودعوة رجل واحد مهما تقتدون نوعها ومسيها ما يفيد جوابك عن سؤالك هذا أما الشيبة فهم يمترون الانجليز بحسبكم مباشرتهم للإدارة هم السبب فيما وصلوا اليه من حضارة وحرية « وإن كانت حرية جزئية » ويرون كل علامات الحضارة من مؤسسات غير حكومية من مدارس وشركات ومستشفيات هي انجليزية ولا يرون أثرا بينها للمصريين الا جامع الخرطوم الذى لم يزل ناقصا فى كمالياته وبعض أركانه فلذا يقدمونهم عليكم قال ولكن كيف تصبونهم لهذه الأشياء النافهة وهم يعلمون أنا لو أردنا عمل مثل هذه المؤسسات يمتوتنا من عملها قلت أن النيل الى فرس وأذندان لكم فيه التصرف الكامل فلو أرسلتم استبالية كاملة بأثاثها ورجالها أو مدرسة كاملة بأدواتها ومعلميها الى حدودكم السياسية وهم أرجوا كليهما لعذرناكم ولكنكم لم تعملوا فقال له حبيب بك أسأله أسأله فسكت قليلا ثم قال لى حسين بك أنا أعرف أن المأمير الدين بأشروا الحكم فى أول دخول هذه الحكومة هم الذين أساءوا سمعة المصريين عند الشعب السودانى وانهم يعملون ما يسوءكم تمت ضغط الانكليز ليصلوا الى هذه النتيجة قلت نحن أعلم منك بذلك ولكننا اذا وافقت عزيتك على الكراهة المزعومة عندهم فسيها « ان كانت » نمزوه للوزارات المصرية والمصريين من الشعب المصرى فالتفت بحوى حبيب بك مع صاحبه وقال بصوت واحد كيف ذلك ؟ قلت أما الوزارة فعندما قال الانجليز نريد أن نعمل فى السودان ردا كنا نتظر من كل وزارة مصرية تعلم جعل احوانهم فى السودان بالسياسة ادارة واقتصادا أن تحول للانكليز بأموال من تمت اشراف من وبأى فائنة فى المائة شفقة على اخوانهم القاصرين ولكنهم قالوا رى السودان يضرب فى « الوقت الحاضر » يرى مصر فعل هذا يدل دلالة حقيقة على ما يدعيه المصرى من انه الأخ الأكبر لأخيه اليتيم الأصغر فسكتنا قليلا ثم قال حسين بك هل غير هذه حادثة مثلها قلت نعم وأكبر منها وقال وما هي ؟ بعناية وشوق لسماعها قلت أنهم فى سنة ١٩١١ حينما تعدى الطليان على أفريقيا

رسلتم للبحرية مئات الألوف من الجبهات اعانة وفي سنة ١٩١٢ حصلت حرب
البلقان أرسلتم مئات الألوف وجندكم اعانة للاشتراك وفي سنة ١٩١٣ بدأت
المجاعة في السودان وبلغت أشدها في سنة ١٩١٤ حتى بدأ الموت جوعاً من
الفقراء واستمرت المجاعة حتى جلب الانكليز القلال من الهد والنقيق من
استراليا فانجرت الأزمة ولم يصلنا من مصر اعانة حكومية ولا شعبية وان
قلت ، فقال حين بك لم تسع هذه المجاعة قتلت عجا : الأخ الصغير يموت
جوعاً ولم يسمح به أخوه الكبير فخرج حبيب بك يسمح جموعه بمديله فقال
لى حسين بك يستأذنى أن أشر هذه المعاناة فقلت لا فائدة لى ولا لك في نشرها
قال ولم قلت لأنها توضح عيوبكم في السودان فتبني كراهتنا لكم التي تدعونها
بسب المآثر وتصرفهم على حقائق أخرى جوهرية أما فلا يصح لموقف كبير
في سنة ووظيفته ينهكم لمساوئكم فتصلحونها وربما أدت النصيحة لعكس
نتيجتها لمن لا يعرفون قيمتها . وهذا وصلنا قاطع مسار الذي نزل فيه ليرى
خزان سنار فودعاني شكرنى حبيب بك على هذه المرحلة التي زودتهم بها
ليشوها بمصر .

في هذه السنة على ما أذكر دعاني المستر يودال لأصحح توفيق البكري
الذي يريد الذهاب لمصر فعلى قدر ما نصحته لم يقبل نصيحتى التي يعلم الله
ما أردت بها الا خيره على ما أعتقد الذي يعلم في بلده ليخدم بلده
باستعداده العلمي وموهبته العقلية والتمسك بمبادئه المبلومة بالأخلاق الحسنة
وعقائدها القائمة كلها على الكتاب والسنة وما يصرفه في بلدنا الفقير من مرتبه
الصغير ويشارك فيه من يعتمدون عليه من ضعفاء عشيرته « كما دتنا » خير له من أن
يكسب وظيفه عظيمة أو ثروة طائلة فيخدم بها بلاده أخرى ولكن اختلاف
العقول لا اتفاق معه علم هنري جيد أن مفتش كوستى صديق يوسف بدرى
قد أعطاه سكر كوستى فذبح الأمل هنري في ربح السكر المضمون أن يد
يوسف بمبلغ السكر الذي من شرطه أن يدفع لخزينة الحكومة مقدما قبل
استلام السكر فيكون له نصف الربح قبل يوسف دون أن يشاورنى وذلك
لأنى اتصلت من التجارة وى رأى حبيى يوسف أنى لا أعلم منها ولا فيما
يتعلق بها فاهملنى وكتبت الشروط مع هنري وأمضاها حتى أخبرنى فسكت
حيث لا ينفع الكلام على رأى المثل السودانى « الجس البعد الضبح » وابتدا

يوسف في استلام السكر « المشوم العاقبة » يستلمه يوسف بالإكياس ويستلمه من يشتريه به الرأس فينقص كل كيس من راسين الى خمسة رؤوس ويوسف بدرى يخبر المفتش الذى صار يحصر قصاص كل رسالة حصرا رسميا ويخبر به المدير الذى يخبر به الحكومة العليا بالخرطوم وكانوا متأكدين بأن الشركة تدفع هذه الفروق كاملة ليوسف الذى اعتقد هذا وصار يطالب من يشترون منه على ما استلموه وكل قصاص يحسب عليه شخصا والحكومة تطمئنه كلما سألها وهتري جيد بدوره يطالبه على الكامل ويأخذ أرباحه كلها حتى انكشف الأمر بغير ما يأمل يوسف الذى تحمل كل شيء وأخطى شريكه هتري المظاع ومن يشترون منه من مسئولية النقصان الذى لم تبلغ الشركة منه شيئا وحببتا بأن هذه الأكياس تمر على مكتب حديد أوروبا في البلجيك وعلى البحر الأبيض والبر الى الخرطوم فالشركة بقانون الشركات غير مسئولة فلما أعلن يوسف بهذا الحكم أصابه اليأس وجاء للخرطوم فاجتمعت به في بعض أوباشي من الأسفار فأخبرني بأن الأمين الحاج شهر افلاسه فلنذهب اليه نأسف له فلما وصلنا الأمين الحاج بمنزله بالخرطوم أسفنا له وخرجنا وسمعت يوسف يقول لمن معنا من التجار والله حينما يأتي دورى بالاغلاس أقلس فلامسا شرفنا فوقمت هذه الجملة على قلبي موقع الصاعقة لأمرين الأول أحسست بأن ماليته صارت قليلة لا يستطيع أن يمد شركاه المتحمدين مصدا ميرغني يبحر النزال وجبارة بالرنك وعيسله بأم رواية وانى أعلم ان الشرك الفرع اذا تم يملأ الأصل يضم له السوء ويشهر أحيرا افلاسه بعد أن يبحر لنفسه ما يشاء والثانية أن يوسف يعمل ما يقول فاذا أراد الله أمرا هيا له أسبابه .

غاب المستر بومن عن كوستي واستلم المركز مفتشا جديدا لا يعرفه يوسف . في يوم ما من هذه السنة جاء الى الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم وطلب منى أن أقابله بسماعة المدير فدخلت عليه مخبرا بقدم الشيخ وطلبت الاذن في مقابلة قائمت عنى وقال أنا أقوم أرمى نفسى من التباك لكى أخلص من الشيخ أبو القاسم قلت يا سعادة المدير انت عالم والشيخ أبو القاسم رجل عالم أيضا فالعلم يجعكسا وهو قادم لكم في أمر ابنه والابن شيء مهم في نظر والده فبالله عليك أن تهابله فطالما رأسه العاقلة كمداته وقال دعه يدخل والدخل عليه وطلبت له قهوة أرسلتها لمكتب المدير وكان الموضوع الذى قدم له

هو التوسط في توظيف ابن له رقت من مصلحة ليعخدم مدرسا بالمعارف فلما خرج منه طلبني سعادته وقال لي من أحضر هذه القهوة قلت أنا خشيت أنك تسي اكرام الشيخ جريا على عادتنا أن عدم العروض جفا فقال أنا ما أدفع ثمنها قلت جيبي هو جيبك الصغير فضحك ودفع ثمنها .

سني ضيق وخزن :

دخلت سنة ١٩٣٣ وبدأ يؤسنا يظهر جليا في نصفها الأخير متنوعا متعددا في أوائل هذه السنة ذهبت لمديرية كردفان فوجدت في مركز باره اعلانا مطبعا في عمود أحد الدكاكين بالسوق مكتوبا عليه ما معناه أن الحكومة لا تعترف « وليس السيد » لسيد الرحمن المهدي بأى شيء يميزه عن عامة الناس فكل من يجد أحدا من جماعته الذين يتقاضون باسمه قودا أو عروضا باسم الشيخ عبد الرحمن يلتقي عليه القبح سلطة محطية أو مركزية . أخفت هذا الاعلان الذى يحاطف معاملة الحكومة العليا للسيد عبد الرحمن المهدي مخالفة شاذة من نوعها لأوصله لمدير المعارف الذى له دخل كبير في السياسة بصفته من أعضاء مجلس الحاكم العام وكذلك عند زيارتي مدرسة الساعاتا أطلعتني المبددة بخارى على خطاب باسمه من أحد يدعى أن سيد الجميع أرسله لتحصيل حقوق الله من الأخوان الصادقين أمثالك ليصرفها في مستحقها وأخبرني بخارى أنه يريد أن يوصل هذا الخطاب لمدير كردفان فلما قرأته أمتعت من رده له وضممته للاعلان فلما مررت من كوستي زرت يوسف أخى الذى وصل معي للقطار وقبل يدي عند قيام القطار على غير عادته فوجدت بذلك القطار السيد عبد الله التفاضل فأطلعت على الاعلان والجواب وقلت له لاى سبب السيد عبد الرحمن يرسل هؤلاء ؟ هل عنده اذن من الحكومة بذلك فأخذ مني الاعلان والجواب ورجع بهما لكوستى ليرهما السيد بالجزيرة أبا ويرجع لي بهما في البومسة الآتية لأعرض الاعلان لسعادة المدير وبوصولى وجعلت خبرهما عند السيد حسين شرف الذى سألني عن تفصيل الاعلان فلما آكدت له صيغته أخبر بها المستر ولس مدير المطارات وجاءني السيد حسين ليلا بمنزلي وأخبرني أن المطارات سألت مدير كردفان الذى سأل مفتش باره الذى أنكر كل ماقلته

عن وجود الاعلان وأخبرني حسين شريف أنه بلغ مدير المخابرات انني مصدر هذا الخبر ولربما تسأل عنه فأصبحت وبوصولي المكتب أخبرت مدير المعارف بالاعلان وأنا أتحدث معه طلبة مدير المخابرات الذي أخبره بما حصل وأني مصدر هذه الفتنة بابكر بدرى فرد عليه مدير المعارف هو الابن يحدثني بذلك وأنتم بأى سبب تحدثون مثل هذا وشكرني بعد اتمامي للحديث وانصرف ولكن تتج عن ذلك اني كنت في حفلات السراية أدخل بالكركت الأحمر والخصوصى مع المتمازين ففي أول حفلة أخذت الكركت الأبيض الذي يغول لحامله التحول في ميدان السراية وليس في بوفيه العرفة الخاصة الى اليوم ولكنها بيعت غالية *

يرجوعى قمت لمديرية سنار فلما وصلت متجة وجدت أمرا من المعارف بالبحث عن قصية فراش ادعى صاحبنا عوني أفندى أن عبد الله شوقي الأسد ناظر كتاب الروصيرص جاز قبض مرتب فراش مدة أربعة شهور ولم يكن بالمدرسة فراش وأنه في مدة العطلة المدرسية يخدم الفراش في ورعه الخصوصي فأخذت ممي من المديرية أسماء الفراشين وما صرف لهم من المرتبات وقيمتها عن سنة كاملة ولما وصلت الروصيرص تركت الناظر مشتغل في فرقة ودخلت العرفة الرابعة وبدأت معهم الأسئلة الطمية شفها في مقرراتهم ثم صرفتهم لمعلومات الذاكرة قائلا لهم أن تلاميذ بعض المدارس يحفظون ويذكرون ما يمر عليهم من المعلمين والمآمر وحتى الفراشين مدة سنتين كما يفهمسون كم شيكا بالمدرسة وكم عرقا في سقف العرفة قلت طأطأوا رؤوسكم وقبل أن ترفسوها جاوبوني كم شيكا بفرقتكم وكم عرقا بسقف فرقتكم وكم معلما مروا عليكم هذه السنة وما اسم الأمور السابق وما اسم القاضي الحالي وكم فراشا مروا عليكم هذه السنة وما أسماءهم وهل منهم أحد ساكن في منزل عمدة أو ناظر مدرسة فأجابوا حتى حصلت منهم على أن الفراش الأخير والدته ماتت وسافر منذ شهرين والتلاميذ الكبار يخدمون خدمته حتى جاء من يعرف اسم الشهرين اللذين غابهما الفراش ياشاعرون فصينوهما مارس وايريل فلما راجعت أوراقى سنجة وجدت هذين الشهرين غير مصروف فيها مرتب فذهبت لجناب المفتش وعرضت عليه الأوراق وأخبرته بما علمته مع التلاميذ فطلب المأمور عوني صاحبنا فذهل حينما رأيته مع المفتش الذي سأله بالعربي ان بابكر بدرى عمل

تحررات شعبية قضت ببرائة فاطر المدرسة ففي الحال قبل أن يتكلم وقعت وصافحته فقال لجناب المفتش أنا متأكد أن شهرين من هذه المنة لا يوجد بالمدرسة فراش قلت ماهي الشهران قال لا أعنيها قلت التلاميذ قالوا هما مارس وابريل . قال يمكن هما الشهران . عرضت عليه أوراق المديرية انهما لم يصرف فيهما مرتب فظالماً رأسه وخرجت منهما وأظن المفتش يناقشه الحساب لأنه عمل على طلب محاكمة الناظر من المعارف ثم بعد يومين بلغني أنه شكك نائبه اليوزباشي محمد جيمه بأنه مفتصب خاطئه من جماعة العملة أبو شوتال وعاملها امرأة مرة وظهر أخيراً أن محمد جيمه صافحها بقسيمة وحضرة للأمر هذا يهم الناس قبل أن يتحقق تماماً من وقائع الحادثة كما حصل معي برفاعة وكما حصل منه مع الشيخ محمد أحمد الطاج بسنجة ومع الشيخ المساقب نور الهادي بالروصيرص .

قلت استلم المركز بكوستي مفتش لا يعرفه يوسف بدرى ولا يعرف هو عن يوسف بدرى ولا عن قضية السكر شيئا وكان يوسف رحمه الله لا يتصل بالناس بسهولة حتى يظنه من لا يعرفه انه متكبر أو أنه لا يعين آداب العشرة لكن أنه اذا عاشر حفظ عشره غائباً وحاضراً ووفى له غنياً وفقيراً نعم أن ميله للمساكين أكثر من ميله للأغنياء وللرعية أكثر منه للحكام فاقدمت لمديرية النيل الأزرق والأبيض مما فلما وصلت الكاملين من أبو دليق أبرقته في يوم أربعة يونية سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وألف اني قادم لمدارس النيل الأبيض فهل ترى ابتدائي بالقطيئة أو بكوستي فرد على ابتداء بالقطيئة لتمر على الدوام لمهمة لازمة فوصلت القطيئة مساء يوم ستة يونية فنزلت على الشيخ حسن أحمد فاطر المدرسة والذي مكث معي برفاعة سنتين فصار كالحمد أولادى . فلما أصبحت فلوطني تلفرافاً من صديق المرحوم فسه : الشيخ بابكر بدرى القطيئة : الشيخ يوسف بدرى ضرب نفسه رصاصاً وأخذ لكوار بقطار خصوصى لتعمل له عملية فأبرقت ابنه ابراهيم بدرى في الحال ليبرقني نتيجة العملية وذهبت للمدرسة بدأت التفتيش بأحد الفرق فاذا الساعى يعمل لى تلفراف لى من لو يغدى باثنين من أولادى لما بغلت يعلم الله بغدائه بهما ولكنه الأجل المحتوم الذى لا يقل فداه ولا رشوة قرأت التلفراف فأحسست بأن قلبى فتح ودخلت فيه ربيع باردة تصبب لها جسمى عرقاً ثم في الحال آل الى رشدى

وقلت لو مت أنا يوم رماني الجبل بأرض الحجر ومات يوسف اليوم لأصبح أولادنا هملا بلا هاد ولا راع وقد علم الله أن بقائي لأرشاد أولادنا مقدم من علمه على نقاء يوسف وقد فعل الله لنا الخير فلا يجوز أن تقابل نعمته بمقابلة هبته وقد مات حبسى فلا يليق بى أن أغضب ربى وحاولت أن أسير فى عملى ولكنى هبطت قوتى المعنوية والعقلية فخرجت من القسرة وذهبت لكتيب التلغراف لأخبر أولادى بأم درمان ولأعزى إبراهيم بمكوار فلذا تفراف من على يدى معناه بعد العنوان : أبى أتلى بى من أصابنا وكلام بعده مؤثر فمزمت الجميع مصبرا على أنى ملهب القلب وأنى كنت طلق اللسان للمعزين • فى اليوم نفسه علمنا أن واپور قادم للتويم فتأهبت للسفر فجاءنى الشيخ حسن أحمد يحمل بيده أربعين جنيتها مهر ابنتى عزيزة التى سبق أن خطبها منى فقلت له الآن قد حصل ما ترى وطبعا هو ما يؤجل الفرح فأبق هودك بيدك حتى يأتى الوقت لما تريد فرجع بعد أن دخل معى الواپور فوجدت اليوزباشى معصدا جمعه الذى واسانى فى مصيبتى ولا يرح يوانسنى حتى وصلنا التويم الذى علمت فيه السبب التافه الذى أدنى لهذا العمل المنجى لكل من سمعه وفى الحال قلت هذا البيت الذى أتممت قصيدة فى ليلة ولحظة وهو :

هى غضبه من عاقل قالت لنا أن القضاء منفذ فى حينه

ماهو السبب التافه قلت أن يوسف لما رجع متعنا كردفان قبل يدى عند وداعه لى على خلاف عادته وكان قبل هذا جاء لأم درمان وفى ليلة انتظرتة بالمشاء فما جاءنى الا بعد الساعة ١١ احد عشر مساء قلت أين كنت فتنفس الصعداء ولم يبع لى بشئ وفى صباح ذلك اليوم مسافر لكومتى فاهتممت بالأمر فعلمت بعد سفره أن هنرى جيد قد خصم عليه فروق السكر هذا من حساب يوسف أما السبب المباشر لما كان أول يونيو الذى سيلفخ فيه ثمن السكر مقدما فقصت من القيمة مائتا جنيه أخفها يوسف من أخ الفقيه الضو بكوستى وحول بها على هنرى الذى لم يقبل التحويل فأمر الفقيه الضو أخاه باسرداد المائتى جنيه من يوسف فردها له وخرج من السوق لمنزله وشرع يكتب وصيته التى بدأها بقوله : انى أعلم أن الاتجار جبن وعار ولكنى أقدمت عليه اتكالا على غفر ربى ورحمته وغفراته الذى يعم كل عاصى مالم يشرك به ثم ذكر

ما يعرسته من تقود وخصص منها أربعمائة وعشرين جنبها قال انها أمانة لأحمد لا يذكر اسمه ابتداء على سمعت وأخبر عثمان محمد صالح الذي كان معه منذ صخره بصاحبها أو أصحابها وقد سلمت له أولهم •

بعد وصولي للدريم وجلت فرائش الأثم الذي جلست عليه وقبل رفعه طاعتني حسب سيدها أختي وأخبرتني أن كل ما عندها من حلى الذهب ومعه حلى عاتش ابنتي وحلى مديبة بنت أختي جعلته يزيد على الثلاثين أوقية صاع من بيتي وأنا أتهم به خادمه ولقد طلق النار تحلما بالأجرة ولا أحد يعلم مكانه غيرها وهي قد عابت عنا كل هذا اليوم فأرسلت في الحال لحمزه أفندي طمبسل نائب الأمور فأخبرته بالحادثة وقد أهتم بالأمر اهتماما عظيما حيث وضع الخادمة في السجن فلما جاء اثنان من أولاد سيدها يحتاجان على مجنبا وضعهما أيضا في السجن منعزلين عنها وفي نحو نصف الليل تسمع لها ولهما فسمع مما أكد له أنها السارقة وإن الذهب وضعت عند إحدى خادمتي محمد بشير المبادي فجهاء فأخبرنا وفي الحال طلبت بشير أفندي محمد بشير وهو صديقي فأخبرته بما قال نائب الأمور فذهب الى منزله وطلب خادمتي وأقسم لها على المصحف والطلاق ان لم تخبره بالحقيقة ليقتلها ويقتل فيها فوعده أن ترمه الى أهله قبل طلوع الفجر لأنها أودعته عند صائغ باعته له منه أوقيتين والباقي تيممه شيئا فشيئا وفي صبح تلك الليلة وجدته أول خارجة بسنديله دلمخل السور ناقصا أوقيتين لعائشة ابنتي فأخبرت حمزه أفندي الذي أفرج عن الجيسع وتمازلنا عن الأوقيتين الناقصتين •

وبعد رفع الفرائش زوت سعادة المستر نكلس المدير فأبدي أسفه الزائد لوفاة يوسف وأخبرني أنه سمع الكثير عن عقلية يوسف وشفقه وخسارته في السكر التي دبر لها تعويضا مضمونا بأنه عزم على إعطائه سكر كل المديرية باسمه مدة ثلاثة سنوات وذهب لكوستي ليخبر يوسف حينما يقابله بخصوص خسارته ولكن يوسف زاره الزيارة العامة الاعتيادية للتجار ثم لم يمد يدها حتى رجع الى الدويم فشكرته وقلت له ان القضاء قد فيه ولذا أراد الله له أمرا هيا أسبابه • قال صحيح وودعته وانصرفت وبارحت الدويم لكوستي ومما هون على وقع المصيبة وجودي بكثير من القسرى ما تمأ على يوسف لدى الناس لا أعرضهم •

ولما وصلت الى كوستى تقينى بها ابراهيم بدرى ومحمد على شوقى الذى
 أخبرنى أن والده المرحوم موسى شوقى أمره وهو فى مدة الاجارة أن يبق معا
 مادنا محتاجين له ويستعد لكل ما نطلبه منه وهو كما أمره والده يقدم نفسه
 لنا فى محتنا فشكرته ووالده والآن أكرر شكرى لهما . فتحنا الدكان وفتشنا
 الأوراق فوجدت فيه مصغى الذى أحسنه منى رحمه الله
 فأحدثه حيث لا أرى ان ابراهيم يحتاج له ووجدت بين
 الأوراق سندا على محمد على ميرعى يبلغ يوفى على الأربعمائة جنيه فبرقته
 بعد أن خرجت من الدكان وسندا على الأستاذ محمد سعيد العباسى يبلغ
 ثلاثين جنيها وكما كنت سمعت من المرحوم انه لا يريد استردادها منه حملت له
 سندته حتى سلمته اياه وأخذت صورة يوسف الوحيطة التى رسمت له مع
 العائلة الكركجانية بمنزلهم بأم درمان واستخلصت منها صورة منعدة بواسطة
 مصور ماهر كبيرها بمصر ووضعتها بمزلى لأنظرها صباح ومساء .

وقد كتب الأستاذ العباسى تحتها هذين البيتين :

لو أنصف الناس الكرام لثيبنوا

تمثال كل مسود مسباق

رسموك يوسف فى التواظر منهم

عوضا عن التصوير فى الأوراق

وكما احتفظت بصورته احتفظت بخطه فى دفتر كويتيه وأردت أن أحفظ
 بساعته المكتوب على طرفها حروف اسمه ولكن أحدها ابراهيم ابنه ولا أدرى
 أحفظها أم ضاعت . قلت قصيدة فى رثائه وأنا بين الدويم وكوستى لم أذكر
 منها سوى هذه الأبيات :

قد مات يوسف يا دنيبا فصولى

فى حرامك وأعلى فى تماويلى

الياس والبؤس والضراء لجمعها

من بعد يوسف لا تسطيع توهينى

هذا الذى كنت أخشى أن يزعمنى

قد جرت محنته والفضل الدين

وفي ختامها قلت : -

يا رحمة الله تغشى روحه أبدا فانه كان كهفا للمساكين

رحمه الله رحمة واسعة فانه مع القادر قد بذل علينا بنفسه في وقت أحوج ما نكون لموته رحمه الله .

بعد وفاة يوسف بشهر توفي المرحوم سلمان المدني فزادت جرحنا اتساعا رحمه الله لأنه توفى وعمره لا يتجاوز الخمسة وعشرين سنة ولم يظف ذرية وكان رحمه الله ناهضا ذا أمل واسع وشوق للادب العربي حسن الانشاد على رواية الشيخ المباهي جميل الصوت لم يسم تلميذه الذي أردته له لاصابته بضعف القلب وقرار طبيب الكلية برفته على اني طلبت من المستر سمسن وكيل المعارف رسميا استمراره في التعليم على حسابي واشترطت له اني لا اطالب باستخدامه في الحكومة فرفض بتاتا فحفظت الأوراق التي تداولت بيني وبين المستر سمسن حتى بلغ رشده وأطلعت عليها ولما قرأها أدمت عينيه ودعني لي بالخير ونذب حظه وليتني لم أطلع عليها فانه علم منها مرضه بالقلب فارتاع لذلك ولم يزل يضحك الى أن توفي رحمه الله رحمة واسعة وعوضه الجنة في شبابه . قبل رؤيتي لوصية يوسف بخطه وكتابه معها لهنري جيد يلومه ولما سمعته بالدويم من أن هنري هو السبب في موت يوسف كنت حاقا على هنري أدير أكثر ما أدير كيف الحق به ولكن عند ما قرأت الوصية وكتابه لهنري هدأت تأثرتي على هنري الذي لما وصلت أم درمان وزارتا للعزاء ورأيت منه كما بلغني عنه تخوفه من عائلتنا بدأ يمتدح بأنه لو كان يعلم أو يؤمل ما حصل لتلافاه . قلت ائت تعلم عقلية يوسف التي تجعل الكثير من صعوباتكم حلا مناسباً ولكن (الملقب لا تجعل قصها) فوالله لولا اني رأيت كتبه لك يخطئه وانه يبرئك من الجريمة بما حملة كتابه لك من اللوم فوالله لو وضعتك الحكومة في قفس من حديد ما نهجت منا ولا حال دوتا ودون تلك حائل مهما كان حصينا ولكن الآن ثم مطمئنا . فظهر على وجهه السرور طافحا ولم أره بمسدها حتى حل به الافلاس للشين وفارق السودان نهائيا . حينما قابلت المسترهمس بالمكتب جاملني في مصابي أحسن مجاملة وحتى قال ما الذي تطلبه مني بخصوص موت أخيك وكان يظن ان اطلب منه مساعدته في أخذ ثأره مبرر كان السبب في موته .

استحب لما قلت له تسعدني في أن أخذ الدرجة الرابعة فسكت واشتغل عني
فخرجت منه وأحسست بما دبر لي من شر منهم .

فلما فتحت المكاتب بعد العطلة علمت بأنني نزلت من مفتش الي ناظر
الابتدائي بالخرطوم بدلا من مصطفى السيد الذي قتل لأم درمان ناظرا بدلا
عبد العظيم بك الذي قتل ناظر لقسم المعلمين والقضاة بالكلية فزاد الي اني
سأفارق مدارس البنات التي أحبا وأرتاح للعمل فيها لاهياء وإثارة أمهات
المستقبل وسكنت الخرطوم بتي الساره زوجة ابراهيم يبرى الذي رأيت ان
مرتبته الأربعة عشر جنيها لم تهيم له شئونه الشخصية في وظيفته العالية ورتبت
لوالدته ستة جنيهات شهريا لمعيشتها ومن معها وطلبت أيضا ابنتي عائشة زوجة
المرحوم سلمان المدني وأجرت منزل سالم ورئيس فراشي كلية غردون الذي هو
ساكن في تصفه وكان بعض أولادى يرقاعه وبعضهم بأم درمان وقطعوا عني
بدل السفرة وأجرة الزوامل التي كنت أكسب منها . بقيت في الخرطوم
وتوزعت معيشتي وقطعت ايرادى وكانت يدي ثمانية وتسعين جنيها أمانة
لابراهيم مالت وخمسا وأربعون جنيها مرتب عائلة لعبد المجيد على طه وطلبت
من شبكة بالدوم أربعين جنيها كل هذا مع مرتبى البالغ سبعة وعشرين جنيها
ضاع في مصروفاتي قبل أن يمضى عام واحد وزاد الطين بلة اني ربطت بالخرطوم
للطارتين من الضيوف والعيام أضفاني جفا مسيرى راجلا بين منزلى بالسجادة
والكلية بذلك الطريق الرعلى أربعة مرات وفطورى الذي لم أجد مكانا آكله
فيه . وفي أحد الأيام مر على سعادة المدير ووجدني آكل فدخل على المكتب
وقال لي هذا مكان الأكل قلت وقمتي بين يدي أين مكانه قال أنا آكل
بمنزلى قلت منزلى بالسجادة أكثر من كيلو ونصف فسكت ولم يعد يسألني
بعلمها اذا رأيته آكل بمكتبى لأنه رجل مؤدب . كان عبد القادر شريف وكيلا
لناظر وكان التلميذ ابراهيم الجزولى خارج المدرسة من فبراير الى اكتوبر
سنة ١٩٢٣ لم رصه فلما جاء وقت الامتحان منعه عبد القادر دخول الامتحان
ولما ظهرت النتيجة لم يكن اسمه ضمن من يستخدمون عادة بعد اتمامهم رابعة
ابتدائي فطلبت من سعادة المدير تعيينه فقال انه لا يستحق التعيين لسقوط
اسمه فقلت أنا ناظر المدرسة منعت الامتحان وسعادتك المدير فجازني أنا المانع
له وألحقه بالمستخدمين وبعثت سعادته الى باب منزله فوقف معي دقائق ثم

قال بي أنا أريد أتعدي فقلت لسعادته ما السبب في منع إبراهيم الجزولي الاستعداد فقال لي امشي اسأل المستر يودال يخبرك وأجبرني المستر يودال أن إبراهيم مرض بالسل وإن الطبيب قرر عدم لياقته للخدمة والدروس معا وقال إنه سيوت بعد ستة شهور فأرسلته لأهله برفاعه التي توفي فيها كما قيل عنه .

في هذه السنة طلبني سعادة المستر يودال بمكتبه وقال لي أنه وصله بلاغ من التلميذ . . . أنه لوطي وأني سمعت أن أرسله للطبيب يكشف عليه . فقلت لسعادته أني لا أوافق على الكشف الطبي لا له ولا لغيره من تلاميذي الذين تحت إدارتي ولا لغيرهم من السودانية قال ولم قلت نحن عندنا ثمانية ضباط خمسة إنجليز وثلاثة وطنيون تخبرهم أن يراقبوا هذا التلميذ بصفة خصوصية لأن أثبتوا عليه وهو متلبس بالجريمة نرفته يغير هذا السبب وإن كان كلام ولد في ولد لا قيمة له . قال الأحسن أن ترسله للطبيب قلت هب سعادتك أرسلته وأنا بصفتي والده قال قال أنه مقبول أقول لسعادتك أنا سلمتك ولد برا شيا وإذا قال الطبيب أنه برىء أقول لك قبحت سمعة ولدي بمادا يجاوبني سعادتك فأطرق مليا ووافقني . كان هذا يوم الثلاثاء فلما جئت من أم درمان صباح السبت طلبني سعادته حالا وقال لي وقعت مصيبة كبيرة (جملته المعتادة) قلت ماهي قال التلميذ . . هرب من المدرسة قلت لا يهمنا أمره لأننا في مدرسة ولسنا في سجن عليا أن خبر والده بغيابه فجاءني . فقال سعادته أخبره برقيا فحضر والده وأمره المستر يودال بمقابلي لأعرفه سبب غياب ابنه فلما سألي قلت له أن ابنك ضعيف في بعض علومه وأني أقسمت له أن سقط في الامتحان أجلبه ثلاثين جلدة في الطابور فضايق من الجلد المزعوم وهرب فأبحث عنه ولحصره للمدرسة فبعد يومين طلبني سعادة المستر يودال ووجئت والد التلميذ . . . معه فاولنى كتابا مفتوحا وقال لي اذهب مع هذا الشريف يوسف الهندي وأعطه هذه الكتاب فلما قرأته قلت لسعادته لا يمكنني أن أوصل هذا الكتاب عنك للشريف يوسف الذي تعتبره الحكومة والشعب ثالث الزعماء الدينيين بالسودان فإذا أوصلت له يعتبرني كأني أنا الذي هديت بما فيه فلما رأيته مصفا على وصول هذا الكتاب المملوء بالسباب خرجت وطلبت الرجل أن ينتظرنى بمكتبى ثم دخلت على سعادته وقلت له لا تكتب

مثل هذا الكتاب للشريف يوسف على قول شخص لم تتأكد من صدقه فاذا قدم
الشريف هذا الكتاب للحاكم العام فما هو السبب الذي تبديه قويا مؤكدا
لمثل هذا السبب ثم قلت الأحسن أن ترك هذا الكتاب وأسير إليه أنا ومعى
الشيخ لطفى الذى هو بمكتبى الآن مع والد التلميذ فان أعطانا الشريف التلميذ
اتمى الموضوع بسلام وإن امتنع الشريف وجئت شهادا عليه ووقتئذ أرسل
له هذا الخطاب وليفعل ما شاء له أن يفعل فوافقنى .

أحدث الشيخ لطفى وابنى يوسف والرجل فلما وصلنا الشريف يوسف
وجدناه فى برودة سراه القديمة ومعه جمع من احباط الناس والتلميذ بالقرب
منه فيبعد التحية وقبل جلوسنا فاجأنى بقوله وهو مضرب بأعلى صوته .
(لايقالكم مره) تمنعونه التعليم فى الكلية فهلت لهذه الصراحة الحطسرة
فدخلت غرفة من الغرف وابتعدت حتى مر بى أحد خدمه قلت له قل للشريف
عمى بابكر ينرى رجوك الحضور له بىكان جلوسه فجاءنى ولما جلس قلت
ياسيدى الشريف أليس المستر يودال صديقك ؟ قال نعم : قلت هل لا توافقان
الكلية تحت عهده فى سيرها ونظامها قال نعم قلت هل تضمن أن ما قلته سريعا
ين هذا الجمع لا يصله لما أنا ومن معى فطيك أمان الله لا نوصله له وإذا وصله
ورقمه عنك لسلطة عليا فصل ثبت ما قلته على حقائق تبرك أو تمدرك
على الأقل فتقول مثل هذا القول علنا فى هيئة محترمة بانيا حكمك على قول تلميذ
غير مسئول عما يقول . فطأطأ راسه ويعلم الله جرى جسمه عرقا حينما قدر
ما قال ثم أمرنى بالخروج معه وهجم على التلميذ الذى كان (قد خلف بركة الله
وملكه أن مطرق الرمحان ماتمه بضرب) فقال يا ملعون كل من غلبته دروسه
رمى فى الكلية هجيمه ثم قال يعلم الله ويشهد أنا جابر الكلية خمسة وعشرين سنة
ماسمت عنها ما قلته يا منافق ثم قال يا ود عالم جىء بالسوط واضربه ثمانين
جلدة حد القذف . فقلت للشريف أتم تضربونه هنا والمدرسة تضربه ثانية
الأفضل أن تجلدوه المدرسة قبلما ياه مقهورا منضوبا عليه فأخبر والده
يودال بتناقض الشريف على ولده بين عطفه وغضبه وقساوته ولكنه لم يذكر
له ما قال لى أولا لأنى حذرتهم أن لا يقولوه للمستر يودال لما يترتب عليه من
جرنا للشهادة أوصلنا التلميذ الذى جلد اثني عشر جلدة وسار فى دروسه ويصيح

في امتحانه وقل الى الثانوى الذى اتته وتوقف ببلده ولم يعرف عنه اى علاقة
او علامة لما رعى به .

في آخر هذه السنة نشرت الجرائد طلب عبد اكتاب لملكووى السيل
بيلاد النوبة فطلبنى الشيخ أمين قراة قاضى القضاء ورئيس لجنة الاكتاب
بالعقانية بأن اجمع اكتاب المعلمين الوطنيين وكلف عبد العظيم بك أن يجمع
اكتاب المعلمين والاداريين المصريين والانكليز فجيمت عشر جنيهاً وأرسلتها
لقاضى القضاء الذى أرسل وصلاً واحداً مطابقاً في الأسماء والنقود للكشف
الذى أرسلته له ومع هذا الوصل كتاب آخر يجمع اكتاب باقى مستخدمى
الكلية الذى اعطى عبد العظيم بك عن محصيله فأخذته وأول ما بدأت رئيسى
المباشر الرجل الذى يعنونى أباه المستر يودال فلما عرضت عليه الموضوع
رفض أن يشترك وقال لى اف تكتب للمصريين قلت أنا أكتب لكل بالنس
مستحق كما أكتب للصليب الأحمر وخرجت من عنده وذهبت للمستر كروفت
الذى أسكن منى الكشف وسألتنى كم تريد أن ادفع قلت خمسين قرشاً على انى
كنت آمل جنيهن من فكتب المبلغ واسم وسلمنى الكشف الذى جمعت به
تحت اسم سعاده أكثر من عشرين جنيهاً من كل المستخدمين عدا سعاده المستر
يودال الذى هو أسخى أبناء جنسه يدفع ماله للأعمال الخيرية وغيرها ولكنى
أظن أن ما منحه بفضه للمصريين في تلك الآونة فلما وصل قاضى القضاء التبرع
الثانى ورد لى هه كتاب تقدير مطباً فيه .

في هذه السنة بدأت حركة اللولاء الأبيض بدعاية المصريين بدعاية نشيطة
وأظن سببها المجلسان اللدان عقدا في منزل السيد عبد الرحمن والامضاءات
التي كتبت بالولاء للانكليز فظهرت في الكلية في قسم القضاء أولاً بدعاية معلم
الشريعة الشيخ مبارك الذى علمت أنه أمر التلاميذ بالضغط على المصلحة
بمشتري كتاب فتح القدير الذى يرى القاضى انه لا يلزم للدرس قسمهم ونفع
في روح اقدامهم أن قابلوا مدير المعارف وصارحوه بقسلة أدب ووقاحة وكان
المتكلم عنهم أحمد بدرى الذى قال للمدير لى عنه ان أحمد أتعباً ففضطت على
أحمد ولما لقينى المدير في ملعب الكرة قال ان أحمد أصبح عاقلاً ماذا صنعت له
قلت نصحته فمى لية ذهبت للشيخ مبارك في بيته الذى كان في زقاق ضيق

ويبدى المصحف فخرج معى كطلبي منه فلما اختليت به أخرجت المصحف وحملت له عليه انه بعد اليوم اذا سمعت أنه أغرى الأولاد في الفصل أو خارجه بالمياسة أو أى تحريض يضر بمستقبلهم عند الانجليز لأخبرت مدير المعارف بكل ما حصل منه ووضحته له بزمانه ومكانه لكل حادثة ثم قلت له اتنى لست جاسوسا وانت رجل عالم من علماء المسلمين احترمك ولكننى لا أسمع لك أن تصرنا في أولادنا وتعليمهم فوضع يده على المصحف انه لا يشتغل في الكلية ولا خارجها مع الوطنيين في السياسة أبدا وشكرنى على نصيحى وخلصى له فلم أسمع بعد ما كنت أسمع عنه .

في هذه السنة تبه الأولاد بالسفر لمصر لطلب العلم وبدأت حركة النضال لمصر وكنت ساكنا في الدخلية التى كانت لورشة النجارة فأخذت قسم المعلمين وانقضاء لنزلى لأرشدتهم لما فيه خيرهم وخير بلادهم وأولادهم ولكنهم كما كانوا يرمونى باخلاصى للانجليز فلم أنجح كل النجاح في توجيههم لما أردته منهم ولهم فمن ذلك قلت لهم هل الانجليز أمة أجنبية أم وطنية بالنسبة لنا قالوا أجنبية قلت اذا اختلفت مصلحتنا ومصلحتهم فالسير الطبيعى للبشر يقدمون مصلحتنا أو مصلحتهم قالوا يقدمون مصلحتهم وإذا اتفقتا يأخذون الكثير أم يطلونا الكثير قالوا يأخذون الكثير قلت هم الآن عاملون بهذا السير الطبيعى للبشر . ثانيا قلت لهم الرجل الذى يتمكن من خدمة وطنه الباهل أم النعالم قالوا العالم قلت المضمون له رزقه أم الذى يصبح مهتما بتحصييل رزق يومه قالوا الذى ضمن رزقه قلت أهو القريب من الحكومة يعرف مفاصلها فينتهز الفرصة كلما سحت ليخدم وطنه أم البعيد عنها فيحصل سياستها قالوا هو القريب منها قلت هذا هو المستخدم لأنه يعلم اللغة الانجليزية يمكنه يطالع الجرائد الانجليزية فيعرف قواعد دستورهم وعاداتهم ويرتبه ضمن رزقه وباحتكاكه معهم في المكاتب يعرف الكثير من مفاصلهم للبلاد فينتهز الفرصة كلما سحت له خصوصا حينما تكبر سنه وتطلو مكائنه بمكتبته فعلى هذه النظرية يجب عليكم أن تجعلوا الكلية دار علم لا دار سياسة فأنى أخاف اذا تماديتم في طريقكم هذا الحكومة تهمل الكلية ولو الى أجل فتسلوا الباب على أنفسكم وعلى الجيل الذى بعدكم على الأقل . فبعضهم قال مستحيل فحصل الكلية فلما قفلت الحرية سنة ١٩٢٤ أقنوا بإمكان قفل الكلية وبعد أيام من

هذه الحادثة مع التلاميذ ملبني سعادة المستر يودال وقال لي ديوان المخبرات أحبره أن يأمرني بأن لا أجمع بالتلاميذ بعد ذلك لأنني أعرفهم مالا يعرفون فانقطعت عنهم وبعد أيام طلبني المستر يودال بمكتبه ورمى لي كتاب كان بيده في حجرى بدفع قوى وقال لي افت فائم غير مثبته لأحوال تلاميذك وغير عارف ما يدور بينهم هذا كتاب خطب سعد جاء لي به معلم مصرى وجده عبد أحد تلاميذك فاني أشكره . قلت من هو التلميذ الذى وجد عندك قال هو الخضر عبر الخضر قلت هذا مريض بالاستسالية قال وجد على سريريه بالشفعانة قلت اذا كنت أنا مكان سعادتك لا أشكر هذا المعلم المصرى قال ولما قلت سعد غلoul الآن هو نبيهم والمصحى بحياته لمفتهم بهذا المعلم اما أن يكون ساقطا خائفا بلده وهذا لا يستحق الشكر ولما أن يكون له غرض خصوصى عند سعادتك قدم هذه الخدمة لينال بها غرضه المقصود ومن كانت هذه أخلاقه لا يستحق الشكر لما أنا فعندى مجموعة من خطب وقصائد قالوها برأى من التلاميذ وعندى عليهم جواسيس منهم يرغبون لي أخبارهم أولا بأول وقبل أن ينتشر الداء بينهم فأطلب صاحب العادة وأخبره في أن أقدمه لسعادتك أو يحلف على المصحف ألا يعود فيحلف على المصحف وقطع فعلا عن مبدئه فقال سعادته آيسن الأحسن أن تأتيني ببعضهم أرخصهم من المدرسة فيخاف الباقون قلت لا أوافق على ذلك لأمرين أحدهما أن أهل الرفوة يحبون سميتى والثاني أن كل من يكره بقائه بالمدرسة يستعمل هذه الطريقة ليرتاح من الدروس والقرض المحنتان التلاميذ واشتغالهم بدروسهم فانا المسئول عن أى حركة تحصل فشكرنى وفوض لي وبعد أيام قليلة أخبرنى ان المعلم المصرى عبد اللطيف أفندى يوسف الذى سلمه خطب سعد طلب منه التوصية بإحاليته على مصر قال سعادته فذكرت فراستك ولم أجيء .

دخلت سنة أربعة وعشرين وحالتى بالسة جدا لأن العمل أصبح بين المستر يودال وعبد القادر أفندى شريف وشاع فى المكاتب الحالتى الى المعاش فأعددت قصى اذا أحوالى للمعاش أن أفتح مدرسة ابتدائية بأم درمان ولو أوضع فى السجن لأن معاشى القليل ستأخذ السلفية للبناء جله ومربى أحمد لا يتجاوز ضرورياته ويوسف مات وعلي بدرى دخل مدرسة الطب وأملأكنى برقاغه لو بمتها لا يتجاوز ثمنها آنذاك مؤودة سنة فصار كل تفكيرى فى طلب الزمن

وتوالى مصائبه على قفى يوم ما طلبنى المستر يودال الذى اعتمد عليه بعد الله فى
محتى هذه فقال لى عندكم بيت فى الدويم قلت نعم فقال لى اترضى أن تنقل
مفتشا محليا بالتيل الأبيض ويكون مركزك الدويم عووق على هذا القول
كالصاعقة وأصابنى ياس من خير فى الانجليز وتأكلت عسلى فبتهم فصرى
ويجلى السوء المجسم تحت هذا التأثير قلت له أتم لا خير فيكم وأنا غلطان
جدا نحوكم والله لو تملطونى فى جوال وترموتى فى البحر ما رجعت مفتشا
محليا بعد أن كنت عمويا فقام من كرميه وجلس على كرسى آخر ثم قلت له
ما الذى عملته أنا مع المستر كروفت حتى يعاملنى هذه المعاملة قال لا والله
هذا فكرى أنا لأنى رأيتك فى حالة معيشية صعبة وخصوصا فى الخرطوم .
قلت لذا ترد مساعدي فاسع لى فى الدرجة الرابعة قال لى اذا أردت الدرجة
الرابعة فاسع لها بواسطة فريد يك عطية . قلت له سعادتك بريتاني وفائب
المدير فأن لم تستطع مساعدي بها فان فريد والله لو مدحا لى ما تناولتها منه
وانى لا اعتبر فريدا أكثر من انه انسان علبته للمعيشة فى بلدة فجاء لطلبها فى
بلدا وهلى هذا فانى أفضل استثنائى من الدرجة وخرجت منه . وبعد أيام
جاءنى مدير المعارف وطلب منى فجاء أن أدرس التلاميذ حرب ولد النجومى
بالقطر المصرى لأبى كنت فيه وفى أثناء تدريسي خرج سعادته فضعف أملنى فى
الدرجة مه وبعد يومين طلعت لسعادته فى مكتبه وطالبته بالدرجة الرابعة فطلب
الدوميه الخاص بى وباطلاعه عليه قال لى انت خدمت رسميا فضحتك رسميا
فأخدمنا خصوصا فخدمك خصوصا . فقلت لسعادته انى قنمت منها لأن ثمنها
عال فما رأيك فيها ؟ قال أردنا للمالية قلت بمصلحتك درجة واحدة كانت عند
مصرى وعند السكرتير القضائى ثلاثة مثلها فانى أنصح لسعادتك ألا تردا
وعندك نحو العشرة ممن يستحقونها بمقارنة أقرانهم من القضاة الذين جلسوا
مهم فى معهد واحد بمدرس وبعد وزن واحد . فقال من يستحقها فى نظرك ؟
فقلت أعطها من شئت من العرفاء الذين لم يتخرجوا والى أول دفعة من المعلمين
قال سأنظر فيها فنزلت منه وطلبت الشيخ عسمر اسحاق وقلت له اذهب الآن
لسعادة المدير طالبة بوضعك فى الدرجة الرابعة وإن عرض لك بأسى ففرقه
انى أثرتك بها عن رضى منى ولا أطالبه بمرها . فطالب بها فأعطيت له .
بعد هذا الكلام ذهب المستر يودال لرفاعه التى فتح بها ففصل ابتدائى

تحت نظارة الشيخ لطفى الذى كنت أعتقد انه أبر أولاد رفاعة المتعلمين بى
والذى عثت فيه تلك الجملة التى عارضنى فيها شيكه حيسا كانوا تلاميذ
بكتاب رفاعة . فطلب المستر يودال من لطفى (بعد أن أخبره بما حصل لى من
سوء المعاملة وصيق العيش وارتكاب الديون بالخرطوم) أن يسمح بنقل
لرفاعة ناظرا لمرستها فرضى فى أول يوم ولكنه على ما بطنى انه اجتسع بالقاضى
الشيخ الحاج الأمين وكاتبه محمد النور فطعراه على الرضى فأصبح أيا . فقال
له المستر يودال كما أخبرنى ان بابكر قد مات أخوه ودهبت ثروته وأصبح
أولاد أخيه عالة عليه بعد أن كان يستفيد من أخيه المرحوم فقال له لطفى كما
أخبرنى المستر يودال وأنا أيضا أخى مات فكلفت هذه المقارنة بين الأخوين
اليتين أشد وقعا على من الامتناع بالنقل لرفاعة الذى لم أطلبه من المستر يودال
ولا أخبرنى يعلم الله عند قيامه لرفاعة سيقترحه على لطفى وان كنت حسن الظن
بلطفى فى ذلك الوقت وقد ختم المستر يودال كلامه عن رفاعة بقوله : اذا كان
أولادك لا يعطون عليك فماذا أصنع لك . فضلت هذه الجملة فى نفسى فعلا
مؤلا لا يزال تؤلمنى ذكره لأنى أولئك تأويلات متملحة متنوعة وليت لطفى
استمر فى رضاء لائى ما كنت أرضى برفاعة مرجحا تحت ظروفه رجاء واستعفاف
(ولكن جملة للمستر يودال الأخيرة كانت لى بلمسا) من تأثيرى لوعتى وحزنى
على أخى يوسف لأنى عندما خرجت منه وصلت مكتبى وألهمنى عقلى عن ربي
فقارنت بين موت يوسف الذى عمر حتى حفظ له تاريخا مجيدا ودفن فيعركب
عظيم بكى عليه الأقربون والرياء وخلف ولدا يحفظ ذكره وبين موت موسى
شقيقنا الذى مات بغرس ولم يتزوج وكيف دفن وبين يؤسنا بسرقة ولد النجومى
التي من أخف يؤسنا انى لم أذق طعم غلال سبعة وعشرين يوما فاهيك بالخوف
والعطش وذكرت أيضا ما حصل لى فى أسرى بالسجن ودراو فجمعت الله
وخرجت من هذه المقارنة باليأس من المخلوق والاعتماد على الخالق وقلت
لنفسى (الماقل هو الذى يتمتع من مصائبه لا الذى يتقيد بها وخلفت ثوبى
البؤس والحزن) .

ولكن وقت فيما هو أشد منها حيث أصابتنى حصى بشعريرة ظننتها
ملاربا مما نصينى غلاة برفاعة فذهبت الى الدكتور شريف المصرى بشخصانة
الكلية فأشار الى ترجى أعطاني حقة فى ألبتى اليمنى بإبرة لم يعقها أماسى

فتورمت أليتي واشتدت الحمى على في اليوم الثاني حيث وجدني سعادة المدير
 جالسا الترقصاء مستحيا وقم الشمس على جسدي فقال لي بشقة أمضى الى
 بيتك بأمر درمان فدهست وعمرت قمى على الدكتور سليمان الصليبي الذي
 أمرني أن أصع عليها مكمداً بئر الكنان وكلما قربت البرودة عيرتها يأخذها
 الحاره ولم يوصح لي كمية المبل ولم يعطني شاش المشمع فعلت أضغ الأولى
 على أليتي والثانية في ماعوها على الجبر وعندما قربت الأولى تبرد حرارتها
 وصعدت على النار في الخرقه ووضعتها في مكان الأولى حتى التهمت البرستانه
 من شدة الحرارة وشعرت بمبادئ حيس البول وكان الدكتور يزورني يوميا
 بممرلي ويأخذ خمسين قرشا وبعد أيام صار يجي معه الدكتور دلجي نصر
 ويأخذ ثلاثين قرشا وفي بعض الأحيان يسيان ميزان الحرارة فيأتيان لي ويشريان
 القهوة ويأخذون الثمانين قرشا : في هذه الأثناء زارني سعادة المستر يودال
 فركاني في حالة سيئة جدا شرر بأني سوف أموت فيها وقملا أنا كنت قد كتبت
 وصيتي صرمني أنه قبل يوسف مجانا وأرجع لي قيمة القسطن عن شهرى يناير
 وفبراير اللذين طلب ردها لي من الخزنة فشكرته جدا وكان جالبا بجبابي فلما
 تحركت أودعه أقسم اني لا أقف فضاغت شكرى لزيارته ومجالسته وشعته
 ثم ان سليمان الصليبي نصحتني بدخول الاستبالية التي أهملني فيها لانه صديق
 مصطفى أفندي السيد الذي أسس بيني وبينه عدوة لا أعرف لها سببا
 وأشاعوا كما بلغني أخيرا اني مريض بالسيلان الذي لم أعرفه في حياتي ولا
 تطرق لي سبب من أسبابه فمكثت بالاستبالية خمسة أيام تعبت فيها جسدا
 لصعوبة المخرجين بسبب تضخم البرستانة . وفي يوم الأربعاء زارني الدكتور
 هودمن بتوصية المستر يودال ومعه سليمان الصليبي فسألني عما أشعر به .
 فأخبرته فكشف بطني ولمسني ضاعطا وقال : أيوجك هنا قلت لا . ففصار
 يوضع أصبع يده الثانية بلصق أصبعه السابق حتى وصل محل الألم . قلت
 نعم يوجمني . فاشتد في ضغطه حتى خرج الصديد من قبلي (ذكرى) فرفع
 رأسه مغضبا الى سليمان وقال له بالعربي : الى الآن ما شخصت مرضه وما
 عرفت انه تضخم برستانة ثم التفت الى وقال لي ياشيخ فعمل لك عملية الآن
 فاني لا أرجع الا يوم الأحد المنى بعده أسافر بأجازة المعاش قلت اليوم الأربعاء
 وسعادتك عرفت المرض فخير الدكتور سليمان بالعلاج غير العملية نستعمله

ليوم الاحد ان لم يقد فعل العملية . أخبره بالملاج الذي لم نستعمله أكثر من مرتين يومه في الحال وفي عشية اليوم نفسه وفي صباح الخميس في عده بالت بولا طبعيا . فلما جاءني الدكتور هسن يوم الأحد فتيته خارج الباب ماشيا عاديا ففرح جدا وودعني .

خرجت للمنزل وصار الدكتور فوتر خلف الدكتور هسن يعيش مرة في الأسبوع يسزلي ثم أعطاني خصة عشر يوما أقصياها بيلدي الأصلي فزرت الشيخ ابراهيم مالك بأبي حمد حيسا كان قاضيا ورجعت للكلية في أول شهر مايو وحصلت حركتان الأولى ان التلميذين
أصما بالرده بأن الأول قال
فجاءني المشايخ عبد القادر المصري والشيخ مجنوب جلال الدين والبشير الفضل طلبوا مني تنفيذ الحكم الشرعي فيهما فطلبت التلميذين من الثانوي الذي لم يكن لي عليه سلطة وسألتهما هاكذا أتبا قلتما هذا القول الذي نسب لكل مكنا قوله اندي يخرج به من الاسلام ويوجب القتل شرعا عن عقيدتكما أم حكى كل واحد ما نسب اليه حاكيا عن غيره فقال كل منهما انه حاك عن غيره فطلبت المشايخ وأخبرتهم بما قاله التلميذان وانهم يشهدان حقا بعقائد الايمان فقال بعضهم اصما قالوا ذلك عن عقيدة راسخة في كل منهما بما له ويجب عليك وعلى الكلية أن تنفذ فيهما حكم الله . قلت يا سيدي ان مثل هذا الحكم ليس لي ولا للكلية وانما يطلب اذا صح طلبه من سماحة المفتي ولكن أسألكم هل الأحسن لبلدنا كمسلمين ولاسم الكلية كمعلمين فيها للدين وللتلميذين أن قبل عذرهما أو توسع في البحث في مسألة اذا أثبتناها لعقنا عارها وضررها .
فاستحسنوا رأيي وانصرفوا شاكرين .

لما قرب قيام سعادة مدير المعارف بالأجازة لانكلترا قابلت سعادته بمكتبه وقلت اني أريد من سعادتك أن أعرف بعد الأجازة أين يكون عملي . قال لي بعزم بالخرطوم كما كنت . قلت أأأطلب من سعادتك قهلي من الخرطوم . قال لي بعزم أيضا ان المستر هسي يرفض بقاتك معه بالتشيش . وألا لا أعرف لك معلا غير ابتدائي الخرطوم . فلما سمعت ذلك تغيرت فطرتي فقلت له عندك احدي عشر ابتدائي بالسودان يجب أن تقلني لأحداها . قال

ما فكرت في نقلك من الخرطوم في سنة واحدة فقلت لسعادتك مدير المعارف .
 ستأتي من الإجازة وتقيم على بقائي بالخرطوم وأصمم أنا بدوري على رضى
 بقائي بالخرطوم فتشكل لسعادتك مجلداً يمرني فيه بالبقاء وأستمر راقصاً
 فيحكم على المجلس برئاسةك بعصلي من الخدمة وحرمانى من المعاش فتصيح
 أنت كل ماضى وأملى في المستقبل . قصت قليلاً وقال أنت لا تعلم ما تحول
 قلت على الطلاق لأعمله . قال ولماذا تعلم ذلك قلت ليعلم الناس انى كيف
 عملت بهذه المصلحة وكيف عوملت فيها في زمن أجوج ما أكون فيه للمساعدة
 حتى والمجاملة التى لم أجدها من أحداً في محتى البسوس والمرص الا من
 المستر يودال فطاماً رأسه المفكر طويلاً ثم رفع رأسه وقال هل من سبب طراً
 عليك قلت قد استندت في هذه السنة التى لم تتم بعد مائة وثلاثة وثمانون
 جنيهاً . قال من استندت . قلت ابراهيم مالك عندى ثمان وتسعون جنيهاً
 وبعد المجيد على طه مرتب عائلة ليتزوج بتي خمسة وأربعون جنيهاً والباقي
 طلبته من شيبكه بالدويم وكل هذا فقد . قال لذا كنت انت تبخر الفلوس أنا
 أعمل لك ماذا . قلت أنا أيسر الفلوس ! أمسك قلماً أوصح لك صرفها .
 فتواضع وتكرم وأمسك القلم . قلت لسعادته أنا قلت لك كم يصلنى من
 يوسف اعانة في السنة . قال بين مائة وثمانين جنيهاً . قلت تمتهر الشهر سبعة
 جنيهاً ضعتها في رأس الكشف فوضها . قلت أنا الآن أعطى أولاده ستة
 حينها ضمها وأعيش في الخرطوم مع بتي بعشر جنيهاً وضفها وأجرة بيتي
 جني ونصف . رفع رأسه وقال لى أنا أجرة بيتي ثلاثة جنيهاً أنت تسكن
 بجني ونصف قلت لسعادته أنا مستند أخذ بيتك من الحكومة بخمسة عشر
 جنيهاً وأربح فيه يا سعادة المدير . أنا ساكن في بيت ساكن صاحبه (سالم
 الفرائس) في الشقة الثانية مثل شقتى تماماً أتريدنى أن أسكن في أقل من سكن
 فرائس فطاماً رأسه وظهر على وجهه أثر الحياء وكب الجنيه ونصف . قلت
 أرسل لأولادى برفاعة ثمان جنيهاً ولأولادى بأمر درمان عشر جنيهاً
 وبالمكتب أقل ما أصره شهرًا جنيهاً للزوار بخلاف الغذاء وعشام قبيلتى
 فلما جمعها . قال لى كم ماهيتك ؟ قلت ماهيتى سبعة وعشرون جنيهاً . قال
 لى ولكن هذا فوق الأربعين . قلت من هذا الفرق تنج الدين . وضع قلمه
 بين أصبعه ثم طلب الدوسيه الخاص بى . فلما فتحه انفتحت الى في عزم الغالب

وقال لى افت أخذت أحد عشر جنيتها فى سنة واحدة • قلت يا سيدى قلنا هذا عند طلبى الدرجة الخامسة وقلت سعادتك انت لم تعطنى علاوة تقشيش الا أربع جنيهات ثم ان سعادتك أعرفت انها لم تمع بقرق المعيشة بين رعاة والخرطوم • اما الباقي من الاحدى عشر فقد أخذ كل من مستحضى حكومة السودان مثلاً. فسألى كيف ذلك ؟ قلت كان مرتبى برفاة اثنى عشر جنيتها فصار ستة عشر جيتها ثم جاء فى تمويص سنة خمس عشر فصار ثمانية عشر ثم المائة وعشرين التى ضمت للمواهى فصار واحد وعشرين جنيتها ومائة مليم ثم تعديل الدرجات الى ثلاثة وعشرين جيتها • مكث ثم قال لى سعادته ماذا تريد أن تفعل لخلاص الدين • قلت أريد أن تقرر لى سفيرتين كل سفرة ستة شهور بهذا يمكن خلاص من الديون • قال سعادته ما عندنا مكان لم يسبق تقشيشه غير مديرية الفاشر هل يمكنك الذهاب اليها ؟ قلت لو وضعت سدا للسماء لصعدته من غير أن أطلب من سعادتك ماء ولا زادا الا لأضطرارى • فتبسم ضحكاً وقال لى بصيفة جده وعطقه : اليهوديين بي اللذين عهدى بهما طويل حينما أرجع أعمل لك ترتيب السفرتين ولكن من يتولى إدارة المدرسة ؟ قلت عبد القادر شريف • هو الذى يتولى إدارة المدرسة مع المستر يودال سل ساعدته • فوعدنى وعداً حاراً حل به مسألة حصر فكرى فودعته وأنا أقول المثل السودانى (ضحك البان خلاصه)

وقبل أن يمود سعادته من الاجازة بدأت المظاهرات التى بدأت أول مرة بمقابر أم درمان حيث دفن رفات المرحوم عبد الخالق أفندى حسن المصرى مأمور أم درمان الذى صار آخر مأمور مصرى لها (ولم يشترك فى مظاهره ذلك اليوم من الناس المعروفين غير الشيخ ولد عمر دفع الله •)

وكان يلى إدارة مصلحة المعارف وقتئذ جناب المستر همى الذى طلبنى يوماً وقال لى ان تلاميذ الحرية الذين كانوا موضوعين بالليل فى الواهورات يصيحون بالليل بأصوات مزعجة فهل ترى طريقة تسكهم بها • قلت الأحسن فيما أرى أن أنهم آلا لهم وأنصحهم بالسكوت •

استحسن هذا رأى وقال لى انذهب الآن للبكبائى نيز الذى كان وقتئذ قائداً المدرسة الحرية ومعه اليوزبايى الزين الذى أغرى تلاميذ الحرية

بالمظاهرة ضد الافظيز (ومن العجب ان البكباشي يميز لا علم له بذلك فيتداركه) فسميت للبكباشي وانتقت معه على أن تقابل مع جنابه يوم الأحد لساعة عشرة باستبالية الحرية لترك اللش لمقابلة التلاميذ في زيارته المعتادة لهم وكنت معتمدا في وعدى هذا على فقاذه تماما . غير انى وصلت بيتى واجلت فكرى خطر يبالى ان هؤلاء الأولاد هم في ثورة فكرة قادتهم لهذا العمل الذى لم تزل يوادره مستمرة . فاذا ذهب لهم وحدى فلا شك انهم يعتبرونى داعية للافظيز ولا أنجو من سبهم لى علنا وربما ضربونى ليجعلونى عبرة لغيرى حتى يظلوا في مجره من وسائط خائنى الوطن في رأيهم . ولكنى وعدت بمقابلتهم فكيف لا أوفى بوعدى مهنا كلفنى . ثم قال جولان فكرى لهذا الوفاء تجعل قهظة بدواه في تاريخك لضربهم لك ثم اهديت الى أن أخذ أربعة رجال من أم درمان لهم أولاد فيهم هم محمد على ارتاعوط ، صالح بك ، جبريل ، خليل البادى ، بابكر الشبيع . وأنا داهب لمحمد على ارتاعوط فقيت الشيخ عمر اسحاق طلبت منه مرافقتى لهؤلاء الأباء فرفض طلبى قائلا : أنا مالى . زرهم كلهم في بيوتهم ووعودى بأن تقابل في أول معدية بموردة أم درمان لتركب الترام الأول حيث تنتظر البكباشي يميز بالاستبالية في أو قبل الميعاد ولكنى لم اجد منهم غير صالح بك جبريل والشيخ بابكر الشبيع حيث علمنا ان الباقيين منهما مهمما ولداهما عباس ومحمد النادى الضابطان بالجيش فركبت للمعدية ورائعجب ما خطر بالى وتغن بالمعدية من ان الحكومة لم تحصل لان على خلاف ظاهر من هؤلاء التلاميذ تجعله أساسا لمحاكمتهم عسكريا . فاذا ذهبنا اليهم نحن مع البكباشي يميز وتكلموا كلاما بحسب عقليتهم يوجب محاكمتهم ستكون نحن شهداء على أبنائنا أو نكتب شهادة لله . فتصاديا لذلك العطر اتفقا على أن نتأخر عن موعد البكباشي يميز ثم طلب اللش ونصل أولادنا منفردين عن البكباشي يميز ونصح أولادنا فان وافقوا فالحمد لله اتفقوا بنصحنا وان خلفوا كننا حديثهم وعاودناهم مرة أو مرات حتى يؤوبوا لرشدكم فقال صالح بك جبريل أنا أدخل على مكاون باشا بمكتبه فأمكنك معه وأبدأ معه حديث التلاميذ بصفى أبو أحدهم فنخل وخرج والميعاد لم يتبقى بعد هواصلنا سيرنا الى سراية الحاكم العام حيث جلسنا في دليزها لنضيغ الوقت فادا بالمستر ماكىكل والمستر هس ومعهما ثالث لا أعرفه فوقفنا لهم

فحيونا ودخلوا على المستر استرى السكرتير القضاي وثائب الحاكم العام
 وخرجوا من عنده (وفاتني أن أختلي بالمستر هس وأقص عليه خبرنا حتى
 يخبر من بينهم اللتش ليسهلوه لنا) قمضينا بعد فوات الميعاد للاستبالية
 وطلبنا اللتش فامتفوا طيما . فقلت لهم عندئذ لزيارة التلاميذ من سعادة
 المستر هس فلما سألوه أرسل لي الشيخ عمر اسحاق يطلبني بمكتبه . فلما
 قابله عسى في وجهي وقال لي لأى سبب تأخرت (أمام الشيخ عمر اسحاق)
 قلت أنا الذى اقترخت وأنا الذى عدلت الاقتراح فما سبب غضبك . فصرفني
 وبعد هنية طلبني وحدى فأخبرته بكل ما حصل . فقال هذا رأى من ؟ قلت
 رأيي فصرفني دون أن يكلمني .

ثم بعد أيام جمع كل مستخدمى المصلحة في أكبر عرفة بالكلية وأمرني
 بتلاوة الأمر الذى أصدره المستر بيل ثائب مدير الخرطوم بمنع التجمع في مكان
 واحد وما يترتب عليه من الجزاء . فأمرني المستر هس بقرأة هذا الأمر على
 المجتمعين وكنت نسيت نظارتي بمنزلى وكان طيبة البالو على مسقوما فقرأته
 بصوتية وجلست دون أن أعلق عليه بشئ بقوله من عندي . فقام الشيخ محمد
 أحمد فضل وإبان للمستمعين الشفقة التى تنويرها الحكومة لهم خوفا أن يقعوا
 في المحذور وأنه نصح لهم أن لا يقتلوا بضعفاء العقول قصراء النظر ممن غرهم
 المعريون بوعودهم الخلابه فهم مثلنا في بلدهم خاضعين للانجليز الى آخر مقال
 مما سر به المستر هس وجعله يمتدح عدم اخلاصى من حادثة تلاميذ الطريسة
 وعدم تطليقي كما علق صديقي . فلما جاء سعادة المدير أقصه عنى ما فهم جنابه.
 فى ذات يوم أخبرت سعادة المدير بما حصل لأحد أبنائى من ضباط
 مصريين بالمحطة العمومية من ضربه واخراج شقيقته من الفرقة حتى قال لهم
 قولة سيئة . فلما منع منى هذا طلب المستر هس وأخبره بما قلت له عن ابني
 فأملأوا الكلام بالانجليزية بصفة تدل على اختلافها في رأى ما جعلنى أفهم
 ان الكلام بخصوص اخلاصى وعلمه .

ثم شرعوا في توزيع ابتدائي الخرطوم للإبتدائيات الأخرى كل مجموعة
 من مديرية الى مديرتهم ان كان بها ابتدائي أو للمدرسة التى تكون قريبة لهم
 فأبقى بلا وليفة وأحال على المماش ولكن تدير الله فوق تدير خلقه فمارضته
 في قتل أولاد رفاهه لدننى بحجة الخوف على خسارة أخلاقهم وصمم المستر

هس على ذلك قلت للمدير اذا كان لا بد من الحاقهم بمدنى فيلزم أن أسبقهم
 لأحصر لهم منزلاً في منطقة مأمونة من احتلالهم يقاسدى الأخلاق واجعل الشيخ
 عبد اللطيف أحمد ناظر كتاب النهر مراقبا عليهم بحيث يسكن معهم . فوافقنى
 سعاده . فلما دخلت القطار خطر ببالي الجوال الذى لا يهدأ ، أن أمر برقاغه
 في طريقى وأحرص آباء التلامذه الذين ثمانية وثلاثة ورابعة المدين عندهم ثمانية
 وعشرون تلميذا أن يطلبوا من مدير مدنى مساعدتهم بضم أولادهم بمدرسة
 رفاعة التى بها أولى ابتدائى فوعدوني بتقديم هذا الطلب في الحال فوصلت
 مدنى بيومى بكليتون وفي صباح عد قابلت سعاده المستر هدلستم مدير النزل
 الأورنى بسكتبه وعرضت عليه رأى في الحاق أولاد رفاعة الذين يكملون
 الحكومة ثمانية وعشرين جنبها شهرا بخلاف أجرة المنزل وأكل المراقب وقلت
 له ان أولياء أمورهم سيقدمون لسعادتك طلبا بذلك فقال لى ابنى رافع رفاعة
 اليوم فان قدموا الطلب سأوافقهم عليه وبمضى ان الشيخ عوض الكريم لم
 يوافقهم على تقديم الطلب وقال ود ببرى يريد اتمام المدرسة في عامها ففى
 صباح اليوم الثانى لمقابلتى المستر هدلستم ورد لى منه ظراف يطلب قيسامى
 بقتار الساعة العادية عشر للحصايس فلما قابلته قال لى ان آباء التلاميذ لم
 يقدموا لى طلب كما قلت لى أخبرته أنهم حافظوا من الشيخ عوض الكريم فأمرنى
 بمصاحبة للخرطوم وفي القطار بعثت الموضوع من كل نواحيه ولكنى والله
 ما دار صلدى انى سأكون ناظر المدرسة الكاملة برقاغه لأننى مقتنع بحالى
 للبعاش بعد أربعة شهور . ففى صباح وصولنا الخرطوم جاء سعاده المستر
 هدلستم فوجدنى ومعى الشيخ كمال الدين عباس خارج باب مكتب مسدود
 المعارف فقال لى خلاص انت تأخذ تلامذة رفاعة وغيرهم من تلاميذ ابتدائى
 الكلية الذين لم يبق الحاقهم بإبتدائيات أخرى وافت ناظر مدرسة رفاعة
 ومعنى مرعا قبل أن أشكره على هذه البشارة المركبة المنافع قلت للفراش
 عوض الكريم الذى كان ولحقا أمانى : امش خذ كل أدولت الابتدائى للمحطة
 واشحنها لرفاعة قمشى ورجع قائلاً حتى التكليم قلت نعم قمشى ورجع لى وقال
 حتى الدولاب الكبير قلت وافت معه لا تترك الا الكهربائية وما يتعلق بها فقال
 لى كمال الدين (قدرد الله) فسافرت لرفاعة مع المستر هس الذى لم يجد
 منزلاً يليق بالداخلية غير منزلى لسعته ووجود البيه بداخله مطلبه منى بخمس

جنيهاً شهرياً وان يعطيني مائة جنيهاً لتكسیر ما يلزم تكسيه من المنافع وبناؤه في المستقبل وثمانية عشر جنيهاً لترميمه وتبليطه للخریف فرضيت وأنا مسرور فسكتت الداخلية به سبع سنوات كما سيأتى في سنة ١٩٣٦ م

تحت المدرسة كاملة رغم معارضة بعض الناس فلما كان آخر هذه السنة ذهبت للخرطوم بعد مقتل السردار بمصر وشدة المظاهرات فوجدت الكلية مفتوحة في القشلاق الذي بجانب المسكة الجديد فلما رأي المستر يودال الذي كان يدعوني (أبو نأ) والذي كان هو ملجئى في محتى نظرتى معبسا ولم يجيبنى بل قال لى ماذا تريد قلت أريد غذاءات داخلية رفاعة قال لى بجفاف اذهب الى محمد يوسف هنا تأرت نفسى قلت لمساعدته أنا أستعفى ولا أذهب لمحمد يوسف أليس هو كاتب المدرسة التي كنت أنا نظرها فرد على قوله أنا لا أحترم سودانيا بعد الآن قلت ما السبب قال أما علمت واقعة الكبرى قلت له بجرأه ذبكم أتم تريدون أن تمأقبروا عليه قال وهو تأثر ذنبنا نحن قلت ونصيبك أنت فيه أكبر لأنت مدير الكلية اسمع مساعدتك أن أقول لك اذا كان هذا رأيك وحكك عنك وادا كان رأى مجموعتكم فقير فان السودانى يرى نفسه قد وفى بمعكم كل الوفاء وأخلص لكم كل الاخلاص فان جهلتم ذلك او تجاهلتموه فربما تحصل حركة أخرى يقودها كبار من السودان أنا ما أدعى انهم سيطلبوكم ولكنهم سيسودون تاريخكم المجيد فهذا قليلا ثم قال وفيتم معنا والذنب ذنبنا كيف قلت نعم ألم تعلم ان هذه الحركة يديرها المصريون منذ ثلاث سنوات وظهرت منذ ستة شهور فكانت نتيجةها لا تزيد على مائتى شاب ليس بينهم وطنى كبير غير الشيخ ولد عمر وان كل الشباب له أسباب اما مستخدم ففصل من وظيفته او معرجم تستر على جريسته أو رائج في وظيفة لم يحصل عليها هأتتم قد نصبتكم محكمة الجرمين في الخرطوم بحرى وبناتم تهاكون أولادنا كمب تريدون هل جاءكم والد سالكم لماذا حاكمتم ولده وغلدة كبده أم طلب منكم والد الرحمة لولده لماذا تريدون منا من علامتى الاخلاص والوفاء أكثر من هذا • فوقف مساعدته وعافئنى كمادته وطلب محمد يوسف وأمره بأن يعطينى كل ما يكفى دون مراجعة •

أحسنت مقدراتي وزرت أولادي من المعلمين والتلاميذ الذين كانوا
يقرءون بالقشلاق ويتخذون بالكلية فاشترمت للحضر أخى بسكليت بعشر
جنيهاً خوفاً عليه من الحر والبرد في المستقبل أو العكس .

رحلت بناتي عائشة والساره لأم درمان لمرضى فقالت لي يوماً أم أحمد
ابحث لبناتك عن معيشة فقلت لها أي بناتي تعني قالت الساره وعائشة فلمنت
الرف وأهله وما كنت أفطن أن امرأة زوجها في مثل ما أنا فيه تشغل نفسها بنهر
مشاركته في ألمه وحزنه على أخيه فطلعت بالطلاق منها لا تزوجن عليها أن شفاني
الله ولكن عديله بنتا التي كانت حاجزه بيننا وإن أمها حينما رأت غضبي ورمي
الكرسي عليها خرجت مسرعة لا أدرى آكان خروجها خوف الضرب . أم سترأ
للغجل فقالت لي عديله والله يا ابنت فحن وأخواتنا بنات حفصه كالشقيقات
لا نميز بيننا فلا تحزن وانت بهذا الطال فهبط غضبي بما قالت

سنة ١٩٢٥ في أول هذه السنة جاء لقبول المستجدين برفاعه فريد بك عطيه
فزرنا مدرسة البنات ومعتنا لطفني بصفته فاطر مكرمة البنات فقال لي فريد بك
لا تكليز بنموا يشكون في احلاصك لهم فقلت ليكون ذلك فسا قدرتهم ولا
فدرك انت غير توصلهم ما يصل فيهم قل لهم اني لا أحبهم فقال لي أنا
جاسوس يا شيخ بابكر قلت له ما معنى قولك هذا قال نصحا لك قلت اذا أكدوا
ذلك حتى شفها لا يقدر أحدهم ان يتأثني بسوء الا بالاحالة على المعاش قال
يقدروا على اخراجك من السودان ضحكك ثم قلت أنا لست سفيها أرفع راية
العصيان لهم وهم عقلاء لا يبتون عقابهم على غير سبب .

وردني كتاب من ابراهيم بدرى بمدني يشكو فيه تشييت الخواص أفندي
وغلام الله وعدم ترقية وان الحاكم المام أعطاها عصاتين ولم يعطه مثلها وهذه
علامة عدم رضا الحاكم عني ولذلك حدثتني نفسي بالاستمعاء فكشيت له قائلاً
ان الحكومة الآن تكافئ الناس الذين يشتغلون لها الأشغال الخصوصية فكيف
تراحم في أشياء نتيجة لعمل تهزأ بهامليه ولكن الأمور سترد لمجاريها فيتغلب
التهباء العاملون بكفاءة على غيرهم (وامت منهم) فتأخذ حظك فوقع هذا
الجواب بيد المستر هدلستم الذي حينما زار رفاعه وجعل مجيئه بالمدرسة
فحينما خلس منهم قال لي اذهب مني المكتب فلما وصلنا مكتب المفتش قبله

على وقال لى ماذا كتبت لى ابراهيم بدى قلت له ابراهيم ولدى وأنا اكتب له كثيرا فأخرج سعادته الخطاب من جيبه وقالى هذا خطايتك ؟ قلت نعم . قال . هل قلت فيه الحكومة مشغولة بالأشغال الخصوصية قلت نعم وهى مشغولة فعلا بها دون الرميات قال . من أين لك ذلك قلت لسعادته آفا راض بشهادتك هل ابراهيم أكفا فى الأعمال الرسمية أم ؟ قال . ابراهيم أكفا قلت : لماذا لم يثبت ولم يحط بهدية الحاكم العام وقف سعادته وجلس على الكرسي بأحد شقيه والشرق الآخر أكثر مائل على الأرض ثم قال لى : ان ابراهيم فى مدة الصيف الماضى عمل هكذا ان كانت معنا جلس على الكرسي وان كانت للمصريين وقف معهم على الأرض قلت اذا عدل هذا على صغر منه خير ممن جاهروا وتظاهروا وانى كنت معه بالخرطوم فما رأيت منه ميلا للمصريين قال لى سعادته هو دائما فى الخرطوم بالمحكمة قلت نعم سعادتك تعلم ان أملاك والده المقاربة ومنزله بالدويم معروضة ضمن التركة للبيع وأنا مرض وكنت أرسله يعطى المزاد فى المنزل والأطيان فيخبرنى حتى تسكن من شرائهما قال هو يحضر محاكمة المجرمين السياسيين قلت حضرها مرة ولحظة فلما أخبرنى نيتسه عن حضورها فلم يعد لها مرة أخرى قال لى سعادته : جاءنى أمر من الخرطوم بتفتيش منزله فكتبت لهم ان مديرتى لم يوجد فيها ما أشك فى اخلاصه قلت كفى بك شهيدا قال أنا قلت هذا خوفا من أن نجعل بيننا وبينك سوء فهم قلت أشكر سعادتك واسمح لى أن أقدم لك سؤالاً : هل قال لك ابراهيم حينما مهم انك تتهمه بجمية اللواء الأبيض هل قال لك ارسلنى الى محكمة المجرمين السياسيين ان كنت مذنباً أسجنونى وان كنت بريئاً أعطنى حتى قلت لسعادتك أخرج من مكتبى ولا تعرض على بعدها قال نعم قلت ألا تعلم ان والده اتحر العام الماضى وسبب افلاسه من الحكومة وهذا ولده الوحيد سلونى فيه يخشى عليه من هذا الضغط أن يتحر أو يخرج من السودان فأحرم على الحالتين سلونى برؤيته ما الذى صغته لكم حتى تكافؤنى بهذه المكافأة فسكت ثم فتح الباب فخرجت . وفى سفرة راجع منها من الخرطوم اجتمعت بالمستر بوسن قائم مدير النيل الأزرق فحرف سيرة المرحوم يوسف بدى فى المناسبة حكيت لجبابه ماجرى بينى وبين سعادة المدير فقال لى جنابه ان المدير سيقوم قريباً بأحاره وأنا أجلس مكانه وسأثبت ابراهيم ولكن ليست المشكلة شتيته انما

المشكلة مستقبله فإبراهيم أنا أعرف أنه متعاد ميثقة لا يقوم بها مربيها الآن
والأمور لا يزيد في الوضع الحالي على الدرجة الخامسة فماذا يصنع حينما يكثر
ولاده قتل له أنا في غير مصلحته الحكومية ويوسف مات وجناياك أبوه الحي
الذي معه في مصلحته حيث تتمكن جناياك من خدمته • فقال لي هناك فكرة
حكومية أن يجعلوا بعض نواب المأمير ضباط بوليس ربما يكون مستقبلهم
أحسن من مستقبل المأمير إذا سيكون إبراهيم منهم قلت أفضل فيه ما شئت •

وصلت الحاصيصا ونزلت بعد وداعه وشكره على ما أبداه من شفقة
وفعلا برصولة مدني سافر المدير بأجرة قصيرة فحلته ووجد بالقنطرة للسريرات
ووقفة ثبت إبراهيم فأرسلها للمفتش رئيس إبراهيم الذي سلبها لإبراهيم
فأنكشت غمته واستمر في عمله • بعد أيام من تشيته صدر أمر بأن يلبس
شارة الحداد على السير لي استاك حاكم عام السودان الذي لتقبل بمصر
فأحضر مفتش مدني شاراك الحداد للموظفين معه وأمرهم بلبسها فلبسوها إلا
إبراهيم رفض أن يلبسها وبعد الحاج من المفتش وعتاب من الأمور عبد الهادي
سير والحواض ومحمد غلام الدين الدين لبسوها وضعها في جيبه وخرج لكتبه
طلبه المفتش في الحال وقرأ له الأمر القاضي بأمر كل الموظفين بلبسها فقال
إبراهيم للمفتش : الموظفون المعنيون أتم ونحن المستخدمون فسأل المفتش
المدير عما قاله إبراهيم وعرفه بامتاعه فقال المدير المقصود بالموظفين المفتشون
ومن في معاهم فأحطها عن لبسوها من غيرهم في الحال فطلبهم وزعمها عنهم
فهذه بعض مواقف إبراهيم في الحكومة ومنها أن مستخدما مصريا بكموار
آتهم بضيافة ما أومن عليه وشكل له مجلس برئاسة القاضي هلفورد الذي أذان
المستخدم وكان إبراهيم ضمن أعضاء المحكمة فطائف القاضي متمسكا بالقانون
الذي لم يذن هذا المستخدم وداعت المسألة فطلبني يوما سعادة مدير المصارف
مشيرا الي أن أكتب لإبراهيم يخفف من خلافه لرؤسائه وذكر لي طرفا من
العصاة فالانجليز أول ما يطلبون من مروضهم الطاعة فان قصصه فالأدب إذا
المروض معه الحق • فلا يتجاوز استعمال العقل في مخالطته وعمله ولهم الحق
في ذلك لأنهم يستعملونه مع بعضهم •

زرت مدني وزرت سعادة المستر هدلستم بمكتبه فبدأنا المحادثة بالكشف،

لسبب قلة أدب صغار السودانيين بالنسبة لكبارهم فضلا المستر بومن باختلاطهم
 للاجانب واحتكاكهم بهم فيما يرى ان الكبار تشاؤوا في حكومتى التريكو المهدية صحت
 الظلم والاستبداد فلما جاءت هذه الحكومة الديمقراطية رفعت عنهم كابوسيهما
 ففرحوا بها وارتاحوا لها اما اولادهم قد تشاؤوا في هذه الحكومة متممين بملها
 وحررتها وطلاموا الكتب والبرائد للشعوب في بلادها قتلوا ليعونوا مثلهم
 فطالبوها به في قوسهم مظهر في معاملتهم فضلتهم وآباءهم مثل انسانين أحدهما
 كان في ملق ردى فانتقل الى ملق ملق الهواء معتدل المناخ فاستشق الهواء
 بنفس طويل فتح أنه وألغى صدره فارتاح له وقال أح أح متلذا به مرتاحا له
 لا يسأله ولا يختار غيره ومثل أبنائهم مثل ساكن هذا الملق من شسائهم
 لا يرون له فضلا ولذا سموا بأحسن منه تنوق له قوسهم فظهر على وجهه
 سعادة المدير علم استحسان هذا الشيء من فالبه الذى يعتبر عنرا مغريا لصغار
 السودانيين يستمرون به في أدبهم على حد تميزه وتفكيره هذا ما حطر بيالى
 وقشد والمعلم له ثم انتقل المدير يشرح لى قانون زراعة القطى بين الحكومة
 والشركة والمزارعين وقال في كلامه ان الحكومة حجزت بعض استحقاق المزارعين
 لسببين الأول ان المزارعين حينما وجدوا فرصة غلو سعر القطن لم يحفظوا
 قودهم التى كثرت عندهم بل ضيعوها في كماليات لا يحتاجها مثلهم فرأت
 الحكومة ان تعاملهم معاملة القاصر فتخفظ لهم البقى لوقت الحاجة والسبب
 الثانى ربهما تأتى سنين تنخفض فيها نمية المحصول أو قيمة البيع فتلحق
 المزارع حسارة يطالب بها فتصعب عليه ثم أبان لى نصيب المزارع أربعين في
 المائة وعليه كل شيء من الحرث والمجاري والبيع قلت لسعدته والله نحن كنا
 فعامل رقيقنا أحسن من هذه المعاملة قال كيف قلت نعطيه بلادا خاصة به يزرع
 فيها يوما في الأسبوع ويوم راحة يرتاحه بيته أو يعمل في مزرعته ثم يوفر
 ما يحصله من بلاده الخاصة لمتعة أو يشتري به بهيته وأكله وكسوته وأولاده
 وزوجته على سبيل طول السنة فلو خصصتم المزارعين جزءا من حواشيت مثلما
 فعامل رقيقنا وصنتم له مؤوته . كل السنة لاختاره على هذا الوضع
 المجهول فالتفت مسعدته بالمحاذرة لموصوع آخر ثم تشاغل بمكتبه فودعته فمكرم
 بتوديعى للباب وألغى حينما يرجع. عني يدون محادثتنا لأن الانجليزى عادته
 ينتفع باللاذع من الحديث أكثر مما يغضب منه ولكن قل من يصفون اليه

مهم وأقل من يسعونهم إياه منا وأنا الحمد لله من هذا الأقل لأنى أخلص
للبلد وأرى اخذار النصح لهم خيانة منا لأنهم يجب علينا أن نعرفهم ما يجب
عليهم لنا وليس لنا أن نعلمهم على تنفيذ .

زارنا سعادة مدير المعارف يرفاعه في أوائل شهر مارس وبعد تفتيشه
المدرسة سار للداخلية ففتشها تفتيشا دقيقا فالتى منه شك فى سببه وأكذنى
ماظنته أمره بنقل دفتر الداخلية من الشيخ على ناصف للشيخ يعقوب أبو زيد
فقلت لسعادته هذا التحول حفظا للمسال أم حجة بنجاز الأعمال قال كليهما
قلت اما المال فانه قد حفظه لكم حيث ولانى الاشراف عليه واما انجاز الأعمال
فذلك مغرض لسعادتك فطلب مسعادته الشيخ يعقوب الذى رفض أمره
باستلام دفتر الداخلية حتى غضب المدير ولم يزل يعقوب مستمرا فى رفضه
فخضيت ان المدير يطرده من الخدمة أو يوقع عليه عقابا قريبا من الطرد فأخذت
يعقوب ووافرت به وقلت له أنا أخفض حصصك كما تطلب وارجع للمدير
فأجب طلبه ثم دخلت به للمدير الذى أعطاه تعليمات عمله فى الدفتر ثم استعجرت
المدير وبعده بالسفرتين فقبال مسعادته انت تقوم الآن حالا كركذفان وتسلم
المدرسة لعمر أفندى سليمان الذى يكون وكلا عنك مدة غيابك ويساعدك فى
الكلمات الإفرقية بوجودك فقابل مدير كركذفان لتحصيل لنا أربعين خلوة فى
الإماكن التى يعينها لك ويكون عملك متصلا به وما يختار المدير رحمه لنا هو
الذى يخطبنا عن أعمالك بمديريته قلت أجعل نفسى كأنى أحد عمال مديريته
قال نعم « قالها بارتياح » وسافر مسعادته ، سلمنا عمر أفندى سليمان المدرسة
والداخلية ثم طلبت منه ستة فنانين شاي كهيئة عندي أردنا حيسا أرجع من
المأمورية فرفض فقلت أنا الناظر قال ولكن سلمتى المهنة قلت أعطيك بها
مستدا نوعا وعدنا قال لا أقبل قلت اكتب لك فى كشف استلامك ملحوظة بها
قال لا أقبل . أخذت الكشف ومزقته وقلت قد لست استلامك فاستلم الآن
وسلمته الفنانين ناقصة ما أخذتها بالكشف الجديد فقبل ، فاشترت حصارا من
يوسف أفندى مراد وأجرت خادمة تسمى الرحمة من صاحبها محمد مرتضى التى
أهداها لى أحبرا رحمه الله لأعلم ولده مجنوب محمد مرتضى مع ابنى يوسف
مكثت معى خمس سنوات وكذلك الحمار فلما أحلت على المعاشاش خرجت
الرحمة وبعت الحمار واثى شاكر لهما ، فلما سافرت وجئت صدقة المستر يودال

التنار مسافرا الأيض سألني سعادته عن تفتيش المدير للمدرسة وعن العمال
رحيصوصا عن عمر أفندي سليمان حتى استطردت حكاية الفناجين فضطحت جدا
على ربتة فيها وحلى لها

وسلت كردفان وجدت المدير سعادة المستر سرسكيل هول فسررت به جدا
دمرني ان اتوجه لارتر باره لأعمل به عشرة خلوات كتعليمات المفتش الذي
مليت به - يستجيبني الشيخ المرحى دفع الله ناظر للمدرسة لاستتير برأيه لعلمه
بابلاد أكثر مني ولعلم كيف تؤسس الخلوات ربما تحتاجون لزيادتها بمرکزكم
الواسع في المستقبل فأمره بالسفر معي فعملنا أربع خلوات في شرق المركز وخلوة
للجامعة بطة انتظر شمال المركز مباشرة وخلوة لناظر بني جرار جنوب المركز
مباشرة ثم أمرنا بالسفر لدار حامد لتأخذ رأى ناظرهم عمر عيسى قش فلم نجد
عنده رغبة وبعد محاولة طويلة متنوعة الأسباب والنتائج قبل عدل خلوة بعلمته
دميره ، فوجدنا شمال غرب لحلة شرشار التي لم يقبل شيخها خلوة رغما عن
مستها وسوقها وكونها معدن للملح الذي يطرقها الناس له من نواحي كثيرة
وينست من عملها حينما سمعت بنتا اسمها الريف قالت لوالدها الذي سببت
اسمه يا أبت الجلالة رفعوأ أثمان الحاجيات قال لها هي ما رفعوها اتن تنظونهم
التقود بالنهار وتسترجعوهن باليسل فضحكت وقلت للشيخ المرحى هؤلاء
لا يستحقون خلوة ثم سعيانا شرقا الى بير كجبر والى حلال المارمه فعملنا لهم
خلوة في حلة الممدة ورجعنا حيث وصلت بمفردي للايض الذي أمرت منه في
الحال الذهاب لقرب كردفان وكذا اليهود والأضييه وأبي زيد جلست بمرکز
اليهود الذي كان مفتوحا به خلوات في أقصى غربه وعملنا به خلوتين ومضيانا
الى الأضييه حيث زرت قبر المرحوم أحمد أفندي عبد الله سعد الضابط الذي
عمل له أخواته الصباط قبرا مبني بالطوب الأحمر وفي الأضييه ورد لي جواب
من الشيخ لطفى يخبرني فيه ان المستر فيلد يرغب وصولي للمجلد لأفتش
مدرستنا فخابرت مدير كردفان الذي وافق فوصلت المجلد اما الأضييه فمضى
مركزنا مدرسة شبه خلوه ولم تعمل لها خلوه . فتشنت مدرسة المجلد وعملت
به خلوة رجالة بواسطة رجل معتقد وحضرت معرضهم الذي ينوا له عقمشا
خارج البلد والسوق ولجتمع له كل أغنيان البحر بخيلهم ورجلهم كان المأمور
وقبع انه أفندي الفيل الذي لم يعن بي خصوصا حينما أردت السفر . كان

المفتش للبقاره في ذلك الوقت المستر يردن واجتمع للمعرض المسافر سمرقيل
حول ببروك الدكتور أتكى وغيرهم فلما رأى المستر يردن للشاء معهم فكث
أكل يدي وهم مسرورين وكانت جل محادثتهم معى وعن أكل اليد وبعد ثلاثة
أيام ردت الشيخ على جله المتقاعد من النظاره لابنه الشيخ نمر وسافرت بصحبة
الدكتور كردكشون حيسا وصلنا حله أم تبول عرض لجنايه فتى يربو عمره
على العشرين عاما طلب منه أن يخضه لأنه كان مع والدته التويه من أيه
البحراوى وقد جاء لأهله والبنات غيرته بأنه أغلف ورقصن أنه فخته ولكن
بصعوبة مكث نحو ربع ساعة أو أكثر قص بالقص وسلخ والتقى يتصب
جسمه عرقا والبنات حوله لم يتحرك ولم يظهر أى علامه للجزع حتى قال قم
فقام بين رغايد البنات وما زلت مصحبا للدكتور الذى كان يركب جوادا
وخادمه كذلك وأنا على حمار وحاحمتى على حمار متقدمه فى السير الاعتيادى
وإذا قرب جواديه يلحقا ويسبقنا كثيرا ثم فركه فى مساء يوم مبقا وفى سيرا
خرج أسد وليوته وشبله من شرق الشارع الى غربه فستر الأسد لبوءته وولدها
فى الغابة ثم رقد باردا أكثر من نصفه فى الشارع فوقها مكاتا وكان الهلال
بدرا وقفنا حتى وصلنا عساكر الحملة أشرنا لهم على الأسد فما زادوا على أن
وقفوا معنا الا أنهم يسبقونه بعلء أقواهم وهو رابض مكانه لم يتحرك ولما طالت
الوقوف أخذت الرحمة ومررنا بجانب الشارع الشرقى فلم يتحرك لنا لعفنا
الدكتور وجدناه قائما على كرسيه . أحضرت خشبا حرقتة فحما وعلت شاي
حملته له لشرب مما فقال لى من عمل هذا الشئى قلت أنا عملته قال كم عمرك
قلت خمسة وستون سنة قال والله لا أصل سنك إذا آكون مثلك فى القوة آكون
مسرورا جدا واستمرنا حتى وصلنا أبا زيد التى مكثت بها نحو العشرين يوما
نازلا بامستراحاتها مستأنا بمولانا العظيم الشيخ أحمد الظاهر القاضى وصالح
أفدى زكى المأمور الذى تعرفه جيدا رفاهه اسمى للامكنة التى عينت لمس
حلوات بها وقد رأيت ترده البرديه التى بها نبات البردى والتى يبلغ قطرها
نحو ثلاثمائة مترا فهى غريبة المنظر ليتها كافت يلد يعرف قيمتها ليصلوها
منترها . بارحت أبا زيد بعد أن آمنت بخلواته العدد المطلوب فى شهر أغسطس
هلما قابلت جناب المستر هيلد كنت حاملا له صورة من التقرير الذى قلمته
لمدير كردفان بملحوظاتى عن الخلوات من حيث ما يحتمل أن تستمر فيها وما

تلقى قريبا لمختلف الأسباب التي وضعتها فأخذ يعتابني عتاب شبه تهديد من أذنب لأنني لم أخاير المصلحة بتقلائي وما أنجزت من عمل أولًا بأول فقلت لجنايه أظن ليس من واجبي أن أناطب المصلحة بشيء من ذلك لأنني لا علاقة ولا مظارة إلا بواسطة مدير كردقان لأن مدير المعارف قال لي انك في هذه الأمور كعامل من عمال مديرية كردقان وهذا التقرير الذي قلمته لجنايبك هو صورة من ملقمت مدير كردقان وهو تبرع مني لمصلحة المعارف ويمكن جنايبك تسأل مدير المعارف الذي أرسلني فمكت فأخضت هريري وخرجت وبوصولي رفاعة أرسلت يجوب لمدير المعارف الذي رد على شاكرًا ومقترًا .

مكثت مدة الاجازة وانتدبت لتفتيش كتابات بعض مديرية كسلا التي رجعت منها آخر ديسمبر حيث أدركت قبول المستجدين برفاعة ولم توجد بها حوادث تستحق الذكر غير فراغ الماء منا بين حلة الطنيطه ومشروع عين اللوفا لعدم الماء بمشرع الميت حيث جرى لنا منه بماء قدر لقلته يملحه ووضه البقر وبولها وروثها قليل لنا لعلوه فلما وضع على النار تبخر ما به من ماء وصارت الأوساخ عسيده ثم وصعت في جردل قماش فلم تخطر منه قطرة قمنا في الحال فسرنا باقى يوما وليلنا حتى أصبحنا في عين اللوفا التي وجدنا ماءها كماء مشرع الميت ووجدنا امرأة تزور قبر الشريف الهندي وعندها سمعنا ماء جاءت به من بئر العاوا فاشترت ماءه بمشرة قروش شربناه أنا ومن معي وواصلنا سيرنا للشريف مقبوب حيث أقما نهارنا وليلنا .

سنة ١٩٢٦ في أول فبراير من هذه السنة حضر الشيخ إبراهيم مالك وأولاده بالاجازة وزوجه آمنه بنتي في صحة جيدة فبعد يومين أصابها حمى كذا فظننا حمى برد أخذته بترام مقرن الخرطوم ولكنها تطورت وفي ليلة ستتمنه طلبتني نحو الساعة ١١ مساء فوجدتها تسكلم واعية العقل مطلوقة اللسان ولكنها تقول لي آه يا ابت أموت ولم أبرد فيك شوقي وبعد هنيهة قالت اعطوني ولدي (مرقى) فأخذته والدتها حفصه وثولتها إياها فحولته أنا من ثديها الشمال الى ثديها اليمين فلما شرعت ترضعه توضأت أنا لأقرأ عليها سورة يس فقالت يا أبتى انى أرى نور الفيران به لا شعاع له فقلت لها قولى أستغفر الله فأخذت تكررها وأنا ساند رأسها حتى خفت صوتها فأرقدتها وقد غارت الحياة .

جاءنا لقبول المسجدين حباب المستر وليس مفتش أول بالمصارف
فأندكر ان رجلا يدعى يوسف محمد الشيخ يوسف ألحق على جنبه الطحا مملا في
قول ولده وأنا والشيخ لطفى بجانيه كلفتة تنيره في أحوال الغنا والفقر لولاة
الأمور فلما اشتد الحاح يوسف شتمه جنبه فوقعت أنا وقلت لجنبه لا لزوم
لشتمه والقلم بيدك يكتبه رفض مول ولده حرة فطاماً رأسه وقال لي
لا أنتم أحد بعلمه فاتهزت الفرصه وقلت لجنبه هذا الولد جده لأمه الشيخ
حسن أبو سن وليس بعيداً أن يأتيك الآن ويطلب من جنبك قبول هذا الولد
فالأنحس أن تترك له مكاناً في الآخر قيل فيه فقبله في الحين . انظر يا قارئ
لدمائة الأخلاق الايطيرية وقبولها الحق بارتياح مع الانتقاد اللاذع من مرموس
بسيط في مركزه الرسمي .

وصلنا الأستاذ زين العابدين الطيب مدرسا وضابطا للداخلية ومعلمنا
للكشافة على صغر سنه وفي عام تخريجهم قام بهذه الوظائف خير قيام .

ورد لي كتاب من مدير المعارف ومعه اوراق تدل على مخاطبة مدير
دارفور هل عنده مانع من ريارتي لمدرستهم لتفتيش الكتابيب والخلوات التي
بها وانشاء حلوت جديدة فكان رده انه قيل بارتياح وكان الرد من المستر
ديبوي نائب المدير وقتئذ والذي أعرفه ويعرفني فقتت في أول شهر مارس
للإيض التي اشترت الجمال من سوقها بناقص جعل لوجود حصارين لي
ولخادمتي وسافرتا بطريق أبي ربه حيث روت الشيخ مجذوب وأحمد أفندي
جلبي الأول القاصي والثاني نائب الأمور فيلارحتهم غدا فوجدت بالطريق منزل
جديد فزلت في رأكوبه به وإذا بالشيخ منعم منصور «ناظر حمر آلان» ينزل من
حصانه الذي تولت ائزال مرجه زوجته بنت عمه اسماعيل قراض القش ناظر
حمر وقتئذ وهو معي لذ خرج من عشه صغيره في منزله رجل أعرج يحمل
أبرقا يريد قضاء حاجة الاسان فسألت الشيخ منعما عنه فقال لي انه فقير
جاءني من نيحريا وقال لي انه أمر باعطائي نظارة قبيلة حمر جمعاء فقلت له قول
قال انه سيقتل عمك اسماعيل وأولاده كلهم حتى يخلو لك البجو منهم فقال
لا أدري فهو لا يكلفني شيء غير الأكل معنا فإذا صلق وعلمه رد الله لي حتى
وإذا كان كاذبا يأخذ أيام ضيافته ويعود «يسافر» وأبقى في حالي فلما
رجعت من دارفور بعد ستة أشهر وجدت حالة عمه مزعزعه وفي نفس العام

صار منهم ناضرا فقلت اللهم مالك الملك توتى الملك من ثماء وتمزج الملك من ثماء الخ .

فلما وصلت النهود زرت أولاد أختي صديقي المرحوم إبراهيم حمودي وعند قيامي من النهود أحضروا بإثري الرحالة وما كنت أعرفه وطلبوا مني أن أوصله برهقتي للفاشر عاصمة دارفور فقبلت ولم أعلم أنه من جمعية اللواء الأبيض واظنهم لا يعرفون عنه ذلك وكان لابسا رديا وقميصا وجزما بأثا بيضاء قديمة فقط لا متاع له يحمله ولا يحمل عنه ولو عصا من حثب ولكنه قشط يصب الشيء على رجله أكثر من الركوب وأنه ذو أخبار شائعة يرويها في عبارة لطيفة ودو مروءة ونشاط بدن تاذرين فإنه كان أكثر خدمة للرقضاء عند نزولنا من المراحل الطويلة المضنية رغم ما كان يقطع جلفها ماشيا وما زال يحدثني بما يزيدني رغبة في رفقته التي أتمنى لو تطول حتى إذا وصلنا منزلة فشار التي كانت مقبلا الذي تدخل الفاشر في مساء ذلك اليوم جلس بعد الضياء على خلاف عادته وقال لي كنت أود أن أصحب غير معروفك مثلك يكون مسؤولا عني إذا واصلت سيرى لوداي ولكنا يجب على أن أخبرك أنني من جمعية اللواء الأبيض فإذا وصلنا الفاشر قدمني للمدير حتى أباشر ما يترتب على نفسي ولا أجعلك مسؤولا عني قلت له الأحسن أن تتقدم بنفسك للمدير وتضبره عن نفسك فلما زرنا المستر ديبوي في نفس الليلة قابلنا بسرور وأطلعنا على آثار السلطان على دينار التي عنده بمنزله بقضية السلطان الذي يبلغ قطرها نحو سبعة أمتار (لم أقصها) وفي الصباح قدم بإثري عبد الرحمن نفسه لمساعدته فقال لي ديبوي خذك معك ثيبالا فإذا جاءنا خبر عنه من الخرطوم أخبرنا عنه الأمور هنالك فلما وصلنا يوم الوقفة كساء محمد أفندي حاج الأمين (للأمور) الشهم بدلة أهلية كاملة فسأله بإثري عما إذا جاءهم عنه خبر قال نعم بالقاء القبض عليك قال بإثري إذا أرواح السجن قال ولكن بعد أن تصلي العيد وأنا ضامك وبعد العيد سافرت وتركته بإثري الرحالة ثيبالا ولم أقصه بعدها ولا أعرف باقي خبره ولكني مازلت أسمع عن رحالته ولقرأ كتاباته في المبرائد .

حينما بارحت الفاشر قال لي المستر بسبروك أنت متقابل الشيخ محمود

ولد أبو سعد ناظر الهابية بحلة برام (الكلكت) قل له سعادة المدير غير راض
عك لأن الحكومة سمحت لك بسلطة تغريم من يستحق الغرامة من أهلك
تأخذ الغرامة لنفسك حتى تظهر غنيا أكثر من أهلك فيحترموك لعدم احتياجك
لهم ولكنك ترسل دفترك أيضا لا غرامه مع ان النظار غيرك ملأوا جيوبهم هذا
ومرحاتهم بقرا فلما وصلت للشيخ محمود وصية المدير قال لي انت راجع
لسعادته قلت نعم قال لي قول محمود يقول لك انكم قاتم الفالي خرب الدار
فانت اعمرها وأنا كنت في البحر الحكومة تعطيني ثلاث جبهات (وفرد أصابعه
الثلاثة الوسطى لشاره) فانا لقيت قبيلة الهابية التي كانت أغنى القبائل أهلها
غرامى أراهم حتى يكونوا أغنياء تجلب حالتهم غالبهم بعد ذلك أخذ من مراح
دا بقره ومن مراح دا بقره أملا مراحي في يوم ولحسد دون أن يكونوا منى
فيستكوني للمدير والله تعالى الآن الفالي موجود ردوه لنظارته وأرجسوني
للبحر فلما أخبرت المستر بمبروك بما قال أعجب من رأيه وتركه حتى توفي في
وظيفته .

لما قمت من الفاشر صبحني الشيخ محمد فصل ناظر مدرسة الفاشر
ومعتنس الحلويات بكل المديرية وقيامنا من نيالا غرضنا عمل خلوات بقبائل
التعاشة التي أوصاني القاضي محمد على محمد نور باقتخاب قفيه منهم ليجعله
مأدونا ولكن أسفت كثيرا لعدم وجود من يحفظ القرآن حتى نعمل لهم به خلوة
أو نأخذهم معنا للقاصي ولما يسست قلت لنظرهم — وقتئذ الزير سام مادتم بحالة
لا يوجد في كل التعاشة من يليق لعلم أو مأدون. كيفممكنتمونا قال لي على الفور
أسأل الله هذا السؤال فصعبت لسرعة جوابه ثم يارحاهم لبنى هلبه التي قابلي
ناظرهم محمد ابراهيم دبكة عند الحدود التعاشية وصحبنا حتى زرنا خلوتهم
بحلة (كبن) ووكيله عمر جميل — وفي أثناء سيره معنا حكى لي هذه الحكاية
التي لم يصلقه فيها سعادة المستر بمبروك طالما حكيتها له وهي قال لي دبكة في
يوم ماجت في حلة (عد الغنم) وجدت خالية من الرجال فسألت عنهم قيل لي
ان الأسد قتل بقرة فلان وفزعوا له فلما أفركتهم وجدتهم مصطفين والأسد حين
وصولهم خرج من عليه وقفز على أخى ووضع يديه على كتفيه وقبل أن يرميه

وضعت حربى فى قمة الذى فتحه ليلتم أخى - وركزت الحرية بكل قوتى فلم
يقع أخى ولم يتمكن الأسد منه وظل الناس واقفين فى منهم حتى جاء أحد
رجالنا ممن يصادوننا - قال للناس لماذا واقفين والكلب بينكم فقد ذاك اتبته
الناس وقضوا على الأسد ...

وصلنا كاس وجدنا بها الناظر عبد القادر ناظر المسيرية بكاس وزرنا
خلوتها النظامية وسوقها وبعد الظهر توجهنا لنطلع جبل مرة من ناحية الجنوبية
ولكننى لما وصلته أحجبت من طلوعه لعلوه ووعرة طرقه ودخول الليل وعدنا
نيالا حيث وجدنا فى طريقنا المستر ديوى على حرمى فى شجرة وحوله نظار
التبائل وعملها جلوسا على الأرض ويمرورا من كاس عملنا خلوة لعبد الرحمن
آدم رجال بطته (قص جه) التى فتشنا مدرستها وتاولنا الشاى عند الصباط
الوطيين ورأينا طائيتها الحصينة وسوقها العاصم ثم رجعنا للفائر عن طريق
وإدى قولو فطة ودعة ومناية كوفالفائر ولم نستطع عمل خلوة بأحدها لعدم
وجود الرعية وعدم توصية المدير عليها وبعد وصولنا الفائر استأقنا سفرا
عربا للجنينة فى طريقنا زرفا خلوة كيكية التى معلها حاله كاسه « مسكين »
كبير السن - بطىء الحوكة وكان بودى أن أصل حلة غرى التى تبعد من
كيكية قدر ساعتين لأدى جامع السلطان تيراب أحد سلاطين دارفور - ولكن
ضيق الوقت لم يسمح لى لا فى نهائى للجنينة ولا فى إياى منها - وصلنا الجنينة
بعد اثنى عشر يوما ولم أجد بها المندوب ولا الأمير محمد بحر الدين فلحقناهما
بطة الكرنيك فوجدنا جناب المستر (آر كل) الذى طلب منى أن أراجع
السلطان فى طلباته الثلاث وهى : (١) يرسل ولديه المتزوجين للتعليم
بكلية غردون (٢) يتفرد بالأحكام الأولية الشرعية دون القاضى (٣) يرغمشترى
عربيات لسفرائه بدل الزوامل وقد وجدت الفرصة للكلام مع السلطان حينما
دعانا لتفدى معه بخصيته بطة الكرنيك - سألته لماذا لم يعلم أولاده التعليم
المدنى فذكر لى وغبت لتعليم ولديه الكبيرين بعد أن سألته عن أعمارهما قلت
هذا لا يمكن لسببين الأول أن أعمارهما كبيرة وانهما لا يعرفان الانكليزى
الذى يتوقف عليه فهمهم للعلوم المدنية والأحسن أن تطالب بعمل كتاب بيتك
لأولادك الصغار ثم ترسلهم للايض بتدرب يرافقهم وامرأة تخصهم وبعد
ذلك ترسلهم للكلية وأولادك الكبار أحدهما يكون نائبك والثانى أمين خزنتك

فيألفهم أهلهم وآلوفهم في عرائدهم فوافقني ثم قلت له أحكامكم هنا بلغني أنها شرعية فمن ينقدها ؟ - قال : عندنا قاضي ولكنني عزمت على أن أتولاها بنفسى . قلت الأحكام الأولية تكون للقاضي - والاستئناف عند سماعتك . قال الأحسن أن تكون الأولى عدى . قلت : اذا يكون القاضي رئيس السلطان لأنه يكسر حكمه - قال : لا يكون ذلك - قلت : اذا يتدخل المندوب في أحكام الشريعة - قال : لاى سبب ؟ قلت : كل حكم أولى قابل للاستئناف . اما ينقص الحكم أو يعدل - أو يزيد وكلها من صفات الرئاسة فمدل عن رأيه مقتما - ثم بعد محادثة قلت : نصبت من الطريق بين الفاشر والجنينة لطوله فلو كانت توجد أوتوميلات عندكم لما تعينا - قال السلطان : انى عازم على مشترى عربة ركوبة ولورى . قلت : هل مهلت طرقكم الرئيسية في نواحي قطركم كله بحيث أن العربة تمشى فيه آمنة من هيل الرمال ومصادعة الصغار والصعود الذى يعمل نظامها ؟ - قال : نحضر العربتين ثم نصلح الطريق . قلت : الأحسن تعهد الطريق أولا لاحظ أن كل من يريد وصولكم من الفاشر يربى سماعتك بأرسال العربية له وما دامت موجودة فلا سبيل لنياها فانأرسلتموها مضرة وإن أبيت بها معره لا تليق بمكانتكم السامية وأنت سيد البلد الذى يزورك فيها كل قادم لها ، أما حينما تصلح الطريق فهناك مندوحة العفر بيباها في سفرة أو نية فقال أى والله وأجل مشترى عربته .

أول ما عرفت المستر آر كل في قرية (تسمى يروش) في طريق داوخور مقتول قتل في مكان ما بينى وبين قاتليه الاصراف . فعنى الحال طلبت شرأتى بنى محمد الذى رافقنى من أول ما دخلت حدود مدينة دارفور كتعليمات الحكوماتهم وطلبت شيخ الحلة وأمرتهما بعمل قط من رجالهم حول الحلة لئلا يهرب القاتل ثم طلبت من مع المقتول والقاتل وعملت للحضر الأولى في الحلة حتى لا يتمكنوا خلق تنابير يطمسون بها معالم القضية ورغم احتياطاتنا هرب القاتل وفي صباح اليوم علمت أن مفتشا انجليزيا اداريا فازل باستراحة القرية فسميت له وهو المستر آر كل الذى عزمته أول مرة وسلمته للحضر فشكرنى على عملى وقام معنا في الحال للقتل الذى وجدناه منكفأ على وجهه وبدأت جثته بالتورم فأصلحه للمستر آر كل وأدخل يده في موضع الطعنة التى في صدر القاتل حتى نهاية أصابعه كلها في فجوة الواسعة فلا تسأل يا قارىئى عن إعجابى بالانجليزى

وخزيتي في نفسي حيث أتى أولى من المستر آر كل بهذا العمل لأبي سوداني مسلم يجب على غسل القتل وكفه ودفعه ديناً — والدين أقوى مسئولية من الادارة قوة السية بين القانون الشرعى والقانون الوصى — ولم أزل كلما ذكرت هذه الحادثة يماقيني ضميري وأكبر فعل المستر آر كل .

رجعا من الجنية بعد أن أقمنا فيها أسبوعاً زرقاً أناسها السلطان مرتين بمنزله وبمجلسه الذى رأيت فيه من الأدب ما لم أره حتى فى مجلس الخليفة عبد الله اندى بأن قاصراً على طائفة الرؤوس ونزوم الصمت ما لم يخاطب أحد العجائز فيقتصر على الرد . وإذا أرسل يطلب حضور أحد بالمطلوب حينما يرى رسول الخليفة يقابله جارياً فيقلب الرسول جارياً أمامه ويستمران فى جريهما ، حتى يصل باب الخليفة فإذا وصل المطلوب يصيح الخليفة ويدها على صدره (السلام عليك يا خليفة المهدي) فيرد الخليفة له التحية وأمره بالجلوس أو يصيره بما يطلب منه قضاؤه . وينصرف له . أما ما رأيته بمجلس السلطان محمد بحر الدين فإن زائره من رعاياه حينما يقرب من مجلسه (بيرك) ويسعى حائلاً يسمع الأرض ويدعو بطوله العمر للسلطان حتى يصل أول صف العجائز من الحلقة الحلقية من الصعوف : فيرفع السلطان رأسه مكتفياً بنظرة الى القادم — دون تحية أو سؤال وإذا أراد القادم الانصراف بدأ حركته كالأولى لكنها منعكسة السير يروح ورأسه مقابل للسلطان وجسده بصلبه للخلف حتى سعد ويحتلس انصراف السلطان عنه فيعتدل .

وصلت المحكمة الشرعية قرأيت — وما عجب ما رأيت — رأيت رجلاً من زغاوة وهو من علمهم مات أخوه وخلف على موله عشرين زوجة والمعدة الواوثة لزوجات المتوفى اعترف لنا بأن له عشرة زوجات ، فيصير بما يرثه عن أخيه كعادتهم ثلاثون زوجة ، وجدنا القاضى يراجع ويذكره بالدين وما أحله وما حرمه وأخذنا نراجع فيعترف أنه مسلم بمحمد ومؤمن بكتابه ولكن هذه عادتهم فإذا تركها يكسب نفسه وأولاده عارا ، وقال له القاضى الشيخ (عبد المالك) : لا يمكننى أن أحكم لك ولو بواحدة منهم ولا من زوجاتك المشرة الا بأربعة فقط تختارهن من بينهن ويجب أن يكون الأوائل منهم ومن

الحامسة الى العاشرة لا عسة لله عليهم . فيقدر ما راجعت خارج المحكمة لم أر فيه الينا سماع لتتجة أو قهيدا يحكم .

لقت الشيخ (عبد المالك) القاضي بجلدة سنة تسع وعشرين وتسعمائة وألف ميلادية ونحن راجعون من مكة المكرمة قسائنه عن هذه المادة في زغاوة فمال لي لم ترل قائمة لأن الانجليز يمنعون التدخل في العقائد والموائد .

رجعا من الجينة متمعين بمنظر الطريق الجميلة من وديان مأوها ينبع من وطء رجل الحصان أو الحمار وأشجارها الخضراء ، الغليظة ، الطويلة ، خصوصا وادي (باري) الذي يلقاك في تمارجه أكثر من أربع مرات حيث يتدنى بمد كبكية بقليل ورافقاك للجينة . . وودي (بليل) ، وديال كبكية ، خصوصا جبل (كوري) الذي لا يشك رأييه من بعيد أنه مأذنة لا رنفساه وشكله المخروط وملسته فسبحان الصانع القدير . لما وصلنا كبكية ملنا شمالا شرقيا حتى وصلنا مركز كتم حيث وجدنا المستر (ايفنس) وحيواناته القرية وعبد الله أفندي الشفيق الأمور وكرمه الحاتمي والشيخ عبد الله أحمد يومف القاضي ومكتبته العظيمة ومعلوماته المزرة عملنا بها خلوة ، ومركز كتم مبني على قلعة عالية ، شمالها وادي قرب نبعه وبارد جدا طقسه . أتذكر أن الشيخ ابراهيم مالك عندما كان قاضيا بكنم كتب مرة في الشهرين الآخرين من السنة ان الماء أصبح جامدا بالآبار والأواني . بارحنا كتما لمركز (مليط) التي ذكرتي الكاملين بوادها وفخيلها ، وجدنا بها مأمورها الشهم نصر الدين شداد المدوح بفضيلة الشيخ العباس التي يقول فيها :

زار حضرته معنا خلوة الشيخ آدم تحيم كما زار معنا عصر اليوم رغم المظركثير وسيل الوادي الشديد التيار ، فريق الزبادية الدين لم يوافقوا على فتح خلوة عندهم رغم مجهودنا معهم ولكن رأينا نسجهم لأكاليهم الشسر المجوز السداء واللحمة التي يتخذونها يسسوتا تمنع نزول المظركثير عليهم والتي يتخذها غيرهم فرشا جبيلة . بارحنا (مليط) للفاشر حيث تمت رحلتنا التي ذرت فيها كل مراكز مديرية دارفور غير مركز زالتجي . بارحنا الفاشر يوم ثمانية أغسطس برشيتن لوري وركوب ومعنا في هذه السرة البكباشي مارتن مفتش نيالا .

أرسلت حملتي بالبر مع الرحمة وركبت مع البكباشي مارتن في عربة الركوب على حسابي الخاص فلما وصلنا قرية الطوشا اغترضنا خورها وطلعت التي مع علي المريات صموها فنزل الركاب وصعدوها راجلين وعلبني صموها لتحرك ألم في ظهري فتأخرت طويلا حتى رجعت لي البكباشي مارتن الذي وجدني أحمي كالطمل في صمودي تلك الهضبة الملأى بالحجارة المسنة فأتكأت على كتفه وتوكلت على كتفه حتى أوصلني المرتين ولما رأى ما لحقني من التعب مهد لي سريري السفري باللوري الذي أنزل منه ٠٠٠ وأركبهم معه حتى وصلنا اليهود الذي نزلت به بمنزل خلف الله أقسدي حاج خالد مأمور المركز متوكأ على كتفي البكباشي مارتن واحملهم الذي حينما وصل الخرطوم ومثل عني بالمعارف فأخبرهم أنني نزلت مختارا منتظرا حملتي الأمر الذي حمل المستر يودال ان يبرق لمفتش اليهود يطلى بأن الايام التي أقصيا باليهود لا استحق فيها بدل سفرية وقطور الخير في الخارج أن التلغراف ورد بطردى من الخلفة ولما رأيت منزل المأمور ضيقا تحولت بمنزل ابراهيم اسدي الخليفة نائب المأمور الذي كان بالاجازة حينما ورد تلغراف المستر يودال لمفتش اليهود عرضه للمأمور الذي أقنعه بأني مريض بمنزله . والمفتش بدوره سأل الدكتور حكيمباشي اليهود فرد عليه أنني أحتاج الى العلاج خمسة عشر يوما وسبها ينظر في امرى فأبرق المفتش للمعارف التي اقتنعت .

هكذا ما أخير به المعارف . وقد أخبر أولادى بأني مريض حملتي على كتفه من العربة الى منزل المأمور فأتاهت التلغرافات بعضها بأسمى وبعضها للمأمور من أولادى وأصلغاني وليته عكس خبره بصدقه للمعارف لتعذرنى وكذبه لأولادى ليطمئوا على وهذا شفى عيظه منى - غفر الله له - بكرمه .

في أثناء الخمسة عشر يوما وصلت حملتي وأمرتها بمواصلة سيرها للابيض الذي لحقتها به بعد شفائي عند وصولي الخرطوم حملت على فريد عطية والشيوخ عبر اسحق فأغلقت عليهما بتوجيه اللائمة وانى لا أصرف بدل السرية لمدة اقامتى باليهود الا من خزنة المعارف بالخرطوم ، فقال لي أمين

حداد باشكاتب المعارف : (أى ورىي اديتهم) قلما قابلت المستر يودال هنأى
بالسلامة تهمة تحمل فى طيها الاعتذار - وخمى كشف بدل السفرة التي
صرقتها من خزية المعارف .

مكثت مع أولادى بأم درمان وذهبت لرفاة حيث أرسلت مهر زواجى
لحطوبتى زهراء الفكى التي أخبرت بخطوبتها المستر كروفوت فردوا هذا
المهر لى معتزىين بكثرة أولادى الذين يعرفونهم كما يعرفون أبناءهم حتى
قالت جدتها الحاجة بنت أبى شرمه : (بابكر ود بدرى عضما ملائذى) والذى هو
النمل كناية على كثرة متعلقانى . عرفت أن هذا الرفض من أثر زيارة المستر
كروفوت .

وفى أثناء تفكيرى حين أتزوجها بعد فشلى هذا الذى هو ليس فشلى
فى نفس الزوجة وإنما هو فشل فى الفرض من رواجها الذى قصدت منه أنها
تستمر مطيعة وهى زوجتى حتى يقتدى بى أزواج المملكات بتركهن يملن لتفزع
أزمة المملكات وتولوا هذا الفرض ما اخترتها لأنها لا تحمل من مميزات الزوجة
غير ديبها وعقلها وكفى بهما دافعا للاختيار لأن والدها فقير فى عقله وماله
ووالدتها أمية ولكنها حتى أخرج من ميتين . فتهتسى أختى أم طبول قائلة :
(الحمد لله نحن لسنا موافقيك على زواج زهراء ولكننا نهابك فلماذا لا تخطب
بنت صديقك ابراهيم مدنى العالم قاضى المديرية ووالدتها بنت محمد ابراهيم
البدوى محل الجزيرة . فكتبت برقية لوالدها هذا نصها :

«لأسباب منها تورث صلقتنا لأولادنا تكرم بتزويجى بابتكم نيسة
الأهل هنا موافقون » .

فكان الرد هكذا : أشكرك على هذا الاقتراح الذى صادف محله أوافق
بإرتياح . قلما أرسلنا المهر لوالدتها رده أيضا معتدرة بغياب والدها تريد أن
يحضر الزواج ليقوم لأبنته بواجبها العرى لملها ولكنى علمت أخيرا أن فاطمة
عبد الله فريجون أغرت والدتها بأنى كبير فى السن فصبرت حتى حضر والدها
الذى جاءنى بمزلى ومعى الشيخ ابراهيم مالك وطلب منى أن أزيلها عشرة
جنيهاً وأنه سيردها لى بعد زوايىي فقلت أنه لو كانت والدتها طلبت منى
بقدر ما دفعت لها زيادة ما توقعت ثابته عن إعطائها ما طلبته وفعلت دفعت

العشرة جنيتها زيادة وكنت على أهبة سفر وبعد رجوعي عقلت يوم أول
محرم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة والف هجيرة الموافق يولية سنة سبعة
وعشرين وتسعمائة والف ميلادية .

سافرت لجبال النوبة يوم خمسة عشر سبتمبر سنة ١٩٢٦ لكوستي
بالسكة الحديد ومنها بوابور البحر وليس معي غير الرحمة التي كانت تعمل
لها الاكل أنا ويوسف أفندي قولاً باشكاتب مديرية جبال النوبة حتى وصلنا
تونة ومنها ركبا الحبل وحملنا أبقارنا الى تلودي العاصمة حيث نزلت
بمزل الشيخ ابراهيم مدني وفي اليوم الثاني وردت لي يرقية من عبد الكريم
بدري يطلب عشر جنيتها تأمينا لشركة منجر طلبت تعيينه بها محصلا وكتاب
من احمد بدري يخبرني بأن عمه ميرغني شكال أحضر المهر لزواج ابنه الطيب
بمزودة تعليماتك . فقلت بحضرة صديقي وصهرى المزمع أين اجد ثلاثين جنيتها
أحولها لهم فقال فضيلته أنه كان سلف قبليا بعض النقود فاتبعه في الحصول
عليها ولذا حلف طلاقا لا يقرض أحدا هوذا فضضبت لهذا المذر الذي لم أكلنه
ايام فقلت له : والله يا مولانا لم تأت على بالي في مهمتي هذه ولقد ذكرت عبد
النور ابراهيم الذي أعلم أنه لا يملك نصف ما أريد و ذكرت في بالي الخواجات
في السوق على علم معرفتي بهم ولم يجر ذكرك على بالي بأمل قضاء حاجتي
منك فبدأ على وجهه الكسوف ثم قال لي الباشكاتب يوسف أفندي عنده
خزنة المدير الخصوصية اكتب له أنا ضمان يسلطك الثلاثين جيبها . قلت .
أشكرك ولكني سأكتب له بنفسى ان لم يتمدني شخصيا سأتركه . وكتبت
نيوسف أفندي فأرسل الثلاثين جيبها مع رسولي (المسكرى) وكتب لي أن
من ضمنها عشرون جنيتها من خاصته فردتها له بكتاب ربما يحتاج قبل أن
أردها له في آخر أكتوبر من مركز رشاد فرد كتابي والنقود قاتلا أنه لا يحتاج
اليها قبل آخر يولية من السنة القادمة حيما ينزل بالإجازة ويسره جدا فأخبرها
لذلك الوقت حيث تكون السبب في زيارته لمنزلي بأمر حرمان وتعرفه بأولادى
فقبلتها بمد أن كتبت له مستندا ضمنته شكرى الزائد وحولت له كل المبلغ
من رشاد .


قابلت سعادة المترجلن نائب مدير جبال النوبة الذى دعاني للشاي
ومضى الشيخ ابراهيم مدني وأتذكر أنه رسم لي خطة مرورى على المجلات التي

يسكنها العرب في الاكثريه لاعمل بها الخلوات ففكرته وودعته واشترت
حصار لي وللرحمة .

سافرا في مقيلتنا وهاتني ما رأيت . عشرين امرأة يحملن حطباً كلهن
عريانات واعمارهن لا تنقص عن العشرين سنة وهذه أول مرة أنظر فيها امرأة
كيوم ولدتها أمها تمر بشارع في طريق عام . ثم مع التوالي الفت هذا المنظر
البشع . وصلت قرى قلوبى التى لم أستطع أن اعمل بها غير خلوتين فقد
رجعت منها لتلوى حيث وجدت سماعة المدير فود سكوت الذى عرفت من
محادثتي معه أنه لا يشجع التعليم في غير مدينتي كدقلى والدنج اللدين بهما
مدرستين أوليتن ووافق على أمر مدير المعارف لى بتفتيشهما .

بارحت تلوى لكادوقلى وبعد تفتيش مدرستها عمل لى فائب المأمور
على امدى السيد اسمعيل الازهرى شايأ اجتمعت فيه بعد اللطيف افندى
فوزى الذى طلب لى من بكباشا البلك الذى هو مترجم له أن يحملني معه
بعرته للدنج بحيث أقصنى من تفتيش مدرستها قبل وصول حملتي التى
تقوم بالبر لأواصل سفرى من الدنج حينما تصلني فرضى جناب البكباشى .
ركبت بجانيه وهو السائق بنفسه فلما خرجنا من المدينة وقطعنا نحو مسجة
أميال أوقف العربى وقال لى : انزل واركب وراء مع كلبى . قلت : الاحسن
جنابك أن تأخذ كلبك بجانبك وأنا أركب وحدى . فأمرنى بلفظة أن أركب
مع كلبه فرفضت فانزلنى في الشارع وركب عربته ومضى لسبيله . وكانت
حملتي بأزحت كادقلى فانتظرت مكانى حيث لا قرية قريبة . وبينما أنا حائر
فيما أسمع اذ مر بى راكب حصان يقصد كادقلى فاستأجرته منه بعشرين قرشاً
رجعت به لكادقلى حيث أجرت عربته لصاحبى الخاص وسرت بها ولما توسطت
بين الدنج وكادقلى وجدت جناب البكباشا واقفا في الشارع فتح يديه لتقبلي
عربتنا له فأمرت السائق بعدم الوقوف فمررتا عليه مسرعين في سيرنا فأصلح
عربته وبوصوله الدنج أخبر المفتش بما حصل له منى فصانبنى مفتش المركز
لعدم وقوفى له فلما أخبرته بنزوله لى في شارع ليس به ماء ولا قرية وعدم
مبالاته حتى بحياتى . قال لى : لك الحق فيما عملت وهذا البكباشا لا أذكر
اسمه ولكنى أصفه بأنه يتمتم في حديثه .

بارحت الدنج الذي أكرمت فيه من مأموره اليوزباشا حسن أفندي
 مرور فتأبى اليوزباشا محمود أفندي بشير بك كمال قاصدا دلامى التي
 وصلتها بعد الساعة الثانية عشر بعد نصف الليل المأمور الدرديري أفندي
 محمد عثمان الذي أدخلني عليه قائدى دون انذ وجده فاتها مصحفه بين
 قنيارين قرأ القرآن بصوته الرخيم فقلت الحمد لله ان شابا كهذا تشأ في
 رهاية يحفظ الله ما رأيت منه فهذا يطمئن على الشباب بالتمسك بدينهم ..
 فاستقبلني خير استقبال ووجدت خادمي الذي هرب مني بين الدنج ودلامى
 في سجنه فأقمت معه يومى ذاك حيث فسحنى بقاء أم يربسيطة الطار الذي على
 ما أعلن لو عني به ونطق منه الحشائش المحيطة به ويكون مفطما وحماما جميلا
 بارحته وقلبي متلا باحترامه لدينه أكثر من كرمه في استقباله . وصلت رشاد
 التي فتشت مدرستها وجدت بها اليوزباشا احمد أفندي عقيل المأمور
 واليوزباشا محمد أفندي عوض نائبه . قصيت معهم يومين في اجتماع صداقة
 وأنس برى ثم بارحتهم لتقلي حيث وجدت بمصبتها العباسية المطلقة بجبل
 حصين ليس له الا طريقان للصعود لاعلاه .. ذكرت به قول السؤال بن
 عاديا :

لنا جبل يحتله من نجيده  منيع يرد الطرف وهو كليل
 ووجدت به الملك جيلى الذي يحفظ نسيه الرباطي ويعتز به وبما أنى
 أنا أيضا رباطي كان أكثر أنسا في ذكرى قبيلتنا ثم وجه معى مندوبا مررت في
 قرى تقلى التي عملت بها خلوه واحدة غير خطوة العباسية الشبيهة بمدرسة
 صغرى وبارحتهم بطريق جبل جراده مقببه أم طاع الشهيرة في تاريخ الفوج
 والتي قطعها المهدي غم بمن معه من الضعفاء في هجرته تقدير . قطعها ماشيا
 لم يجعل كتفه من حمل طفل أو عاقل هرم . قطعناها بمشقة من الطقس وععب
 الدواب اتعب الذي شملنا وشملها من الساعة اثنين بعد الظهر الى الساعة
 التاسعة من صباح اليوم التالي راكبين أو ماشين نول هذه الثمانية عشر ساعة
 خوف المطش اذا اصبحنا بيينا من القرى التي على الحدود فثنين لى عزم
 ملك سنار الذي قطعها ماشيا حينما غزا ملك تقلى الذي قال لمن هدده بفزو
 ملك سنار . قال له (اذا قطع ملك سنار أم طاع فليقل ما شاء) .

وصلا للقري وملنا شمالا حيث وصلنا أم روابة وركبنا القطار لكوستي.
ومنهُ الباحة التي كان الكساري فيها محمد افندي ولد عبي عبد العظيم
مساعد اميرنا بديم صرص فأدخلني في درجة أولى فلما منه أن تذكرني أولى
وعندما انصح له أنها ثانية استحيا أن يطلب مني الانتقال من أولى لثانية فلما
رأيت منه علامة الارتباك قلت لحضرته اعطني التذكرة فأصلحتها أولى ووقعها
بعطى تحت مسئوليتي وأخبرت مدير المعارف حينما وصلت الخرطوم الذي
دافع عني وبوصولي الدويم خطبت لعبد الكريم أخى آمنة بنت ميرغني ودفعت
لهم المهر وهو السبب الذي جعلني أركب وابور البحر . وصلت الخرطوم في
أوائل يناير سنة ١٩٢٧ حيث وصلت عن ابتدائي رفاة وجد لي مستين أباشر
فيها تفتيش الطولات في كل السودان . وذلك بناء على طلبى في أوائل سنة
١٩٢٦ من سعادة المستر كراين الذي خلف للمستر كروفوت مدير المعارف بأن
يفقد لي مستين في الخدمة لا تمكن من القيام بواجبات عائلتي الكبيرة الذي
يعرف سعادته عدد أفرادها منذ سنة ١٩٠٣ خصوصا بعد وفاة شقيقى يومئذ،
فقال أنه سيوصى المستر يودال بتنفيذ ذلك .

في أوائل سنة ١٩٢٧ انفصلت من نظارة ابتدائي رفاة وخصصت لتفتيش
انخلوات في القوق وكلا . بقيامى لسنجه سألت على يدري بمن يتزوج قائ
طبعاً بالمعزم .

أعطيت أجازة شهر واحد أقضيها برفاة اتم فيها سقف الديوان الكبير
وفي أثناءها وصلني كتاب من المستر يودال يأمرني فيه أن أضع قانوناً يستبره
المفتشون المحليون دليلاً يستفتيئون به ضبلته جامعاً وعرضته على الشيخ
لطفى بصفته مفتشاً محلياً حتى يتفق على رأيى ورأيه فقبضه لي معجابه به فلما
عرضته على سعادة المستر يودال جمع له مجلساً برئاسة سعادته وسكرتيرية
فريد عطية الذي كان أوله متقدميه بأنه كسير المواد التي لا تلزم . قلت : أنا
كتب ما رأيته لازماً فخذ أفت منه ما شئت واترك الباقي ، ففى الحال تحول
لطفى متقدماً بعد أن كان معجباً وقد تحاشى هدد ذلك القانون الشيخ حسن
على الذي تغلص بأن جعل نفسه كاتب البطسة وانبرى لطفى للاتحاد حتى
قلت للمجلس اسألوا هذا الذي أكثركم اقتصاداً يقولكم هل رأيت ما تقدمه
برفاة أم لم تراه فلم يتكلم بعدها . ولما رأى سعادة المستر يودال حيلتهم على

وقف وقال : يجب ان تشكر الشيخ بابكر بدرى على اقتراحه بعمل الخلوات التي أنا كنت ضمن الانجليز الذين يستقنون علم نجلها ولكنى لما زرت بعضها اقتصت بنجلها وقد بصحت فعلا ، كما تشكره بنصيحته العظيمة في البدء بتعليم البنات في وقت لا يقدم على عمله فضلا ظهوره فعلا الا من خاطر ورضى بكل ما يقال فيه فأجابوه بالشكر وهم ولقنوني قمت وقلت (على خلاف عادتي) اشكروني أيضا على أنى أول من اقترح وجاهد في ضريبة التعليم بمرکز رفاهه وقد عمت في كل السودان ما ساعد أكبر مساعدة في نشر التعليم الاولى . فقال مساعدته : وتشكره أيضا على هذه تأجابه بالشكر ثم قال لى من قال لك أنك رئيس المفتشين المحليين ؟ قلت : وهل ادعيت ذلك أنت المفتش العام للخلوات بالسودان اذا سموني كما شئت فضحك وتفرق المجلس ثم طلبنى في مكتبه وقال لى اذا كنت رابعا في اتمامك الستين التي حدثت لك فارضى المستر كريان وفيلد وقد أخبرنى المستر فيلد أنى مختص بالخلوات فصرت اقتصم عليها ولا أصل الكتاب ولو لزيارة عليه .

في يوم سبعة فبراير زرت المستر هلسون كطلبه لأمر لجنايه الكلمات السودانية الدارجة وهو اذ ذاك مدير المخابرات أو موظفا في مكتب الشؤون الاهلية الذى كان مديره المستر ديفس الذى جاء بتعليمات الادارة الاهلية من نيبريا حيث بعث من حكومة السودان لدراستها وتطبيقها في السودان فلما قصى المستر هلسون تفسير كلماته قال لى : مساعدة المدير يريد مقابلتك قلت : لا مانع عندي وان لم أشرف قبلا بمعرفته فأخذنى المستر هلسون لمكتبه فوجدت معه السيد على التوم ومعه شخصان وعلامهم الثلاثة عند الباب وهم دخلوا حفاة . فجيئت لمكر الشيخ على التوم وقبول المستر ديفس . أو الانجليز الذين يعطون رجلا لقب سير الذى هو لقب حاكم عام السودان ويتقبلون منه هذا النزول المهيئ .

بعد أن صافحت المستر ديفس وجلست بجانبه فاجأتني بعبارة مزوجة بالحزم والنضب قال لى : قالوا السيد عبد الرحمن صديقك . قلت : نعم . . قال لى هو كذب علينا . قلت : هو لا يكذب . . قال : هو غشنا . . قلت : هو لا يش . . قال : سئنى عن السبب . قلت : ميدنيا لا أوافقك على أنه يكذب

أو يمشى .. قال لي : هو وعدنا انه يحق هجرة أهل الغرب للجزيرة لها من أول فبراير واليوم سبعة منه ولم تحق الهجرة . قلت : يا سعادة المدير السيد عبد الرحمن اذا كان الرجل غرب النيل الأبيض قبالة حلة القار أيراه ويجده ؟ قال : لا . قلت : لو كان البحر يحول بين السيد عبد الرحمن وبينه أيراه ؟ قال : لا . قلت اذا أقول لسعادتك ما علقته للمسترد ديوى بدافور ؟ انتم عندكم قوة الجيش ومعونة الوطنيين من الناظر الى الشيخ . اذا كنتم بكل هذه القوة عاجزين عن منع الناس وتطالبونه بإيقاف مصلحته بنفسه أو قتل بابها يده من منا يستطيع عمل هذا ؟ فاذا كان السيد أرسل رسولا ينتظر للهجرة أو أرسل كتابا يدعو لها أو جاء بنفسه ليشرف عليها يكون مخطئا وأزيد سعادتك على ماقلته للمسترد ديوى .. نحن الستة الموجودين هنا اذا كانت الحكومة بمظمتهم فأمر أحدها بإيقاف مصلحته بنفسه أو قتل بابها يده من منا يستطيع عمل ذلك بإخلاص . ثم قلت اننى أعجب من حكومة عاقلة كهذه الحكومة أن تعدل عن اقتنائها رجل واحد بمرضاته اليسيرة عليها لتحفظ به قلوب ثلث رعيته ان لم يكن نصفها . وأعجب أكثر من ان السيد عبد الرحمن يقول لكم أنا بصدقكم قول له الحكومة أنت عدونا . قال سعادته : لم تقل نه أنت عدو ؟ قلت : لسان الحال ابلغ من لسان المقال . فسكت سعادته واستأذنته فخرج معي وقال لي لا تقل للسيد عبد الرحمن انى قلت كذب أو غش . قلت لسعادته : أنا فى طريقى هذا أمر عليه وأخبره بما حصل ولا اكن خنته فلما اتفردت بعضى جال قلبى الباطن ففشرت كلام سعادته بتفسيرين ، الأول هو اننا معاصر السودانيين فى عين الانجليز والثانى عدم تضامننا لأن هذا الكلام الذى قيل فى السيد عبد الرحمن أمام السيد على التوم يدل على عدم تضامن كبارنا أو يدل على عداوة السيد على التوم للسيد عبد الرحمن وهذا لقرب لأن المهديا قتل رجال الكباشى ولكن ما ذنب السيد عبد الرحمن الذى كان طفلا ؟

كما أخبرت السيد عبد الرحمن لساعتى بمنزله بالعباسية قال لي : الاتفاق على إيقاف الهجرة مكتوب فى ثلاثة نسخ واحدة بمكتب المسترد ديفس فليقرأها ويطلب تطبيقها وأنا سأذهب للحاكم العام ليحدد هذا الموقف كما حددته سلفه السير آرشر فى الثلاث نسخ ولم يهتم بتكذيبه أو نسبه للفش أقل اهتمام

فتمثلت فيه وقتئذ أحد المثاليين (القادر عايب) (ان جاتك عليه عملها صحيحة) .
 بعد هذه الحادثة أتذكر أني لقيت المستر ديفس بالمرأية ومعه السيدة
 قرنته وكان معي الشيخ حمد الملك فاظر شمالا دهلا بالجزيرة ارقو فصافح
 الشيخ حمد وقدمه للسيدة قرنته وهو ملتفت عني جاعلني وراء ظهره . ومرة
 أخرى دعيت لوداعه بالتراند أوتيل فكنت بالقرب منه فصافح كل الدين
 بالقرب منه وتركني ، فلو كان سعادته يعلم بتلفهني بأعراضه نظير أدائي لواجب
 عظيم أدبته لصديق اعترف سعادته بصدافته لما أعرض عني اذا أراد غيظي لأنه
 بأعراضه قدر لي علمي .

تدبت لتفتيش خلوات مديرية التوقيع في أول فبراير . لما وصلت مدينة
 منجة زرت مديرها صديقي المستر ديوي الذي كان يؤكد لي صلاحية
 الادارة الأهلية بدار صباح وأنا أرى عدم صلاحيتها بذلك فلما وصلت مكتب
 المديرية وجلت ثلاثة جوائز حصل موتها من غلظة احرس النعيم فاظر قبيلة
 رقاعة الهوي (غرب النيل الأزرق) (وتفصيل القصة لا أعتسده لعدم رؤيتي
 له) دخلت على سعادة المدير بعد التحية فأجابني أنه سيخرب حلة الرحمانية
 التي عبرها السيد عبد الرحمن الذي يغتم سكانها بأكلهم وكسوتهم دون
 أجرة قديمة كما كان يعمل والده مع جميع سكان السودان . قلت لسعادته :
 أمخيرك أصلق عندك أم أنا ؟ قال : أنت الأصلق في نظري . قلت : الى متأكد
 من ان للسيد كنتين بكل حلة به كل الانواع التي تلزم لعماله يستجرون منه
 ما يلزمهم بأسعار معتلة جدا ويبد كل أحد منهم نوتة يكتب بها ما يستجره
 وفي آخر الشهر يخصم من حسابه ما استجره ويدفع له باقي ما استحقه قنذا
 أو أشياء من الكنتين كاختياره ، فإذا شئت التحقق من ذلك فاذهب توا بنفسك
 وعندما تدخل الحلة أطلب من أول رجل يقابلك نوته فإذا قدمها لك ووجلت
 قولي حقيقة ارجع عن خراب الرحمانية ، واذا جلست خبري لك غير صحيح
 امضي في نيتك في خرابها . فقال لي : سبق مني أن أخبرت الغرطوم بما قلته
 لك أولا وأن للمستر ديفس مدير الشئون الأهلية سيحضر غدا وتذهب معا
 للامر بحراب الرحمانية . قلت لسعادته : الأفضل أن تذهب قبل حضور المستر
 ديفس وتؤكد من أحد الجبري ، خبري وخبر مبلتك الاول قبل وصول المستر

ديمس تقطع المحادثة صامتا فابتدته شولي : ألم أقل لسعادتك أن هذه الادلة لا تنفع بلدر صباح ؟

هذه ثلاثة جازات قتلت بسبب غلظة ناظر قبيلة أوهي بسبب لضعف ادارته ، مرد على سعادته : يا شيخ بابكر هذا انقلاب وكل انقلاب ينتظر منه حصول حوادث كهذه . قلت في حزم وغضب : حينما كانت الحكومة تعرض على العدل الحقيقي خصوصا في اصابة الدماء حصل في أوائل سني دخول الحكومة أن أحد كبار الشكرية هرب رقيقه فلقق الرقيق بمن معه من رجال في البطانة ويحث عن أغرامهم بالعرب فتحقق منهم بلداية عبد مولد عنده من الرقيق قتلته ورمى جازته في بئر خربة وبعد أن تعينت مصلحة الرقيق وجعل لها مركز بالبطانة وبني أحد اعداء هذا الرجل الكبير الشكرى بقتله لعبدته عند رئيس قلم الرقيق فاجتمع مفتش رقعة والقضارف وشندي حتى وقفوا على الحقيقة بواسطة الواشي وأخرجوا عظام البجته من البئر وقبض على القاتل وحكم عليه بالسجن المؤبد فلما كان القطار بين شندي والدامر رمى المحكوم عليه بنفسه تحت القطار واتحرق . هذا كان عمل الحكومة حينما كانت تمنى بالدماء والآل ثلاثة جوائز تحملها سعادتك على الانقلاب . فسكت سعادته ثم سألي عن بروجرام سفرى فسرده عليه ثم ودعته ولم أدر ما حصل بخصوص القصاص في الجناز ولكني تأكدت من أن الناظر ادريس النسيم لم يعزل ولم يعاقب عقابا علنيا .

هذه حادثة من حوادث كثيرة من تأييد الحكومة للادارة الأهلية على حساب العدل الذي جاءت الحكومة الانجليزية راعية عليه .

فتحت مدرستي أبي هشيم والقويسى بنهر الدندر ووصلت المفازة حيث وجلت الأمور بها كتبناى أبى قرجه والقاضى أحمد بلدى ووجدت مهمما الشيخ موسى يعقوب ناظر قلع النحل والمفازة لأهل التوب وصحبني لمزله حيث فتحت مدرسة قلع النحل وبارحتها لمدرسة ولد ضعيف وناظرها الشيخ ادريس الحبر ثم وصلت عصارا وبعد تفتيش المدرسة قضيت ليلتي بمنزل الشيخ عوض الكرم ولد زايد ناظر الضباينة وكانت الليلة يرذا قارسا بحيث حينما وصلنى المستر هيلد بمريته وجدنى بعد الساعة الثامنة موقدا نارا للتدفئة فأشار على بالقيام فقلت لا أستطيع السفر الآن قمضى بمريته وبعد قليل جاءنا

راجعا ليتدفأ فوقف على النار وكان هذا في شهر ابريل الذي هو مظنة الجور
 احار . . وصلنا القضايف وبعد تفتيش خلوتها وكتابها طلبت من المأمور
 عبد الله أفندي محمد الكارب أتومبيلاً فوصل به كسلا فأخضره لنا من أحد
 الفولجات وصحبني فيه الشيخ زكريا شقيق أبي قرجه الشهير. تفدينا فالتومات
 عند شيخ العرب محمود حامد الخليفة وبثنا حلة الثوب حيث فتننا خلوتها
 النظامية وبارحناها نحو الساعة الرابعة والنصف رغم طلب الفقيه الحثيث بأن
 نبات معه ولما تقدمنا بالشارع الموصل لحلة المحرقات وجدنا الشارع مزدحماً
 بقطع كبير من الابل اللائي جرين أمام الاتومبيل وثار الفار ولم نتمكن الا
 والاتومبيل راكب على جذع شجرة في وسط الشارع فالتفت لثني وأصيبت
 أسامي بصدمة قاسية لاني كنت راكبا بجوار السائق فجعلت أقطع ما اندق
 من لحم لثني بالمقص وأكوى مكانه بصبغة اليود . . ولم يكن غيرنا في ذلك
 الشارع المحاط بالأشجار الكثيفة ولم ننم تلك الليلة لترويج الخادمة والسواق
 بعركة الليوث التي هرب منا بحركتها وإن بعنت فبرئها . . وأوقدنا أكثر من
 حصة شمع في فيارين فلما أصبحت سرنا أنا وزكريا راجلين حتى وصلنا حلة
 المحرقات فوجدناها خالية لا أنيس بها وبالبعت اهتدينا لأقار من يأخذون
 الماء من البئر فوجدناهم في وسط العابة فأجرنا أحدهم ليوصل كتابي للشيخ
 محمود حامد خليفة بحلة التومات فيوجدنا بجمال للحيلة وحمار ركوبة لي
 حتى وصلنا خشم القرية التي أخذنا منها أتومبيلاً وصلنا به كسلا .



قابلت الرجل الفاضل الشيخ عبد الله محمد صالح الحلقي ناظر المدرسة الأولية
 بكسلا واستمعت بحضرته على الحلقة لنمبل لهم خلوة نظامية أعنى نضيف
 لتعليم القرآن الكريم مبادئ الديانة أي العقائد والطهارة والمبادئ وقليل من
 الانشاء والحساب فلم يقبلوا الا مبادئ الديانة فوافقهم وقلنا بطسرق
 القضايف كما أتينا . فلما وصلت الخرطوم في ٥ - ٦ بعد تفتيش ٣٥ خلوة
 بخلاف الكتابيب التي كلفت بيعها ، خرجت لتفتيش خلوات مديرية الخرطوم
 فخلوات مديرية بربر وبذلك استمر سفرى من أوله سبتمبر الى يوم أربع يناير
 سنة ١٩٢٨ حيث جاءنى عسكري بطليبي من السير مفي حاكم السودان العام

هو جئني بحلتي العار والعشكوت آخر ساقية للرباطاب وأنا أنظر لأول ساقية
 لقيلة الماصير فرجعت ولم أدخل الماصير لأعمل لهم خلوات فظامية وأسعت
 لذلك جد الأسع من الحوادث التي حصلت في هذه السفرة مما يستحق انذكر
 حيسا خرجت من أمهم من لديم الفتيحاب والزنا رة رأيت على البير عدد
 سيرا من البات العانسات وما زلت أرى هذا العدد بكل حلة حتى وصلت الى
 ناظر الحروية على ناصر بجوار حلة السليمانية التي بها خلوة صدادته للاقباه
 لترويح هؤلاء العانسات فوجدني يبدئ جهده في تعيد الحلة التي اتفقنا عليها
 في مجلسنا ثم وصلت عدة الجبوعه غرب جبيل أوليسا فوافق على الخطة
 عبرت النيل الأيحيى للشرق وما زلت أدعو لتزويج البنات حتى وصلت حلة
 ود رملى فوجدت بها ناظرها الهمام الشيخ محمد رملى الذي أخذني نصو
 الساعة ٨ مساء وسار بي حتى أوقفني على عدد من الفتيان قائم ثم قال لي :
 من فزوج البات هؤلاء الأيام من الآن أم لتيرهم ؟ وحكى لي قوله : نحن كنا
 في سنهم هذه نسعى للنساء مثل هذا الزمن ونضرب الصفقة تأتي كل من
 نلصت من عملها من البات حتى يجتمعن فتلعب أو يرقصن فترتبط بين الولد
 والبنات في ذلك الزمان المحبة الخالصة من شوائب الرية فيحطب الولد من
 علفت بمؤانده من البنات فيتزوجا أما أولاد هذا الجيل فلا هم لهم الا الجلاية
 الشكوية الظيفة . واللثة المرححة والإكل والنوم أسأل الله أن يهديهم .

رجعت لام درمان وفي الحال قمت بالاجازة التي تزوجت فيها قيسة أم
 مائك في ليلة ١٠ من شهر يوليو الموافق ليلة عاشر محرم سنة ١٣٣٥ هـ وقالت
 عديلة اذا حضرت زواجك ولم أشارك في فرجه تماما أخرجت نفسي معك ومع
 صهارنا واذا شاركت فيه أخرجت نفسي مع والدتي قبلت عذرها فقامت
 لام درمان ووصلني معها كتاب تهنة في صبيحة ليلة العقد فشكرتها لحسن
 تصرفها .

في أول سبتمبر قمت لتفتيش خلوات مديرتي دقلا وحلفا وعندها مائة
 وواحدة وأماكنها مختلفة شرق النيل وغربه الى جزيرة فرص ظلت راكبا
 حمارى كل هذه المسافات التي قضيتها في مائة وأثنين وعشرين يوما بولقع يوم
 وخمس من يوم للخلوة الواحدة من الزمن بعد أن فخرج الـ ١٦ يوما الجمع
 سألت يوم ٩/٣ بخلوة البركل وانتهت يوم ١/٢ الذي قضيته بخلوة حلف

الصرح وكنت كلما طلبت لنفسى الراحة أرجعها بقولى فى الآيات التى قلتها
لموسى ووالدته :

وما طلبى للمال والجاه وحده هذا بى الى أن أنهب الأرض ذا النجا
وأترك موسى يلتوى خلف دابتي تضمه أم حزنها يلهب القلبسا
ولكمبا أسعى الى الله والنهى وقع بنى جسمى وان ضمت مذهبا

ورد لى تفراف من أحمد مالك فى يوم ١/٤ يطلب تحويل ثمانية جنيهات
لللباسه لأنه تخرج مهندسا . فحولتها له فى الحال مسرورا باتنامه دروسه .
كذلك ورد لى جواب من ابراهيم بدرى من مشرع الرق يطلب فيه خطبة
ابنتى فاطمة للشقيطى فرددت له تفرافى هكذا : هل نسيت خطبة أحمد مالك
لها ؟ فرد على فى الحال : لم أسمع بخطبته لها فاتهم

وحوفا من غضب ابراهيم كتبت خطابا لمجنوب مالك الذى هو أهدأ
أحواله طلبت منه هل يمكن تنازل أحمد مالك فرد على احتجاجا على طلبى هذا
وتسكنا بزواج أحمد بفاطمة فلم أخطب ابراهيم بشيء بل اكتفيت بما حصل حيث
لم أبحج فى تصرفى الذى يعلم الله ما أردت به الا تجنب غضب ابراهيم الذى
أعرف طبعه وعزى مكاته عندى كما أتجنب غضب أولاد مالك وهم عصبية
نولادى وأمانة أيهم - رحمه الله - فى نعمتى . لما قضيت قضيتى لحلوة فرص
ذهبت مع الصدة للمكان الذى كنت ألتخرج فيه ليلا للقاء قربتى ورأيت انحدار
الشاملى عجبت كيف كنت أستطيع السير فيه متخرجاً مضطجماً ثم واصلنا
سيرنا لمكان الدليم حيث دفنت شقيقى موسى بدرى لعلى أعرف مكان قبره
فأتمهده وادا تأكلت منه أبنى عليه علامة ثابتة ولكنى حينما وصلت المكان رأيت
وفا هول ما رأيت المكان الذى أهاج على ذكرى مهيبة مخزنة . ذكرى جوعنا
وخوفنا وسرقتنا للقاء ليلا من الواپورات وذكرى ضرب موسى بالجملة وأنا
جالس فى صدره . ذكرى قول والدتى حينما تأكلت ضرته المميتة . قولتها
أتنى لا أنساها وهى : وهبت لله تعالى (راجع هذه القصة المخزنة فى مكانها
واجب اثباتنا لها ففتحتم بأنا قد ساعدنا على صحة عقيدتنا بالجهد)

وصلت الخرطوم في يوم ٦ يناير سنة ١٩٢٨ فسلمت على فريد بك باشتياق
وحادثته بلطف فقال لي : يا شيخ يا بكر انت راجل لطيف ولا تتعقب أحد بسوء
فلا أدري لماذا يشتغل بك الناس . فقلت له على الفور :

الأم على ما يوجب الحد للفتى واهدا والأفكار في نجبون
فقال فريد بك : أي والله .

ثم استعلت في المكتب بتجيز هريزي وفي يوم ٢٠ يناير سنة ١٩٢٨ طلبني
السير معالي الحاكم العام بسرايه وجرت بيننا هذه المحادثة التي لذكرها .
بعد التحية :

انت تسافر كثيرا . ماذا رأيت في السودان ؟

من المجلد والروصيرص جوبا الى فرض شمالا ومن الجنيينة غربا الى
طوكر وسواكن وبورتسودان شرقا تنحب كثيرا .

— كلما أشد تعبي كثر سروري لأنني أخدم بلدي .

— انت مشهور بالاخلاص في التعليم

— الاخلاص للحكومة فأتج عن انها أفضل حكومات الاستعمار وان سبورها

فيما ان لم يكن طبق العدل من كل نواحيه فلم يخرج حكمها عن دائرة العقل
وما التعليم دولتك فانه نور البلاد وأفضل ما يرثه الأبناء عن الآباء .

— نعم . نعم . كم يوما قضيتها في سفرك هذه ؟

— مائة وسبع وعشرين يوما مانعا يوم القطار من الخرطوم لكرمة

— كلها قضيتها بالحمار ؟

— نعم

— هل لغة المناقلة والمحصى واحدة ؟

— مختلفتان

— اسكتلندا في بلادنا مثل ذلك ، بعض كلامهم أنا لا أفهمه .

— الفقهاء كلهم مقيدون ومشروع الخطوات مقيدة ؟

— الفقهاء مقيدة أسماؤهم وأكثرهم مترونون والمشروع للخطوات منيد

— للقرى الصغيرة وخصوصا للبوادي اذا عم فيهم .

— هل الناس مسرورون ؟

— كانوا تباين في العام الماضي بسبب المجاعة وهذا العام هم مسرورون
لجودة المحصول •

— هل المحصول يكفي البلد أربع سنوات ؟

— نعم إذا لم يصلر بكميات كبيرة •

— تفكر تمنع التصدير ؟

— إذا منع التصدير مطلقا يتعب المزارعون يرحص القيمة ونضاه انهم

يكسلون في زرع جميع مزارعهم •

— تفكر ماهو الثمن المتوسط للأردب عادة ؟

— إذا قص ثمن الأردب عن مائة قرش يضر بالمزارع ولذا زاد عن مائة

وخمسين قرشا يضر بالمستهلكين •

— أهنيك بنجاح ولك أنا رأيته في كلية الطب هو أحسن يعهم ان علمه

لم ينته •

— وهو عمره كم ؟

— عمره أربعة وعشرين سنة وأربع وثلاثون يوما

— هل هو ولدك الكبير ؟

— ولدى الكبير قاضى شرعى وهو الآن بالمغازه •

— أنا شفته بالمغازه • كم ولد عندك الآن ؟

— خمسة عشر منهم خمسة ذكور وعشر أناث •

— هل على متزوج ؟

— لم يتزوج •

— هل تريد على بدرى بعد هذه المنونات أو يشتغل بالمديريات الجنوبية؟

— أنا لا أختار لأولادى مكانا معيناً بالبودان كل السودان بلدهم ولذلك

أوصى أولادى بالتعليم أو لتهرى بقولى له إذا هلكك الحكومة بالسودان لبلد

لم تجد فيه انجليزيا حاكما أو يونانيا تاجرا لا مانع من أن تضجر وإذا وجدتهما

فلا حق له فى الضجر -

— هذا أدب جميل • كبرى النيل الأبيض مهم ومفيد ؟

— نعم لأنه وسط البلدين •

— انت حضرت أمس احتفاله ؟

— لا لأنه قاصر على مستخدمو الدرجة الرابعة من السودانيين
 — الآن الترموى سيره بطيء لعدم تعريض السواقين وبعد تزيينهم يسير
 بسرعة . هل الناس مسرورون به ؟
 — طبعاً لأنه وفر الزمن وأراح البدن .
 — أنا مسرور من محادثتك وإنشاء الله أراك مرة أخرى . هل عدت
 حديث خصوصى تحدثنى به ؟

— نعم . أنا الآن قريب من الاحالة للمعاش ومعاشى لا يتجاوز الثلاث
 عشر جنيهًا وعلى سلفة مبانى تبلغ ستة جنيهات ومائة وستين مليمًا . ولما
 حصصت هذه القيمة شهرياً يبقى لى أقل من سبعة جنيهات أعيش عليها لمدة
 سنتين فإذا كنت ترى دولتك انى فى بقاى مدة الستين المقبلة فائدة للحكومة
 أكون أستغفرت واستغفرت الحكومة .

— أنا أوصى بذلك (وأخرج نوتة وكتب فيها مذكرة بذلك) ولكى لما
 وصلت مدينة أبرة فى شهر أكتوبر من هذه السنة وصلنى ورق المعاش وطلب
 منى ملؤه فملأته وأعطت للمعاش يوم أربعة فبراير سنة ١٩٢٩ ولا أدري أنسى
 دولته أم لم يوافق المستر فيلد رئيسى المباشر والذى طالبنى بالاستغفاء
 سنة ١٩٢٢ .

فى ٢٢-١-٢٣ قمت لتفتيش خطوات رفاعة . ففتشتها فى خمسة أيام وفى
 أثناءها طلبت من جناب المستر ريتشارد تخصيص أربعة جمال لحملتى حيث كان
 عندى حماران لركوبتى وحادمتى بدل جمل خامس فاحضر لى الجمال ولم
 يسمح لى بعسكرى يرافقتى وقال لى بصف : أحبر مصلحتك بأنى غير مستعد
 أعطيك عسكراً . فقلت لجابيه : أنا لا أحبر مصلحتى ولكى أؤكد لك انى
 لا أبارح رفاعة بعير عسكرى يرافقتى فقال لى واحد اسمه أحمد بدرى أخذ
 عسكراً يرافقه للمعازة هوصلها فى تسعة أيام ورجع العسكرى فى ثمانية أيام .
 فقلت له : أحمد بدرى قطع أكثر المسافة راجلاً من كثرة الأمطار وعلى كل حال
 اذا كنت جنابك غير مستطيع محاكمة أحمد بدرى هل تعجز عن محاكمة
 العسكرى ان لم تجده معاً فى تأخير .

ثم قلت لجنابه مارحاً . انت وأحمد بدرى أحوان وأنا والدكما الاثنين . فاشتد
 غضه حتى استوى قائماً وقال لى : انت لا تستحق عسكراً . قلت له بعزم

لماذا امت تستحق ثلاثة عساكر في جولاتك بمركزك الذي تعرفه طرقا وأشخاص
وأنا لا أستحق عسكريا ولحد في طرق أجهلها وبين أناس أنكروا ؟ فقال لي
بعدة : انت وطني والوطنى لا يستحق عسكريا . قلت : هل لا تعطى القاضي
الشرعى عسكريا يرافقه في جولاته . فجلس على كرسيه وتناول قصاصة ورق
من السبب كتب على ظهرها للأمور الحما حيصا يعطى عسكريا يرافقى لآخر
مركز الحما حيصا . فلما قرأت الورقة قلت لجنابه : أنا لا أحتاج للعسكري
الا بعد آخر مركز الحما حيصا . فأخذت الورقة للأمور الذي أمر العسكري
أن يرافقتى حتى مركز القطينة فسافرت على بركة الله . هذا المستر ريتشارد
الذى أعرفه أكثر من أربعة سنوات قضيناها معا بمصلحة المعارف فحستال بين
تصرفه وتصرف المستر ديوى بمدينة القاهر . اذا شئت فراجعها في سنة ١٩٣٦
تترى الفرق الشاسع بين الرجلين .

وصلت القطينة ونزلت مع الأمور محمد الفضل ابراهيم لنياب محمد
صالح الشنقيطى وفتشت الخلوات في القطينة وبالقرب منها في ثلاثة أيام حضر
في أحدها الشنقيطى أفسى الذى صبحنى حتى أوصلى حلة ود شلى وكلمنا
مرورا بحلة أسمع السنة ذكرى حسنة وثناء عاطف لما قدمه للفقراء في أيام المجاعة
من علف وكرم جزاء لله عنهم وعن المروعة خيرا . أخذت عى على شكاك
كعادنى كلما مروت بالنيل الأبيض . نزلت بود الزاكى في منزل المرحوم الأمن
الأصم فحككت لى خادمتى الرحمة بأن للأمن بنت عاسات . فلما وصلت حلة
الشنقيطى أخبرت صهن عبد الله سليمان الأصم وطلبت منه ومن معه من دويه أن
يرسلوا من أولادهم من يليقون لزواجهن وفي الحال ينقلن مع أزواجهن بالشنقيطى
فأجابونى وحملونى وفي الحال عملوا بوصيتى جزاهم الله خيرا .

مررنا على كل خلوات السيل الأبيض وبتنا بحلة قبيلة سليم وحادثت عدها
أن يطلب انشاء خلوة بحلته قلم أرمته وغبة تركته . وبرورنا بين النيل الأبيض
وتدلتى حصلت لى حادثة ببلغة الأحامده في فريق على حفير يقال له أم صبر
لولا انى أقصد من تدوينها أن يطلع عليها أولادهم الذين يتعلمون فينتبهون
مقاومتها لنزهت لسانى عن ذكرها وقلتى عن كتابتها وهى انى كنت مصاب
بركام عند وصولى هذا الفريق فأخبرت الأمبائى المرافق لى أن يضع سرورى
السفرى في بيت من بيوت الفريق لأنام فيه خشية ازدياد الزكام فوضعه لى في

بيت من البروش على سرورهم الذي يصمه فراغ البيت هربا وبعد منتصف الليل شعرت بحركة انسان ظننته سارقا فقلت له من هذا ؟ قال : أنا فاطمة سيدة البيت فقلت : ماذا تريدين ؟ فسكنت هنية ثم قالت : جئت لأمسك لك البيت خوفا عليك من كلابا المتعوجة الرقاد معنا على السرير قالت أربطه من الداخل أو من الخارج أم من كليها ؟ قلت : الأحسن أن تسديه من الخارج فلما تحركت وقعت على صدري وهي ملتخفة بثوب حرير وهي مطرة فقلت يا رحممة يا الرحمة ثلاثة مرات فلما سمعت اجابة الرحمة بنعم فقزت واقعة فقلت للرحمة سدى البيت مع صاحبة وخرجت وفي الصباح زلزلني شيخ العلة الذي نسيت اسمه فسألته : لمن هذا البيت الذي نمت فيه ؟ قال : لأختي . قلت : أمي متزوجة ؟ قال : نعم ومطلقة . قلت : إذا رأيت معها رجلا أجنبيا ماذا تصنعوا بها . قال لي : أنطاشي رؤيتها ورؤيتي لها بأن أمر من بعيد عنها . قلت : تنضب على أحدهما . قال لي : كيف أغضب على أحدهما وهي عزية (ثيب) فالعزبة هي تعمل كما تشاء . تمودت يافق من هذه الأباحية ورحلنا عنهم في الحال . وصلنا جديد ووجدنا سوقها عامر وبه كثير من تجار رفاعة ثم وصلنا تدلتي بعد مرورنا على الناظر مكى البدوي عساكر بمكان يسمى طويل (بالتصغير) كما وجدته في سنة ١٩٢١ وهو تلميذ في طور التطعيم ومن تدلتي ركبتا القطار حيث وصلنا الخرطوم في يوم ٢٤-١٩٢٨ م بعد أن ودعنا عمي على شكاك بكوستي ليصل أهله على حماره .

ثم قمت يوم ٨-١٩٢٨ م لتفتيش خلوات كردفان التي أمتستها سنة ١٩٢٥ في ستة شهور وكتبت عنها هربا اصلاحي لكل خلوات كردفان ولكنه لم يعمل به ولم يعمل جيبه . قذمته للمستتر فيلذ يوم ٤-١٩٢٨ م.

في هذه الفترة لقيت الشيخ . . . بإحمد الدكاكين في الأبيض وسألني ماذا أركب في سفرياتي بكردفان المترامية الأطراف على حماري وجماني حملتي . هزى بي واقترع أمام الجالسين بأن للصلعة أذنته خصوصا باستعمال الأتومبيل في جميع سفرياته ولم يدر صاحبني اني أستمعل الركائب لاكتسب أجرها التي أستمين بها على قضاء ديروني التي ارتكبتها في لقائتي في الخرطوم من جهة ومن جهة أخرى أتمتع بمجالسة الرجال الكبار أدرس منهم تاريخ

فباللهم وصاحبي لا يحتاج لأحدهما لعمله الخفيف ومرتبته الكافي ويمكن لزمه
في تاريخ بلاده .

بوصولي الخرطوم قصدت مكتب فريد بك عطيه لأسلم عليه فوجدته
يكتب قلما رأيته مد لي يده اليسرى للسلام فمدت له رجلي بنعلها فلما
اسكنها وهو مظايطء الرأس أحس بحشونة التعل فرفخ رأسه وفي الحال وصح
فنه ودخل على المدير شاكيا فلما سألتني المدير وفريد بطايتي أخبرته بأنني
صعدت له من مكتبي الأرض المنزوي في آخر جناح الكلية الشرقي عرفة واحدة
وضعت بها أربعة معشدين وطنيين صعدت له في مكتبي الرفيع الواسع المنفرد فيه
نما رضي إلا أن يد لي يده اليسرى تبجيذا لنفسه وازدراء لي فرجلي بنعلها
في هذه الحالة أشرف من شماله . فرفع المدير رأسه لفريد خاطبه بالانجليزية ثم
التم الي وقال . تفضل . نتيجة لهذه الحادثة أو لسبب لا أدريه قتل الشيخ
عمر اسحق لمكتب فريد بك حيث وصعت له تريزة مقابلة لترايزة فريد بك
فكررت جدا لهذه المحازاة السرسة ولوصح وطني معه .

وفي يوم طلبني المستر يودال وقال لي : اذا كنت تنفذ هذا المشروع
الصناعي الذي يراد ادخاله في الكتابات يد لك ستين بلون معاش بمعنى انك
تعال للمعاش من أول السنة الجديدة وتشتغل الستين بمرتبك كاملا وتمر على
الغلات والكتاتيب لتثبت عمل الصناعات بها . قلت لسعداته : ماهي الصناعات
التي يتعلمها المعلمون وأين يتعلموها . قال : ستقدم لك بها معلومات تبين كل
ما يتعلق بها . ولما كنت محتاجا لمد الستين لصفر معاشي الذي لا يتجاوز ثلاثة
عشر جيبها سيحضم ستة جنيهات ومائة وستون مليما سلمية مباني
ومصاريف أولادي بالمدارس واني متزوج رولجا جسديدا يزمتي مصروفات
سحية ولاأني لم يسبق لي أن فشت في عمل قط تجاريا أو صناعيا أو اداريا أو
تعميما ولاعتقادي كما رأيب أعمال الانجليز واقتراحاتهم تؤيد من بعضهم مهنا
كانت علاقاتهم الشخصية قبعد أيام وصلني منه كتاب التعليمات وهذا نصه
وشفها أمرني بأنه عمل كل الترتيب اللازم للأدوات والأكل مع المستر استيرك
قلت لسعداته : والأسطونات والفعلاء قال : كله عند المستر استيرك تلقاها منه
وما قصص عليكما سلاعه المستر فيلد حتى يرجع المستر ويلمس اتصل به بدل
المستر فيلد . وقام بالإجازة قبل وصولي التعليمات .

وصلى هذا الكتاب بعد قيامه بالاجازة وفي يوم ١٥-٧-١٩٢٨م حضرت
وحضر المعلمون وعددهم تسعون المستر استيرك الذى أعطانى هذه التعليمات
من توبته ففعلتها بنوقى *

أولا : اقتدب تسعة أسطوانات بنابغ لتعليم تميمين معلما لكل معلم عشرة
مشايخ *

ثانيا . يوجد عشرون فعلا بنا فيهم ستة بالايجار على ميزاية الورشة
وأربعة عشر فعلا من خدمة الورشة السائرة منهم خمسة عمال المركب يرئيسهم
وثلاثة خفراء وطباح وممرتون وصفرجيان وفاعلان مستدعين *

ثالث لعجابه : أرمى مكان العمل للبناء طوبا وجالوسا ولضرب الطوب
ولعجن المونة * قال لى : الطوب مضروب جاهز واما المونة فيعجها الطبلبة
(العمال) ويكون مع كل اثنين منهم معلم (شيخ) نوتجى يوما بالتناير ينظر
كيفية عجن المونة ويساعد المعلمون الفعلاء فى وصولها لمكان البننة داخل العنبر
ويعصر صحن المبر كأساس ملآن وبعد نهاية العمل يلط ويرمل لكل جاب
دبله والثاني رمله *

رابعا . الاكل والشاى للمعلمين يقوم به الضابط كالكلية كأهم طلبة
خامسا : مكان التراب للمونة مسئول عنه عبد العظيم خيرى *
سادسا : أدوات الطبخ موجودة اما الطباخ فميرسل من الكلية *
سابعا : المتقريات والبطانيات والمخدرات التى بالورشة ستة وستون
والناقى وهو أربعة وعشرون يطلب من الكلية *

ثامنا : سعادة المدير اشترى عشرة أمتار رمنة للشغل *
ثاسما : كيفية عجن الطين كل يوم تمجن حوضين واحد يستعمل بيومه
للمونة والثاني يترك حتى ينبل وهكذا يكون هناك دائما حوض مبتل
تراه ليسهل عجنه *

عاشر : عجن الزبالة وتظيفها يكون بواسطة الفعلاء وبحضور المعلمين
النوتجية واما الرملة فزيريتها وعجنها بواسطة المعلمين *

أخذت هذه التعليمات وهزلتها حرفيا بمذكرتى فحضرتها على جناب المستر
فيلد فوافق عليها كلها كتعليمات المستر استيرك زمانا ومكانا وعملا الا انه

استحسن أن يعجز المعلمون الطين بأنفسهم ليصرفوا عليه ولكنني لم أفهم
 اقتراحه هذا ولا طالبت به المعلمين ولا أخبرتهم علم الله به ولكنهم سمعوه من
 غيري وأظنه ممن نصبوا آلة لنشل الموضوع كما علموه من المستر فيلد الذي
 عادته الصراحة ولو في غير مكافئها أو زمانها فبنوا عليه تعصبهم فلما ابتدأوا
 التعصب جئت للمستر فيلد يوم ١٨-٧- وأخبرته بيده التعصب فلم يهتم له .
 فقط قال لي سأكتب لسركتير المعارف أخيره بذلك ثم زاد قوله أن أكبر عمة
 تقف في سبيل هذا العمل عدم تقرير ميزانيته لشترى المواد الخام لكل نوع ولا
 يمكن أن يستمر العمل بخلاف تقرير مالية لأن المستر يودال لم يقر مالية .
 فأجسست بالشر من جعلته هذه لما أعلمه من سوء التهم المستحکم بيه وبين
 المستر يودال فجعلت أقاوض المعلمين باللين وأشاركم في العمل يدي فبعضهم
 ممن يحترمون شخصي يسير في العمل وبعضهم يتلأأ وبعضهم يتمتع من نسي
 من كلمته باللين ولم أعلم أنه من رؤساء التعصبيين البدرى الرجح فلما بدأت كلامي
 له أغلظ على فقلت له أنا عبك وصديق والدك قهرني بأعلى صوته قائلاً . أما
 لا أليق لمومة ولا لصداقة والده وكان هذا بحضور من أولادي من رفاعة
 أذكر منهم محمد سعيد محمد خير ومحمد الجزولي فذهبت توا لجناب المستر
 وليمس الذي وصل قبل يومين وطلبت منه أن يزورنا بأمر دومان لتدارك الأمر
 فجاءنا يوم ٢٨-٧- فلم يتفقوا على العمل فقلت لجنابه هل عندك مانع أن
 تنتقل بهم إلى الخرطوم وبتدء العمل في التجارة والخياطة وترك البناء وما
 يتبعه من مسيلات للتعصب ؟ قال : لا مانع عندي . فقلت مركز العمل للخرطوم
 حيث قابلت باب الله أفندي بمكتبه فأخبرني أن معلمى التجاره للماقرب
 والكرامى معبول ترتيبهم تحت رقابة أحمد أفندي غندور فلما قابلته قال لي :
 وكذلك عندنا صديق للثبايك والأبواب وكل الأدوات للعمل موجوده
 فابتدأنا العمل فعلا وبعد يومين رفض أكثرهم فذهبت للمستر وليمس وطلبت
 منه أن يحضر كل المعلمين بالجره بحراسة فضل المولى الصول وبلخهم عليه
 وأحد واحد فمن قبل الاستمرار في العمل يكتب اسمه في وجه الورقة ومن
 يرفض يكتب اسمه في ظهر الورقة فلما نجد من بينهم من يرضون الاستمرار
 فعمل معهم لحينما يحضر المستر يودال خير من أن تطلع العمل فوافقني على
 ذلك وحينما حضر المعلمون دخل عليه الشيخ عمر اسحق فخرجت لأخبر المستر

فيلد الذي كسب للسكرتير بخصوص المالية قلما قابلته بمكتبه أخبرته بمحصل قال لي انه سيأخذ رأى السكرتير في استمرار العمل أو وقفه فرجعت للستر ونيمس الذي وجدته غير فكره وطلب المشايخ كمال الدين عباس وعبد الكريم محمد وأمين مكى ليقبلوا الاستمرار في العمل فرفضوا . في اليوم التالي وصفت له طرقا لتحفيف الاعتصاب فلم أر من جنباه ميلا لها فتركته وذهبت ننمستر فليد لأعلم ماذا تم في جواب السكرتير له . حينما رأي قال لي أن السكرتير أجل الموضوع ليبدأ كعجربة في الخارج والمستر ولیمس طلب الشيخ سر اسحق وآفا معهم بلهجة الطائر ان المستر ولیمس عفاكم من الشغل فزفتموا وزفقت معهم مع زفقت معهم لأنى لم أر نفسى فاشلا بالنسبة للمجهود العظيم الذي بذلته والأسباب والأشخاص التي تضافرت على إيقاف الموضوع مما بدلوه من تشويه السمعة بالأغاني التي نشرها بلسان الأطفال تشنجا على المسكين يعيرونهم بالزبالة كالتملاء مع أن هذا يعلم الله لم يكن يرأى ولم أقوله ولم يوجد بسور الورشة كله قبضة من رباله ولكنه حلقه مروجو فضل الموضوع وأداعوه لبلوغ غرضهم . على انى أذكر أن زوت الشيخين يوسف قوى ولطفى قوى بمنزل الأول بأمدرمان أفاتحهما رأهما ولاستخبر لطفى عن سبب نصيحتي لي برفاعه أن أمتنع عن قبول مباشرتي لتنفيذ عمل الصناعات بواسطة معلى الكتائب لعلى أجد عندهما رأيا يفتح لي طريق معرفة الأسباب لأعالج حلها اذا قدرت أو طريق عذر مقبول اذا عجزت . عملا بقول الشاعر الحكيم
عندما يصيبي الرأي لأمر عظيم :

وَلَا يَدُ مِنْ شَكْوَى إِلَى دِي مَرُوءَةٍ رُوَايَاكَ أَوْ يَسْلِيَا أَوْ يَتَوَجَّعُ
لقيت معهما محمد الجزولي وليتى لم أرهم . بعد محادثة يسيرة ظهر لي منها أثر الشماطة على ما لحقتى من الفضل في رأهما لم أفاتحهم فيما جئت من أجله وتطورت فكرتى مما رأيته منهما أن لهما يد في نصب الكيكة التي دبرت للفشل المزعوم ولم يقفا عن هذا الحد فان محمد الجزولي اقترح مويحا لي مما غلست منه أنهم كانوا في سيرتى وعلامة ذلك ما أبداه محمد الجزولي ، ان المرأة على واتجاره بنون مناقشة سابقة توصله لتوبيخى بينما قال فيما قال انى سجت والد بدفى له وانى هلت بدمرسة شركيله ناظرا قلما رأى الشيخ لطفى جرأته وأحسن بما تركه هذه المهاجمة يحضورها من الأمر الذى ربما

يترعى لظني باشتراكه فيها معنى تطبيقاً للمثل السوداني القائل : (ان جارك من صفارهم اعتبرها من كبارهم) وان بساطة محمد الجزولي هي التي دعته للمجاهرة بأكثر مما يقصده ان يرى لمحمد الجزولي وهو مضطرب قائلاً (أنت يا محمد الجزولي لثيم . والدك لم يسجنه أبونا (بابكر) وانما سجن نفسه ببلادته فاني ووالدا كما سهر مع والدك الليالي نصلح له دفاتره . والدن المصحح بالرأي وأنا المغير بالكتابة فوالدك حينما وقف أمام المفتش ذكر أسماء لا مسيات لها وهنا ما كان يخافه عليه والدنا فحكم عليه بالسجن وامت يا محمد شعباً فقد جاني سعادة المستر يودال وأنا كنت فاطر مدرسة كسلا جاني مستر يودال عاضباً وقال لي أن الشيخ بابكر يدرى عين محمد الجزولي ذلك الزمور مدرسا برطاعه دون موافقتي واما هله لك فاطر بمدرسة شركيله كان قصد تزييتك ثم كرر له انت يا محمد الجزولي لثيم) هذا ما قاله الشيخ لظني محمد الجزولي دفاعاً عني و دفاعاً عن نفسه لثلاثتهم كما تقدم . بارحتهم في الحال وأنا ضاحك على ماجرى رضاء بغير الله ذاكراً للحكمة (اتق شر من أخصت اليه) بعد أيام وقبل ترحيل المعلمين حضر المستر يودال من الاجازة وجمع المعلمين المتحصين وطلبنى والشيخ كمال الدين عباس فقط أخذ رأينا عن الاعتصاب وكيفته وأسبابه فقلت أسبابه كثيرة في نظري أولها عياب - مادات وأن العمل يده بالظن وهو محل مسامحة وفرصة للمتمنعين . وانه بدىء في أم درمان مما سهل للمعارضين وضع أعاني فقرها أولاد الشوارع تعير على المعلمين كيف يطمعون الفرجية والطربوش ويلبسون الثماره ويعجنون الربله ويلتخون الحائط فأثارت الشموع فرد سعادت قائلاً لي : اتم وكل من مرت عليه في تفتيش المدارس من كار السودانيين قلم لي اذخال الصناعات في الكتاب مقيدا قلت للشيخ كمال الدين : اما ترد على سعادت ؟ قال لي الشيخ كمال الدين : انت عارفتي اذا كنت أعارض وأتكلم بما يدل على المعارضة مركبه واتجهت على المستر يودال سائلاً ، هل ذكر لك أحد منا أو من غيرنا هل المعلمون يقبلون تنفيذها على الصورة التي حررت بها نى الأمر ؟ قال سعادت : لم أسأل أحداً هذا السؤال . قلت : من ترك هذا السؤال غزافاً المعارضين . قال لي سعادت : هؤلاء المعارضون هم أعدائك . قلت : لا يا سعادت هم أعدائك أنت لأن أعدائي لا يستطيعون أن يوحلوا العمل

للتجربة في الخارج ولا يستطيعون أن يضمنوا للمعلمين مستقبلهم مع هذه
المخالفة العنيفة وإنما يرى أعدائي التلاميذ بأن يقولوا : لا تشتغلوا تحت
إشراف بابكر بلدي . فأسقط آقا ويتعاون رجل غريب من أمشالي الكثيرين .
هسكت سعادته قليلا ثم طلب كل المعلمين المتعصبين وأدخلهم في غرفة كبيرة ثم
قال لنا : أنا قائم للمعلمين أقف عند الباب وأقول لهم كل من يرفض العمل منكم
فليخرج من هذه الغرفة لمنزله وهو مرفوض . فقلت لكمال الدين مرة أخرى :
ما رأيك يا أستاذ ؟ قال لي : الرأي عندك لاحظتلك في الموضوع . التفت لسعادة
المستر يودال وقلت له : إذا خسرنا أجمعين قال لي : ارفتهم . قلت : وماذا
نصنع بالكتاتيب ؟ قال : أقتلها قلت : يا صديقي . انك بريطاني ونائب مدير
المعارف وأنا أجلك أن تقول كلمة لا تستطيع تنفيذها قال سعادته : سأفعلها
هنا . أحسست بالشر ففكرت ثم قلت لسعادته : هل تضمن أن أهلك الكبير
يوافقونك فالأحسن أن تأخذ رأي كبار المسؤولين منهم عن سياسة البلاد فإن
وافقوك نعال واعلن ماتريد وأن لم يوافقوك وافقهم على رأيهم . فأخذ الأوراق
الخاصة بالموضوع على ما أظن أو غيرها لا أدري وتوجه لسعادة المستر كريد
وهو السكرتير الإداري آنذاك فرجع منه وسعادته هائىء من تلك الثورة
فتنقل على المعلمين وخطب فيهم بالعربية وبلاقته المشهورة حبسهم على
حضورهم للعمل وبأسف لما اعترضه من الموانع وانه وافق على تأجيله حتى
يجرب في الخارج مرادى . فرد أحطهم وهو يوسف القاضى الذى هو من
تلاميذى والذى يعلم الله بما قصده له من خير وهو طفل وما عاملته به وهو
معلم معى براعة . طمن فى وفى ادارتى . وتفرقوا فلما خرجت من باب السور
لقينى يوسف القاضى هذا نفسه وحياتى أحسن تحية يقدمها ولد لوالده أو
تلميذا لمعلم ولم يمض بين الطمن وتقديم هذا الاحترام غير نصف ساعة عجبت
من الانسان وقدرته على جمع الأضداد وقلت سبحان من خلق الانسان وألهمه
الاباعة والطغيان وجعل بعضهم يجمع بقدرته بينهما معا كما شاء . وحسبت الله
على انى لى قلب واحد يجب أو يكره فيجأهر ورأيا واحدا يوافق أو يخالف
فيعلن ومبدأ واحد يقبل فيحمل أو يخالف فيترك فان ذا الوجهين لا يكون عند
الله وحيها .

في يوم ١٧-١٢-١٩٢٨ م توفي المرحوم الأسوف على شبابه ونشاطه وعقله وعمله السيد حسين شريف فبكته القلوب قبل الميؤن فلما وأرضاه التراب رجعت برقة الشيخ عمر اسحق ومحمد أفندي حلي . فلما وصلنا حوش القزاز أي منزل السيد محمد طه وقفنا قليلا في هطة الشرق وتحدثنا والحديث شجون فسألني أحدهما : ماذا اتويت أن تعمل إذا أحلت للمعاش ؟ قلت بصراحة واضحة فكرت في إحدى ثلاث إما عمل وابور بالرباط للزراعة أو عمل مدرسة لأولادى وأحادي أو مشروع دولجن برفاهه فقال لي حلي أفندي أبو سمرة : نوصيك أن تجعل عنوانك التفرغ لمشروع النواجين (كاك) حكاية صوت النواجين . ثم عني عمر اسحق بقوله لي لا تقارن نفسك بنا نحن الذين منعنا الدرجة الرابعة فستقل معاشك ولكن قارن نفسك بأمثالك . فائزعجت لهذا التهمك وقلت للشيخ عمر : افء من يأخذ لك الدرجة الرابعة من بعيد في بيتك أما أنا فسيأخذها من بيتي ثمانية من أولادى لصلى أو لجدى مباشرة . وعددت منهم ما حضرنى فسكت وفارقاني . مثل هذا التبجح لا يجوز قوله من مثلها وكلاهما لا يتمتع بما أتمتع به من الماضى المعاصر بالحوادث مسيه وسمره وأنا الذى أقول في أشد مصائبى :

كلومى أراها من كلامى دائما وقد تأنى أحيانا بخير تكلمى
فما كان من قولى أملت لسه وما كان من ربي فليس بمؤلى
بانهاء هذا الفصل (فقل الموضوع) صرت بين عاملين : عامل الأمل في بدائى مستين بالخدمة كوعد السير منى الذى كتبه بمدكرته أمامى . وبالحالتى على المعاش يتمكن المستر فيلد وتأثيره على المستر ماثيو بالحالتى على المعاش دون علم الحاكم العام والأخير يغلب على ظنى لاستحكام كرامة المستر فيلد لي وقد وجد الفرصة فيعد انهاء اجازتى اقتديت لتفتيش خلوات مديرية بربر حيث بارحت منزلى على حمارى كالعادة يوم ١٢-١٢-١٩٢٨ م فلما وصلت أتبرا وصلني كيف المعاش لملته وأرجاعه فأقترح على الشيخ على أبى قصيصه أن أعرضهم بناء على وعد السير منى وأكتب مذكرة لدولته أطلب انجاز وعده فرفضت بئانا وأرى هنا انى أعطيت أعدائى سلاحى لتحرقى أو انى تبدلت حتى صرت من تنابلة السلطان ولكن كل ذلك لم يكن وإنما كان هو أن القدر يسمى البهر وإذا أراد الله أمرا هيا أسبابه والله قد هيا لي وله الحمد أن أديت فريضة

الصبح في أول عمل عمله بعد دخولي المعاش كما يأتي أسأله تعالى أن يجعله
حجرا مبرورا مقبولا آمين آمين فهو كنت في الخدمة ما تيسر لي ولو بقيت حتى
فمعت مدرسة الأحفاد لشغلني تأسيسها المضي .

من حوادث هذه السيرة في يوم ١٥-١٠ دخلت خلوة قرأت احصدي
جرائر ولد حسونه التي لم يسبق أن رأيتها في عمري والتي كنت أصدق قول
أجدمه انها تع وتسعون جزءه على انها لا تبلغ هذا العدد وأغلب سكانها من
الشايقية كما ان ساكني شرقها وغربها منهم وأعلن أن أجدادهم استوطنوها حينما
جلاهم حربهم مع اسماعيل باشا ابن محمد علي باشا فاتح السودان فانتشروا
من غربه سلوه الي خشم النقية عند قور نعيمه بدء شلال السيلوكه وأظن أنهم
وجدوا هذه المنطقة خالية أو أخلاها لهم السعداب من الشمال والجموعية من
الجنوب لأنهم أولاد عههم . حينما مررت بطلي مديني وولاني شاره ملات
أدني ذكرى على جاد الله مما جعلني مشتاقا لرؤياه ولكني أسفت كثيرا حينما
وجدته غائبا ولكني وجدت والده أحمد جاد الله الذي يزيد عمره عن الثمانين
ورامته الاعتيادية الحضان ووجلت أخاه الشيخ أحمد جاد الله بسنزه المعبد
لمحصولات وأدوات وأبوره بطته ود الحبشي ادا أسفت لعدم رؤيتي لملي
جاد الله لكني ملتي سيرته التي منها أنه حينما اشتلت المجاعة على قرية
بجزيرة نسرى وبرها شرقا وغربا علقت بالتواتر ممن حصل لهم فعلمها انه فتح
مطامير محصولاته وقسمها على الناس حتى يحصلوا مزارعهم فيردون ما أخذوا
صفا كل نوع يرد لمطوره التي تحفظ لمثل هذه المجاعة . أكثر الله من أمثاله .
حين أردت السفر معهم كيت له مذكرة أشكره على صنيعه هذا ورجوته في أن
يشتم في عايته برواج النساء ثيابات وأبكارا على اثر معروفه هذا وقبل وبعد
أن يسي في بلد كل شيء فيه يسي بعد حين وعجبت حينما رأيت على جاد الله
بأم درمان بدكان البربر رأيت معيدا مثلي فذكرت المثل السوداني (الرجال
ماهم ثياب تفرع) . مررت بالشرق على البوالين والبرباب حتى حلة ولد باقنا
الشهير طبقات ولد صيف الله كلا هذه الأماكن لم يسبق لي رؤيتها لانزو انها في
مجرى النيل وقبل أن أصل شندي وصلني يريدي فوجدت ضمنه كتابا من
روحتي بت ابراهيم مدي بوفاة والدتها قبلاني حرثا لفتدها شبابها الذي هم
يتجاوز الاحدى والأربعين سنة ولا أنكر انه ازداد حزني لأن زوجتي في الخامس

من حملها لأول مرة شقة أن تجهض وإذا وصعت لم تجد من يباشر راحتها كوالديها التي كانت مشتاقه لها جدا . وصلت شندي ولما دخلت على المنتش بمكنته وجئت على يابه بتا يتراوح عمرها بين الثمانية عشر سنة ولما خرجت وجدها مكانها فله رجعت الى مكتب الأمور وهو على أندي دديم ومعه السيد عيد السلام انطيفة عيده افه سألتها عن هذه البت أجبراني أنها من حملة التوجي واهي حملت بالحرام وخافت أهلها يقتلونها فلحان للمركر . قلت لهما . هل وصل انتش حبرها ؟ قال : لا . قلت : أظليها بأحصرة الأمور . فطلبها فحطت عند الباب ولم تفتح عليها في الدخول فمزمت على أن تزوجها لأى رجل يرضى بزواجها خوفا من انتشار هذا الداء اذا دخلت هذه تحت حماية الحكومة . فمضت بيتا للباء بشندي وتحسنت حالتها تحسنا يفرى غيرها وتكون مأوى لغيرها كغيرها من بنات الهوى بالخرطوم . فوافقاني بشهامة واستحسان فبينما نحن مفكرون لها في زوج دخل علينا عسكريا من الشايقية عرضنا عليه فرفض بأفقه ولم يدر غرضنا وبعد قليل دخل علينا ساعى تلمراف من الجعليين فسماعه مقسمتى له وتحرفى له من تقضى هذا الداء يبلدهم قبل زواجها أردت تحميمه لئلا ينقلب عن عزمه قلت له : انت يا هذا اما أن تكون فاجعا جدا واما أن تكون خاسرا جدا في رعتك بهذا الزواج . قال : كيف ذلك ؟ قلت له : ان كنت أردت ستره بنت عمك فقط بشرط ألا تخرجها حتى تلد ما في بطنها وتساوى بينه وبين ما تلد منها ولا تدكر لها حالها هذا مهما كان غضبت منها فأنت فاجع وإذا فصدت من زوجها افك تجعلها متلعا ترتزق منه أى تتركها تزنى وتحضر لك ما أعطيت من عيرك أى تتركك في تكاح زوجتك فأنت تكون خاسر . تحسن وانعص حسانا وقال هى بت عمى اعاملها بكل ما قلت ولا تسمع ولا ترى مى ما يفعلها ولا ما يصعبها ففى الحال طلبنا القاضى الشرعى الشيخ عوض الكريم العوض معقدنا لهما ونهاه أن يقرها حتى تصع حملها من غيره ثم ابها بحل له . فأخذها وسار بها لمنزلها وبينما نحن تنقضى في منزل السيد سليمان العظيمة اد نظرت الشيخ محمد نمر السعداوى رقيقى في دراستنا الإنليسيه والمختصر على الفقيه حامد محمد أحمد المتقدم ذكره واقفا على باب السور فخرجت له فاحيرنى بأنه حضر لشندي ومعه جماعة فيهم والد البستولا يعلمون شيئا عن خبرها فأخبرته بما تم بشأنها فطلب منى أن أصل للجماعة وألحكي لهم

بنفسى فلما وصلناهم وجدت والها فى غيوبة كاملة بدليل أن الشيخ محمد
 فمر ناداه باسمه وبأعلى صوته أربع مرات حتى شعر بصوته ورفع له رأسه فى
 دهول ولما أخبره بقصتى اضطلع وجرى عرقه وبعد أن أفانى استوى جالسا
 وحرب منى ورغب منى فى سرد القصة فحكيتها له فلما سمعها اضطرب جسده
 وأحد يده ورجله ثم أثرت لهم فأخذهم أحد أمرين إما أن يرجعوا
 لأهلهم وبعد حين يتدثرون بزارتها بوالدها ثم يوالون زيارتها الأقرب فالأقرب
 تطمينا لها على حياتها ومنزلة لها عند زوجها فى صيغة شكران له وإما أن يتوجهوا
 بزيارتها مساء اليوم ليشكروا زوجها فاختاروا الأمر الأول فودعهم ولم أرهم
 ولا رأيتهما بعد ذلك . بوصولى عطبرة نزلت بمنزل الشيخ على أبو قصيصه
 بصعته ابن عمى وهو ناظر المدرسة واتى متنع بفلائى كما أكون بمنزلى لأنى
 بصحبتي الزحمة الصانع فى كل ما يؤكل طعسا (الكسرة الكرب) والادام
 الديد مهمما كان نوعه وبحضور البريد وصلنى كشف لجاننى على المعائن فعدا
 شرعت فى ملته معى الشيخ على وحرصنى أن أردده للصلحة محتجا بوعده
 الحاكم العام كما تقدم وملأته وأرسلته . لما وصلت حلة القرعة وجدت محمد
 أفدى الصوى الشهير كاتباً بوابور الحصا الذى كان يزوره الخواجه الأرمنى
 هيرورى معه فى جنى القطن وجعلت معه نحوا من ستين امرأة كلهن كاشفات
 الشعور رابطات أصلايين بشيايين مصدات الأصلاب والصغار منهن بارات
 اليهود يسهن منى . نحو العشرين من عمره راكبا على مقود قصير ينتقل بينهن
 للمراعبة على أعمالهن وما يزيد الطين بله أن شجر القطن قصيرا يطاقطن لجبه
 فلما رأيت هذا المظر المتانى لعيرة الجميلين لعريمهم ثارت نفسى فقلت للفتى
 مرتقبين : كم أخذت على هذا التمرى ؟ فنار هو بدوره وقفز من مرجه على
 الأرض وهجم على بمصا فحال بينى وبينه محمد أفدى الضوى . فقلت له :
 يا ودى ، أعصبت فى قولى ؟ قال : معلوم . فقلت : اسمع ، اذا جاء الخواجه
 ومن على هذه الحالة أستطيع مع الخواجه الأجنبى من النظر لهن ؟ قال : لا
 أستطيع . وهذا . قلت : أنفسن أن يكون نظره كتنطرى ونترك خائبا من اللدة ؟
 فرفع رأسه لى حجلا وقال : والله انه بعد اليوم لا يأتى لرافيتهن . فقلت للفتى
 ولمحمد أفدى : غير هذا أحسن وهو يؤمرن بلبس كل واحدة قميصا وطرحه

على رأسها ومقطع صغير في يدها كلما ملئ صبه في قفنها الكبيرة . فلما لي
النتي وشكرني على الميرة والتدبير ثم سألت : كم تكسب المرأة في يومها ؟
دالوا : الرطل مليم . وهي تجني بين عشرين وثلاثين رطلا ويستلم منها ما تجنيه
يومية في مكتب الميران فذهب مساء على حمارى لحمل الميزان وحملى رحلت
لمعيدية فوجدت عدة الصيدية الشيخ مختار رحمه مصطفى بسحل الميزان في
ثقله متوسطه الحلال تبعده عن كل حلة نحو خمسة كيلو مترات والمرأة تحصل
أقسط على رأسها تصله نحو الساعة ٦ مساء في وقت الاعتدال الخريفى وتمكث
منتظرة الوزن حتى يأتي دورها على حسب الأسبوعية فربما تحصل آخرهن نحو
الساعة ٨ أو الساعة ٧:٣٠ وأهلها يبعد عن مكان الميزان ليس أقل من ثمانية
كيلو مترات قطعها على الأقل في ساعة ونصف فتصل بيتها الساعة ٩ و الساعة
٩:٣٠ فطلبت من العمدة أمرين شفقة بهن : الأول أن يطلب من مفتش المركز
الأجرة تكون باليوم وليست بالرطل أسوة بشروعي الجزيرة وطوكر لأن هذا
الحواجه لا شك انه يبيع في السوق الذى يباع فيه قطن المشروعي والأجرة
بالجزيرة سبعة قروش للمرأة في اليوم فلتكن هنا ستة قروش . والأمر الثاني
تقل الميزان من مكانه ليتحرك مع محل جني القطن ليوفر للسكينات مشوارى
الهاب والآياب والحواجه يكلف نفسه بجمع قطنه مكانا واحدا على مصاربه
فهر العمدة برأى هذا ولكنى لا أدري سروره يستمر حتى ينفذ الأمرين أو
يطالب بتنفيذهن أو ينتهى بوجودى . وصلت الباقي بجنوب دار الرباطابوهي
منطقة طيبة التربة بها ستة وثلاثون ألفا من النخيل الطازج طلبت من عثمان أبى
حجل اشتراكه معى في الحصول على وابور لرى الأرض ومضى النخيل بصيحت
تأخذ على النخلة أربعة قروش في السنة وتأخذ النصف في محصول ما زرعه من
التمح والدره واللوي فوافقنى على أن يدفع هو ثلث القيمة وأدفع أنا الثلثين
وتكون أراضى المنطقة التى سبق زرعها بلا أجره وكان غرضى أن أبى من
نصيبى خلوات . أجمع عشرين ولدا من يحفظون القرآن من كل دار الرباطاب
واعلمهم طرق التعليم وأخرجهم معلمين في دار الرباطاب التى لم تكن بها مدرسة
غير أبى حمد حتى ألحقهم بقاظة التعليم في البلاد الأخرى . اهتمت فرصتهم ورى
بحلوات الرباطاب لأنظر حالة البلد الاقتصادية والإدارية والاجتماعية لما التعليم
ولا أمل في رقيه . رأيت في الباقي الذى يمد من المناطق الخصبة رأيت النخيل

ابالح الطول لم يفرح ولم يجنى ثمره ورأيت مساقيه نحو ثلاثة أفدنة وهي
 الوحيدة بها (حاحيه) وهي عريشة صغيرة على أربعة قوائم ثم يطلع عليها
 الشخص ليمسك من روية الطير فيرميه بالحجر ويطيره من أكل السبل) رأيت
 أربع نسوة على الحاحيه ترمى كل واحدة منهن الطير بحجر في حصتها الخاصة
 بها رأيت أربع نسوة في الأرض يلتقطن الحجارة التي ترمى من الصاعدة المتعاقبة
 للارضية فترجع كل امرأة ما التقطته وترجمها للرامية وهكذا دواليك صالت :
 كم رجلا دا عائلة في هذه السقية ؟ قالوا : ستة رجال • قلت : وكم تتج من
 الأراب الصغيرة ؟ قالوا : ستة أراب • ومتد أن ينزر بذرها الى أن تعصم كم
 شهر تمضي ؟ قالوا : خمسة أشهر • قلت : شهر الرجل والمرأة يعملون في
 الساقية خمس من أرب غلالا • والله حجة الميث (الذلال) لا تستحق هذا
 التسب • وبارحتهم وأنا معجب من أرسطراطية الشيخ عثمان أبي حجل أكبر
 عمدة في أكبر بلدة لا يرضى بوضع خطوه في بلد من أعني العموديات طينا ونغلا.
 لما وصلت خلوة الدومة لقيني بها ابن عمي الطيب عبد الله نوري شيخ قبيلتنا
 السياسي وصحبي لخلوة ابجري وهالك وصلني خطاب في ١٥-١١-١١ من
 الشيخ عمر الدين الحسين ان زوجتي الكبيرة أم أحمد بمنزله بالشريك ولم يكن
 لي علم بقيامها من أم درمان فرجعت للشريك فعلمت منها انها جاءت بابني محمد
 بنري متوسلة بضريح جده التقي مالك ليشفي من مرض فوفى والحمد لله •
 وكانت حملتي مبقسا على أهلنا بجزيرة كشوى • وكانوا جاعين فاقسموا
 عليه جمالي بالطاسة (نصف قدح) فلما عطف عليهم فأرسلت لعم الدين
 الحسين التاجر استلعت منه عشر جنيهات وزعتها على ضعفاتهم ونزل العسكري
 على مزارعهم وأخذ علقا لجمالي التي قسمت عليها فما كان من صاحب الزرع
 وهو ابن عمي الا أن استرد العلف من الجمال بعد أن بدأت فيه الأكل فلما
 علمت هذه الحادثة الشادة تذكرت بها ما سمعته من والدي وهو أخبرني أن
 والده توفي وتركه ابن احد عشر سنة وهو أكبر اخوانه الثلاثة لأبيه وكان والده
 قائما ببيع الساقية فأدخله أعمامه الثلاثة أشقاء والده ملزما بالقيام وكان والده
 ليمش اخوانه فما حكامه من أثر الحب انه جى يوما بمشائه فأخذ منه لقمة
 ووضع يده للثانية هجم عليه اليوم فنام حتى جاء وقت نوبته سحرا فجاموا وهو
 جالس نائم فلما أحس قال انه أكل بقية عشائه قام لمسكه قلت له : يا أبت الا

تحشى أن يكون أكل منه كلب ؟ فقال : لا يأتي الكلب عندنا • قلت : كيف
تسكنون بلدا يأبى الكلب سكناها ولكن أقام المباد فيما أراد • فملق قليلا
على هذه الحادثة فتعلل نزع الرحمة من قلوب الأعمام واستبدالها بمثل هذه
القسوة على الطفل وتكليفه مالا طاقة لئله به من تكليفه القيام بخدمة والده مع
الفارق بينهما في الجسم والسن والتعريق على العمل تدريجيا وناهيك بتكاليف
ربع الساقية المركبة من عناية بينها ثمنها المركب على الأقل من حمار أو ثور أو
بعض النسم غلفا وسقيا ورباطا ورعاية أغنام يفرض أن يقوم بالرعاية أحد
أخوته بطاحي أو نعمة لأن أخاه المسمى ضعيف في جسمه وعقله لا يعينه
بل يزداد حمله كلما كبر سنه فهل تحمل هذه القسوة على الجفوسة ؟ أما أنا
فأحملها على الثعب المركب جسما وعقلا وروحا • أما الجسم فتتوالى الممسل
الشناق المتواصل وأما الثعب العقلي فلدوام التفكير في حماية الهائم لقلة العلف
ومراعاة الزوجة المشتركة مع زوجها في الثعب بتحمل كلمتها الشاقة وقترتها
القاسية ولمدارت أبنائه أو عبيده الذين يعثرهم في تهميرهم في بعض أعمالهم
أو لم يظهر لهم ذلك ثلا يستتر في الكسل فلا مندوحة عن اعترافه بنقص
ملابسهم الساخرة المذقة وأكلهم المفدى المقوى • وأما الضيق الروحي فلا شك
أنه نتيجة لهذين التبعين وبذا تهمر الأعمال تشبيها مع الفارق لحالنا بسمية ولد
النجوم حيث يترك الولد والده والوالد ولده والزوج زوجته ناجيا بنفسه على
أبي أحمد الله كثيرا حيث لم أكن أحدهم • من هذا عملة ابن عمي الذي أخذ
العلف من وجه جمالي فله عذره وإن كان قد أخذ نصيبه من علوقها والمشرة
جنيتها التي وزعت عليهم •

بارحت أهلي وفي قلبي لوعة من حزني على حالهم قابطني في طريقي بحلة
الكري محمد ولد خالصة بنت خالة أبي وسعيدة بنت ولد سعيد من أغخوان
والذي الأول محتاج والثانية غنية أكرمتني وكان معي الشيخ ابن عمي الفقيه
على الذي سألته عن مصحف والده الذي رأيته بيده برقاعة وعمرى لا يتجاوز
العشرة سنوات • عرفني الشيخ بأنه باع لابن عمنا الفقيه الطيب محمد الخليفة
الذي توفي في هذه السنة رحمه الله كان عاملا عالما ذا كرامات ذكر بعضها •
واصلت سيرى حتى وصلت حلتى المار والمشكوت آخر الرياطاب والعمار
حدها من الشمال وقد سعى على أن أسأل شيخ الحطة عن المسمى أبا سدير في

تحديد الرباط في قولهم من الشنقر الى أبي سدير وقد رأيت وادي الشنقر
 الفاصل بين عقبة المسلمين وأول الرباط الواسع المسمى • بوصولي الى حلة
 العار حيث كنت أنظر أول ساقية للمناصير جهة الجنوب المكوس بالنسبة
 لوقوعها في أول الدال المبدوء لليل بعد أبي حمد من آخر ساقية شمال الرباط
 المكوس أيضا لحقني عسكري يطلب رجوعي للخرطوم بأمر السيرمفي الحاكم
 العام فرجعت ولم أصل خلوات كجى التي بالمناصير وهي الوحيدة ببلدناهم
 وكنت اتفقت مع ظاهرهم سليمان نعمان قمر أن أعير معلمها بالقيه أحمد محمد
 مصطفى كوصية الناظر ولكن الله لم يرد ذلك • وصلت أبا حمد يوم ٢٠-١٢
 وأرسلت منه كيتين قمعا لبنت مالك وبنت زولملى بأبي حمد منها جعل بمتة
 لمحمد أفندي حامد موسى ولم يدفع لي ثمنه لأني بارحت أبا حمد بالقطار ولا
 وصلت محطة الشريك رأيت رجلا كبيرا في سنه ركب القطار في الدرجة الرابعة
 ذهب الى لنائن به ولطني أجد عنده سببا واضحا لتأخير الضيق في الرباط
 أكثر من غيرها وفي أثناء المحادثة والحديث شجون ذكرت له عزمي على عمل
 وابور بالباقيير بشركة العمدة عثمان أبو حجل وقصلت له ما اتفقتنا عليه وبنتي
 تعليم أولاد الرباط مما أربحه فيه فقال لي يحزم : لا تفعل ذلك • قلت له :
 لماذا ؟ قال : انت يا شيخ بأبكر نشأت بعيدا عن الرباط ولذلك تجهل أحوالهم
 فإذا دخلت معهم في عمل وفي أول سنة رأوا ما ربحتهم منهم يبيع عليهم داء
 حسدهم الكامن في جبلتهم فيرفضون استمرار العمل معك ويضارون حراما
 تفهم المنفعة الظاهرة والراحة البينة ويضرون أنفسهم ليضروك فلن شاكرتهم
 وانت رجل مشهور تلومك القبائل وان سامحتهم تلحقك المضرة بوقف عملك
 وتتكلف هزل وابورك • فلما علمت معاكسة أهل الجزيرة ارتحل لمبدد الرحمن
 على عبد الماجد ووقف وابوره حملت الله وتركت عملي •

وصلت الخرطوم يوم ٢٢-١٢-١٩٢٨ م وقابلت دولة السيرمفي بسرايه
 يوم ٢٤-١٢-١٩٢٨ م دارت بيننا هذه المحادثة بعد تبادل التحية اللطيفة
 من دولته :

— متى وصلت الخرطوم ؟ وصلت الخرطوم مساء يوم السبت ٢٢-١٢
 كمادتك راكبا حمار ؟

— نعم •

— كم يوم قضيتها في منفرك ؟

— قضيت يومين ومائة •

— كم حاوة بالمديرية ؟

— بالمديرية الشمالية ستة وخمسون حاوة •

— كلها ناجحة ؟

— رأيتها كلها ماعدا حاوة المناصير بحلة كجى لم أوزها والبقية كلها ناجحة

— الخلوات من أعمالك المفيدة ؟

— هي مناسبة القرى •

— صحيح • وهل المطاعة مؤثرة على الناس الذين مررت بهم ؟

— أثر المطاعة غير ظاهر في أحد ظهوره بالرياطاب فيما رأيت وأظن أن

المناصير يكونون مثل الرياطاب وأشد •

— لماذا ؟

— لأن أولاد الرياطاب الأقوياء الذين يقدرّون على إدارة السواقي نزحوا

بين المريسة وقطع النخل وتسنى بارتيريا والتساعو المجازر والأطفال تركوا تفرّج

النخل فضلا عن إدارة السواقي حتى وإن المستر جكسن معي برجليه في مراكز

أبي حمد وما رآه من صغفهم خفض الضريبة من خمسة وعشرون مليما عن

النخلة المثمرة الى خمسة مليمات رافعة بالناس ولما شاهده أنهم لا يستطيعون

حصان الشر من النخلة الطويلة •

— هل ترى رأيا لمساعدتهم •

— نعم • رأيي أن الحكومة إذا رأت ضرورة لبقاء الرياطاب ببلدهم

لحفظ الأمن والمواصلات تمعّوهم من الضريبة مطلقا وإذا لم تر بقائهم فلتخصص

لهم قطعة أرض في المساحة الواسعة الواقعة على أحد النيلين لتقلّهم اليهم

ليعيشوا مدة التأسيس ويستريحون بعدها وإن رأت الحكومة ضرورة بقائهم

واستثمار بلدهم أصوب فلتعمل أربعة وابورات في أربع أماكن لتسقى نخيلهم

البالغ عدده مائة وثمانين ألفا بولقع النخلة أربعة قروش كمشروع نوري

بالتفاقية وتأخذ ثلث المحصول من القمح والذرة واللوييا نظير الماء وبذلك

تحصل من سقاية النخيل سبعة آلاف ومائتين من الجنيهات ففى ست سنوات

تحصل الحكومة على كل ما صرفته من سقى الخيل فقط بخلاف قيمة بقية
الحاصل .

— لماذا لم يسبق عمل وابور بالرباط ؟

— لم تعمل وابورات لأن البلاد لا تبت القطن .

— هل تضمن أن الأولاد الذين يقطع النخل وتسى والدريسه يرجعون ؟

— أظن أنهم يرجعون مادام أن الماء لزراعهم لا يكلفهم مشقة دفعه كما كان
بلا شك أنهم يرجعون ومن استمر في غربته منهم وكان مستفيدا يكون قليلا
وأما غير المستفيد من غربته تكرهه الحكومة على الرجوع لتفيله وتستفيد منه
— هذه معاذرة مقيمة . هل تصورتها أم ارتجلتها ؟

— تصورتها في مروى بالرباط لأن رأيت بالباقيرو وهو من أحصها
أرضا أربع نساء طالعات على حاحايه يد كل منهن حجاره ترمى بها الطير من
ناحيتها وفي الأرض أربع نسوة تجمع كل واحدة منهن الحجارة التي تقذفها
مقذبتها بالحاحايه وترجعها لها لترمي بها الطير وهكذا دواليك . قتالهم دولته
من شرعى هذا ثم قل :

— لماذا اهتممت بالرباط ؟

— أجبته لأنى رباطي يادولة الحاكم العام . قال لى : لقد خدمت بلدك
ومساعد عمل وابورات . ثم قال لى : هل لك حاجة خاصة تطلبها ؟ الجملة
السابقة . وحيث أن مسألة لى على المعاش قد اهتمت قلت لدولته . حاجتى
سلامتك للبلاد . وانصرفت .

وبعد مدة لا أذكرها بالضبط حضر مساعدة المستر نكلوس مدير بربر
بمكتب المستر يودال وطلبنى وسلم على بعضب ثم قال لى : لماذا طلبت من
الحاكم العام عمل وابورات للرباط دون علمى ؟ قلت : أن الحاكم العام وهو
الحاكم العام سألنى عن أثر المجاعة وأخبرته كما رأيت أثرها على الرباط
سألنى رأى فيما يحصف عليهم الوطاة فحشرت رأيى في إعانتهم من الصرائ
أو قتلهم لكان خصب بين النبلين أو عمل أربعة وابورات لهم ومساعدتك كنت
بلاجارة فهل فى أمكاني أن أقول لدولة الحاكم العام : اسمح لى دولتك أن
تؤجل الجواب على هذا السؤال الى أن يأتى مساعدة المدير من الاجازة وأعرض

رأى على سعادته • حتى بعد اذنه أرد على دولتك ؟ فقال لي وهو مضطرب : أنا لا أنفذ هذا الطلب • قلت : أعمل ماشئت فالرباطاب رعيك وأنا لا أدخل بينكما • لكن أملي فيك وعلى مك أنك فعال للخير ومساعد للبؤساء وخرجت وأنا أتند :

ومن نكد الدنيا على الحران يرى عدوا له ما من صداقته بد
وبعد مقابلي للحاكم العام مباشرة دخلت في اجازة المعاش التي اعتبرت
خمسین يوما من يوم ۲۷-۱۲-۱۹۲۸ م الى ۱۴-۲-۱۹۲۹ م
قمت لرفاعة يوم السبت ۲۹-۱۲- محالا للمعاش ولا آتكم القسارىء
عضبي على المصلحة التي لم تيجالتي وزاد أسفى أن أولادى متعلمى رفاعة
الدين كنت أعدم ذخيرتي لحياتي والذين احتفلوا بى احتفالا رائعا حينئذ
رقيت مفتشاً لم يجاملوني ولو بدعوات فرادى ان كانوا يزعمون مأمورين
من يمشون بأسه منهم أو من غيرهم ولكنها المصائب تنوالى والحمد لله •

0
Hilfswort Alexandria



0691436